

Handwritten text at the top of the page, possibly a title or header, which is mostly illegible due to fading and bleed-through.

Handwritten text in the middle section of the page, appearing to be a list or series of notes.

Handwritten text in the lower middle section of the page.

Handwritten text at the bottom of the page, possibly a signature or a date.

اهداعات ٢٠٠٢

/ ابراهيم محمد ابراهيم حريبة

القاهرة .

منهج علماء الحديث والسنة

في

# أصول الحديث

(علم الكلام)

تأليف

الدكتور مصطفى حسني

أستاذ مساعد بدار العلوم بجامعة القاهرة

دار الدعوة

للطبوع والنشر والتوزيع

شارع منشا - محرم بك (الإسكندرية)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## الفهرس

الصفحة

الموضوع

### الباب الاول

- ❖ الفصل الاول : عصر الصحابة رضى الله عنهم .. .. ٣
- اصول الدين في عصر النبي صلى الله عليه وسلم .. ٥
- رد الرسول صلى الله عليه وسلم على وفد تجران ٦
- القرآن كلام الله تعالى .. .. ٧
- الايمان بالقدر ونهيه على الوجه الصحيح .. ٨
- الملائكة .. .. ١٠

### ❖ الفصل الثاني : مكتبة الصحابة رضى الله عنهم في الامة

- منهج الصحابة في النظر والتدبر .. .. ١٣
- الادلة النقلية والعقلية على فضل الصحابة .. ١٥
- اولا : الادلة النقلية .. .. ١٥
- ثانيا : الدليل العقلي .. .. ١٩

### الباب الثاني : احداث الردة والفتن

- الامتراق من مذهب الصحابة رضى الله عنهم .. ٢٧
- موقف التابعين ازاء المخلئين .. .. ٢٨
- احوال اهل الجنة .. .. ٢٨
- ظهور الجدل في اصول الدين .. .. ٢٩
- مذهب اهل السنة والجماعة .. .. ٤١

### الباب الثالث : نشأة الكلام في الدين وعوامل ظهوره :

#### الفصل الاول :

- مراحل ظهور الكلام في الدين .. .. ٤٧
- عوامل نشأة المشكلات الكلامية .. .. ٥٢
- ثم السلف للكلام .. .. ٥٩
- اسباب ثم علم الكلام .. .. ٦٠

الصفحة	الموضوع
٦٣	— علم الكلام بين الاصالة والابتداع .. .. .
٦٥	<b>الفصل الثاني : علم الكلام .. .. .</b>
٦٧	— تعريف علم الكلام .. .. .
٦٩	— أهم موضوعات علم الكلام .. .. .
٧٢	— حجج المتكلمين في الدفاع عن منهجهم .. .. .
٧٣	— رأى علماء الحديث في هذه الحجج .. .. .

### **الباب الرابع : موقف أهل الحديث والسنة من المعتزلة :**

#### **الفصل الأول :**

٨١	✽ <b>التعريف بعلماء الحديث ومنهجهم .. .. .</b>
٨٢	— سلاسل الاسناد .. .. .
٨٣	— منهج علماء الحديث في أصول الدين .. .. .
٨٤	✽ <b>موقف أهل الحديث والسنة من المعتزلة .. .. .</b>
٨٥	— الأصول الخمسة عند المعتزلة .. .. .
٨٨	— الصفات الالهية .. .. .
٩١	— الايمان بالقدر وعلاقته بالارادة الانسانية .. .. .
٩٣	— موقف الانسان .. .. .
٩٨	✽ <b>دوافع علماء الحديث لجأبة المتكلمين .. .. .</b>
١٠٠	✽ <b>علم الكلام لدى علماء الحديث والسنة .. .. .</b>

#### **الفصل الثاني :**

#### **✽ محاورات علماء أهل السنة مع المعتزلة :**

١٠٧	١ — <b>الاجام احمد بن حنبل وابن ابي دؤاد .. .. .</b>
١٠٨	— حياته وعصره .. .. .
١١٠	— منهجه مع المتكلمين .. .. .
١١٥	— المحنسة .. .. .
١١٦	— احمد بن ابي دؤاد .. .. .



## ٢ - عبد العزيز المنكي ، ويشير الميرسي :

١٢٢	.. المنهجي ..
١٢٢	.. صفات الله عز وجل ..
١٢٥	.. اثبات ان كلام الله ليس مخلوقا ..
١٢٧	.. الفرق بين الجعل والخلق ..
١٢٨	.. اقامة الحججة بالتنزيل ..
١٢٩	.. اقامة الحججة بالنظر والقياس ..
١٣٢	.. اثبات علم الله تعالى بنص التنزيل ..
١٣٥	.. اثبات الفعل والقدرة بالنظر والقياس ..
١٣٥	.. اولاً : بالنظر والمعتول ..
١٣٧	.. ثانياً : اثبات ان القرآن كلام الله بمنهج القياس ..
١٣٩	.. الاستواء على العرش ..

## الفصل الثالث :

١٤٢	.. صلة العقل بالشرع ..
١٤٥	.. الشرع ..
١٤٦	.. العقل ..
١٥١	.. أدلة الشرع عقلية ..
١٥٢	.. تعقيب ..

## الباب الخامس :

١٥٧	.. * علم الكلام على مفترق الطرق ..
١٥٧	.. السلف والاشاعرة ..
١٥٩	.. محنة خلق القرآن ونتائجها المنهجية ..
١٦٦	.. التعريف بلبن كلاب ..
١٦٩	.. اثبات صفة العلو لله تعالى شرعاً وعقلاً ..
١٧١	.. الامام ابو الحسن الاشعري والمنهج السلفي ..

## \* التمييز بين الاشاعرة والسلف عقيدة وبنها : \*

- ١٧٧ .. .. . صفات الله سبحانه وتعالى .. .. .  
 ١٨١ .. .. . نظرية الكسب الاشعرية وتفسير اعمال الانسان .. .. .  
 ١٨٥ .. .. . عدل الله تعالى وحكمته .. .. .  
 ١٨٨ .. .. . نظرية الجوهر الفرد وتفسير الخلق والبعث .. .. .  
 ١٩٠ .. .. . توافق أدلة الكتاب والسنة مع الواقع المشاهد .. .. .  
 ١٩٢ .. .. . صعوبات امام النظرية في تفسير البعث .. .. .

## \* ظهور الحقيقة لامة الاشاعرة : \*

- ١٩٦ .. .. . تحول ائمة الاشعرية الى طريقة السلف .. .. .  
 ٢٠٠ .. .. . تقييم ابن تيمية لشيوخ الاشاعرة .. .. .  
 ٢٠٢ .. .. . طريقة السلف اعلم واحكم .. .. .

## الباب السادس :

## \* موقف ابن تيمية من القضايا الكلامية :

- ٢٠٧ .. .. . مقدمة .. .. .  
 ٢٠٩ .. .. . حياته ومصره .. .. .  
 ٢١٢ .. .. . خلقه .. .. .  
 ٢١٥ .. .. . منهجه .. .. .  
 ٢٢٠ .. .. . هدم المنطق الارسططاليسى واعلاء الميزان القرآنى .. .. .  
 ٢٢٤ .. .. . الفطرة الانسانية وطرق المعرفة .. .. .  
 ٢٢٧ .. .. . الهدى والبيئات .. .. .

## \* مواقف اراء القضايا الكلامية :

- ٢٢٩ .. .. . الصفات الالهية .. .. .  
 ٢٣١ .. .. . اثبات صفات الله تعالى وانعاله بالاجلة العقلية .. .. .  
 ٢٣٤ .. .. . طرق البراهين القرآنية .. .. .  
 ٢٣٤ ١ .. .. . الميزان القسراتى .. .. .  
 ٢٣٦ ٢ .. .. . قياس الاولى .. .. .

الموضوع	الصفحة
٣ - اللزوم والاعتبار .. .. .	٢٣٦
- التبسوة .. .. .	٢٤٢
- براءة ابن تيمية من تهمة التجسيم .. .. .	٢٤٤

#### الباب السابع :

#### القضايا الكلامية في العصر الحاضر :

- المشكلات الكلامية في ضوء التفسير التاريخي ..	٢٥٥
- مسائل الاجماع في العقيدة والعبادات .. .. .	٢٥٨
- الالتقاء بالغرب وآثاره على القضايا الكلامية ..	٢٦١
- ما هي الحضارة ؟ .. .. .	٢٦٣
- صلة العلم بالدين في العصر الحديث .. .. .	
( او العلاقة بين المسادة والروح ) .. .. .	٢٦٦
- المشكلات الكلامية الطارئة في العصر الحديث ..	٢٧٠
- ملامح الفكر الاسلامي المعاصر .. .. .	٢٧١

#### الباب الثامن :

#### دراسة في الفكر الاسلامي المعاصر محمد اقبال :

- حياته وعصره .. .. .	٢٨٤
- موقف محمد اقبال من الحضارة الغربية .. .. .	٢٨٥
- اقبال بين الغرب والشرق .. .. .	٢٨٧
- أهم آرائه .. .. .	٢٩٢
- الانسان في القرآن .. .. .	٢٩٤
- الحقيقة بين التجربة العلمية والتجربة الدينية ..	٢٩٦



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا  
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ...

نقد آثرنا اختيار دراستنا عن علم الكلام — أو أصول الدين — لتوضيح  
آراء علماء الحديث والسنة وبيان منهجهم ، ذلك لأن الدراسات الكلامية  
التقليدية أولت عنايتها للفرق المنشقة من أهل القرون الأولى — كالخوارج  
والشيعة والتحرية والجهمية — كما تعمقت وتوسعت في عرض المذهبين  
الكبيرين : الاعتزالي والاشعري ، ولم تلتفت للنتاج العقلي للمحدثين والفقهاء  
بالتقدير الكافي الذي يسمح بإبراز مواقفهم من أصول الدين ومنهجهم في النقائش  
والرد على مخالفهم ، مع العلم بأنهم كانوا يستندون إلى أدلة عقلية وبراهين  
منطقية قائمة على تفسير الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والاسترشاد  
أيضاً بفهم الأوائل الذين كانوا أكثرهما إدراية بأسرار اللغة العربية وأسباب  
النزول ودقائق العقائد المتصلة بأصول الدين .

وفي ضوء هذه الحقيقة ، نرى أن طريقة أهل الحديث والسنة تحتاج  
إلى نظرة انصاف وتقدير حيث شاعت السكرة التي تصفهم بأنهم ( نصيين )  
وليسوا ( عقليين ) ، فضلاً عن أوصاف أخرى تشاع عنهم خطأ كوصفهم  
بالجهود وما إلى ذلك من صفات شوهدت صورهم في أذهان الخاصة والعامة .

وكثيراً ما تروج — مع الأسف — أفكار وتبشؤد آراء مع مجامعها  
للحقيقة ومجانبتها للصحة وذلك بسبب ترديدها المتواصل . ويساعد على  
ذلك عوامل ثقافية وتاريخية ومذهبية وسياسية ، كلها أدت إلى ترقى الفكرة  
الشائعة إلى مرتبة تكاد تصل إلى اليقين في نواتج البحث العلمي ، سواء  
على مستوى الجامعات والكليات المتخصصة ، أو المهتمين بالدراسات  
الإسلامية من العلماء والباحثين والمؤرخين وغيرهم ، إلا فيما ندر .

## ( ب )

وقد آن الاوان لامطاء علماء الحديث والسنة حتهم ، لا اتول من  
التقدير فحسب ، بل من التبيين والايضاح .

ازاء كل هذه العوايل ، راينا ان المسئولية العلمية تقتضى منا القساء  
الفسوء على منهج هؤلاء ، وبيان الطسايع العقلى بحيث يجعلهم فى صفوف  
( نظار ) المسلمين الاصليين ، وانه وفقا لاتباع مناهج المتكلمين اصحاب النظر  
العقلى ، يمكنا وضع علماء السنة والحديث الذين خاضوا فى قضاييا علم  
الكلام فى الصفوف الاولى .

وكان يشار اهتمامنا بهذا الاتجاه ، هو وقوفنا على سمات بارزة تربط  
بين هؤلاء العلماء الذين لا ينتمون الى الدوائر الكلامية بمدارسها المعروفة ،  
ذلك ان من يتتبع الحركات الفكرية المناوئة للفرق المنشقة منذ ظهورها ، يعثر  
خما فطنا — على ملامح عناصر ثابتة لتيار اسلامى اصيل يعبر عن غالبية  
عقائد المسلمين ، ظلوا يعارضون منذ البداية كافة الانشقاقات التى خالفت  
الاصول الاسلامية .

وكان من سمات منهجنا تتبع الآثار الاولى حيث نلحظ المعارضة  
الشديدة لاية بادرة للخروج عن الصف الاول المتناسك الذى تركه رسول  
الله صلى الله عليه وسلم على المحجة البيضاء ، وكما يجابه بعلاج حاسم ،  
وربما يعد من المفيد الاستشهاد على بعض هذه الملامح المشهورة تاريخيا :  
كما حدث فى حرب الردة اذ حاول بعض المسلمين الامتناع عن دفع الزكاة  
فكان موقف ابي بكر الصديق رضى الله عنه المعروف ، الذى استند فيه الى  
قاعدة ايمانية نظر منها الى تسول الدائرة الاسلامية التى لا تفرق بين الصلاة  
والزكاة ، فتحرك بدافع هذا الفهم الواضح ، ورأى ان اى انفسراط يعنى  
تخلل الاساس واهتزازه وضياع المعالم للاسلام . وفى ايام عمر بن الخطاب  
رضى الله عنه نرى واقعة زجره لصبيغ عندما سأل عن الآيات المتشابهات  
تنهاه عن الخوض فيها لا طائل وراءه ، وثبت بعد ذلك صدق الهام عمر .

وفى خلافة عثمان رضى الله عنه ، عندما ظهرت الفتن بايدي محركيها ،  
كان الخليفة الثالث يتنقض بالحجج والاطلة آراء دعاة الفتنة وبدحضها ،  
ولكنهم كانوا قد ركبوا رؤوسهم وبيتوا امرا بليسلى ، فعبروا بجرمتهم انهم لم  
يكونوا مطالب حق وعدل ، بل دعاة تفرقة واموات فتن كبدت للاسلام من

## ( ٥ )

وراء الستار . كذلك وقف على بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهما وعمر بن عبد العزيز وغيرهم كما تروى لنا المصادر التاريخية لمناقشة الخوارج بالادلة والحجج العقلية المستمدة من الكتاب والسنة .

وظل هذا الاتجاه سائرا في طريقه لمواجهة ما ظهر من الفرق ، فعنى مواجهة الخوارج والشيعة والقدرية والجهمية وقف عشرات العلماء لمقارعة الحجة وتقديم الأدلة والبراهين على انحرافاتهم ، ونعنى بهم أمثال الحسن البصرى وسعيد بن المسيب والأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ووثائق وقوف كل من الشافعي والدارمي لمعارضته بشر المريسي معروفة مشهورة بكتب التاريخ والملل والنحل ، كذلك تحدى الإمام أحمد بن حنبل لكل من المأمون والمعتصم والوائق في مسألة ( خلق القرآن ) ، إلى جانب أتباعه الذين ظلوا محافظين على منهجه لمواجهة المنهج الأشعري . بل أننا نرى موقف الأشعري نفسه أمام المذهب — في كتابه ( الإبانة ) ، و ( مقالات الإسلاميين ) — معبرا عن الاتجاه السلفي العام في أصول الدين ، حيث وجد فيه المنهج الصحيح الذي يستطيع به مواجهة منهج الكلام الاعتزالي الذي بلغ ذروته في عصر المأمون ( ٢١٥ هـ ) ثم المعتصم ثم الواثق ( ٢٢٧ هـ — ٢٣٢ هـ )

وإثناء فترة حالكه في تاريخ الحضارة الإسلامية ظهر شيخ الإسلام ابن تيمية ( ٦٦١ — ٧٢٨ هـ ) ليستجمع مؤلفات علماء السنة والحديث قبله ، ويظهرها في قالب ( كلامي ) يدحض به كافة الآراء حواه بعد أن تضحيت واستفحل أمرها ، فكانت مواقفه الكلامية الحاسمة آزاء كل الفرق والمذاهب جعلت منه علامة بارزة على منهج علماء الحديث، والسنة يستضله به في ظلمات الغربة واليأس ، وسنرى في هذا الكتاب كيف وفق شيخ الإسلام ابن استفناج طرق الاستدلالات العقلية من القرآن الكريم ، مثل ( الميزان القرآني ، و ( الآيات ) و ( اللزوم ) و ( قياس الأولى ) و ( أدلة الكمال ) .

هذا ما رأينا بحثه ودراسته .

أما تكرار الحديث عن علم الكلام ببياضه المعروفة في دوائر السرق والمعتزلة والإشاعرة مع انحياز لذاهبهم ومواقفهم الكلامية ، فلن يخدم

الحقيقة التي نسمى لمعرفةا في مجال البحث العلمي ، لان تجاهل غالبية علماء المسلمين في القرون الاولى — مع جلالة قدرهم ومكانتهم الدينية والعلمية ، ومن تبع نفس منهجهم — او فرض آراءهم من وجهة نظر خصومهم بغير انصاف ، كل هذا يتناقى مع ما نتوخاه من معرفة الحقيقة — لاسيما ان علماء الكلام عنوا بأصول الدين ، لا بفروعه ، ولكن المناهج السائدة عكست الآية ، ذلك ان اغلب الدارسين ( اكتبوا بكتب علماء الكلام المتأخرين المشوية بكثير من الانظار الغربية الدخيلة وآراء عميد انصار الحضارة الاسلامية ، مع ان المنهج العلمي التاريخي الصحيح يقتضى ان نرجع الى الاصول الاولى قبل كل شيء ) (١) .

وقد التزمنا باتباع هذا المنهج المعبر عن اصول حضارتنا ايلم ثروتها ، فكانت خطتنا البدء بالنظر في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعين ، ثم التدرج لبحث ظهور الفرق واسبابه ، مع انتقاس بعض المناقشات التي دارت بين علماء الحديث والمعتزلة ، كمد العزيز المكي وبشر المريسي ، والامام احمد والقاضي ابن دؤاد .

وتابعنا هذه الخطة معرضنا لمذهب الاشاعرة ونقده من وجهة نظر الحديث والسنة — لاسيما رأى ابن تيمية .

كذلك خصصنا بابا للحديث عن موقف ابن تيمية من القضايا الكلامية . وفي النهاية رأينا ضرورة عرض نبذة عن الفكر الاسلامي المعاصر .

ولم يغب عن ذهننا أن موضوع الكتاب له وجهان :

الاول — تاريخي ريبا قد خدم بسببه الانفعال الذي كان مشتملا بين طيات السطور في الكتب الكلامية . ولكن بقيت المسائل موضوعا نابضا بالحياة الى وقتنا الحاضر ، لانه ما من مسلم يقرأ القرآن ويطلع كتب الحديث الا تدور في ذهنه أوجه التفسير والتأويل ، والتأمل في قضايا أصول الدين كالكلام عن الله تعالى ذاتا وصفاتا وأمر الغيب الاخرى كقيام الساعة

(١) مقدمة كتاب (مقائد السلف) تحقيق وتقديم استاذنا الدكتور علي سامي النشار — رحمه الله تعالى ود . عمار الطالبي — منشأة المعارف بالاسكندرية . ١٩٧٠م .



والحساب والمعقاب والجنة والنار وأعمال العباد والإيمان بالقضاء والقدر وغيرها . وترى أن خير عون — بعد توفيق الله تعالى — هو الاستضاءة بالفهم والتدبر بفهم علماء السنة وتدبرهم والاستناد إلى حججهم الشرعية العقلية ، فإنها شرعية لأنها مستمدة من الشرع ، وعقلية لأنها تتفق مع أدلة العقل الصحيحة .

الثاني — الجانب المعاصر في الفكر الإسلامي المتجه إلى مقاومة الغزو الفكري للحضارة الغربية ، فلم نستكمل الدراسة بالقاء النظر إلى الفكر الإسلامي المعاصر فإن الدراسة بذلك تصبح مبتورة ، ولا تنفيذ القارئ الذي يريد فهم ما يدور حوله ، تعيينه في تمييز الصواب والخطأ . لذلك رأينا إعطاء فكرة عن ملامح المشكلات ( الكلامية ) في عصرنا الحاضر مع اختلافها مما أثير في القرون الماضية .

ونقرر عن ثقة واقتناع ، بأن طريقة القرآن الكريم التي أجلاها وأظهرها علماء السنة هي الطريقة الثابتة الصحيحة على أهد الدهر ، ولا تهز ثقتنا بهذا الأصل ما نراه حولنا من تطورات علمية و ( تكنولوجية ) بهرت العقول والقلوب ، ذلك لأن المعلومات العلمية بها ازدادت وتشعبت وتدرعت ، فإنها لا تناقض ولا تعارض سنن الله تعالى في الكون والآفاق ، فيقدر ما يهب الله عباده العلماء من القدرات والوسائل المتطورة لاكتشاف أبعاد أكبر في الآفاق أو أبعاد أعمق في النفس البشرية ، بقدر ما تتأكد لهم ثبات السنن الإلهية .

وتد مهد الطريق لهذا المنهج كثير من العلماء المتخصصين ذوي الكفايات الممتازة في مجالات تخصصهم ، فإن أصبنا الغرض فنذلك توفيق من الله تعالى ، وإن أخطأنا فمن أنفسنا والشيطان .

والخير أردنا وما توفيقى إلا بالله العلى القدير .

مصطفى حلمي

الإسكندرية في ٣ ذى الحجة سنة ١٤٠٢ هـ

٢٠ سبتمبر سنة ١٩٨٢ م



# الباب الأول

## الفصل الأول

عصر الصحابة رضى الله عنهم

- أصول الدين في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة .
- رد الرسول صلى الله عليه وسلم على وفد نجران .
- القرآن كلام الله تعالى .
- الايمان بالقدر وفهمه على الوجه الصحيح .
- الملائكة .
- مكانة الصحابة في الامة .
- منهج الصحابة في النظر والتدبير .
- الأدلة النقلية والعقلية على فضل الصحابة .



## عصر الصحابة رضی اللہ عنہم

ظلت اغلب دراسات المحدثين في الإسلاميات التي تحوم حول علم الكلام في نشأته وتطوره تعتمد على كتب المتكلمين أنفسهم من المعتزلة والاشاعرة في الغالب ، فلا تكاد تعثر على دراسة عن المسلمين الأوائل ومناهجهم الشرعية العقلية في الاستدلال على أصول الدين .

ونلاحظ ان اغلب البحوث المعاصرة تعتمد على آراء المستشرقين الذين يهتمون عادة بالفرق المنشقة عن أهل السنة والجماعة ، والاهتمام بإيجاد الصلات بين معتقدات الفرق والمسار الخارجية من عقائد وديانات وفلسفات يونانية وفارسية ونحوها .

وكثيرا ما تتضح أبحاثهم بالمسائل الخلافية والعناية بالفرق الغالية ، وتصور التاريخ الإسلامي من خلال الخلافات والانشقاقات ، فتختفي الحقيقة تحت أكوام من الجدل والخلاف بحيث يصعب على القارئ التمييز بين الحق والباطل .

ومثل هذا المنهج — فضلا عن النتائج المفرضة التي يتراد الوصول إليها ، فإنه يتجاهل حقيقة بارزة لا يمكن إغفالها ، ألا وهي أن آراء الفرق المنشقة قد حوصرت منذ ظهورها بواسطة علماء الحديث والسنة ، ورفضتها الغالبية من أهل السنة والجماعة التي ظلت متمسكة بالعقيدة الصحيحة المطلقة بالقبول والفهم منذ عصر النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته .

لهذا ، رأينا — مستعنين بالله سبحانه وتعالى — اجلاء المنهج المتبع بواسطة علماء الحديث والسنة ، وكانت أولى خطواتنا البدء بعصر الصحابة لاستقراء الاتجاهات الدالة على الوان من النظر العقلي قبل أن يظهر أهل الكلام وقبل أن ينشق الصف الإسلامي إلى فرق ومذاهب متطاحنة ، لنحاول أن نلصق على تفسيرات أصحاب المصدر الأول للآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتصلة بما سماه المتكلمون بـ ( أصول الدين ) والتي لم توضع في الصيغ الكلامية أو الإنشاق الفلسفية خلال العصور المبكرة التي نتحدث عنها ، ولكن الذي حدث هو أنه كلما تفننت مسألة ، أو

حدث انشقاق طارىء مستحدث ، قام لها من يتصدى بالتفسير والتوضيح ،  
لو النهى والزجر اذا كان من قبيل البدع المنهى عنها .

ثم ظهر على مر الامصار المتكلمون في الفرق المختلفة فصاغوا كل هذا  
الكلام وشرحوه في ابواب وفصول نقلته اليها مصادرهم ، وجاء الباحثون  
لمحاولة استقصاء هذه المسائل في صيغها التقليدية بعينها ، فلم يعثروا لها  
على اثر ، فظنوا ان الصحابة لم يعرفوها ، ولم يتطرقوا اليها ، بينما الحق  
انهم عرفوها ونهوها فحاشا لها ، كما ينبغي ان تفهم وتعرف .

ولا شك ان الأدلة تدعم اتجاهنا في اتخاذ عصر الصحابة نقطة البسء  
في البحث ، لان دراسة التاريخ الاسلامى ترشدنا الى معرفة اسبقية الاوائل  
في العلم والعمل ، في العقيدة والسلوك . وسنتخذ هذا المنهج في البحث  
لمحاولة شجب النتائج التى توصل اليها امثال جولد تسهر وغيره من  
المستشرقين الذين يطبقون على الاسلام — في العقائد والعبادات — آثار  
فكرة التطور ، فيتصورون انه بدأ بسيطا ثم تطور على يد المسلمين !!  
فكانت أكبر زلاتهم .

ولما كانوا غير مسلمين معنا بالدليل القطعى الثابت في قوله تعالى ( اليوم  
اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً ) . فان  
استقراء الاحداث باناء وصبر وجهد — مع توافر الصدق وحسن الطوية —  
ليثبت ان ( الاسلام في حياة الرسول — اكتمل في عقائده وعباداته واخلاقه  
واحكامه ونصوصه وقواعده وان الرسول صلوات الله عليه انتقل الى  
الرفيق الاعلى وترك الاسلام على هذا النحو وان المسلمين من القرن الاول  
الى يوم الناس هذا ، يعتبرون اى تسزید على هذا الدين بدعة تحارب ،  
ويرغضون من اى مخلوق ، ومن اى جماعة ، ان يفسدوا في هذا الدين  
جديداً . . . ) ( ١ ) .

وسنحاول على قدر الاستطاعة ، وبقدر ما تسمح به هذه الدراسة ،

---

( ١ ) محمد الغزالي ص ٧٨ دفاع من العقيدة والشريعة ضد مطاعن  
المستشرقين .

الالتفات الى عصر الصحابة والتابعين للبحث عن مواقفهم ازاء المسائل التي اثارها المتكلمون في العصور التالية :

### اصول الدين في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة :

تعدد المواقف التي توضح اتجاه الصحابة في تلقي الايات القرآنية والنظر اليها ، ماذا بدأنا في دراسة تلك المواقف بمنهج استقرائي ، استطعنا الوقوف على استنباطهم للنصوص الشرعية من الكتاب والسنة ، فتتضح لنا كيف بدأ الفتناء ، واسباب حدوث الانشقاقات عن القواعد الاسلامية بعدهم . وكيف جوبهت الفرق المنشقة عن صف الجماعة ، كالخوارج والشيعية والمرجئة والتدرية وغيرها ، وظل علماء السلف من اهل الحديث والسنة يحلون على اعناقهم هذه المهمة فيفتقدون مزاعم المنشقين ، موضحين اسباب انحرافاتهم ، مبينين القواعد الاسلامية الصحيحة المتلقاة عن الاوائل .

وتجتمع عناصر بحثنا في ما راينا من قواعد عامة تجمع مواقف الصحابة منها انهم تكلموا في اصول الدين جميعا ، كما انهم يتفقون في المنهج فيفسرون القرآن بالقرآن مستنديين الى طرق الاستدلالات العقلية التي اثار اليها وحض على استخدامها .

ونستطيع ان نستدل من الاحداث التاريخية على ان الرسول صلى الله عليه وسلم شرح لهم الاصول الاسلامية كلها او ما يسميه المتكلمون بـ ( اصول الدين ) ، والامثلة كثيرة نقتطف بعضها منها فيما يلي :

### بسم الخلق :

روي مسلم في صحيحه في باب الايمان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال ( لا يزال الناس يسألونكم عن العلم حتى يقولوا هذا الله خلقنا فمن خلق الله ؟ قال ابو هريرة جاعني ناس من الاعراب فقالوا : يا ابا هريرة هذا الله خلقنا فمن خلق الله ؟ فآخذ حصي بكفه فرباهم به ثم قال : قوموا صدق خليلي صلى الله عليه وسلم وهناك عدة روايات لمسلم بهذا المعنى ، جاء في احداها قول الرسول صلوات الله عليه ( فمن

وجد من ذلك شيئاً فليقبل آمنتم بالله ) وقوله ( فمن بلغ ذلك فليستعد بالله ) ، نارجع الرسول صلى الله عليه وسلم هذا السؤال الى وسوسة الشيطان .

وروى البخارى في صحيحه في كتاب ( بدء الخلق ) عن عمران بن حصين قال ( دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلمت ناقتي بالباب ، فأتته ناس من بنى تميم فقال : اتبلوا البشرى يا بنى تميم قالوا : قد بشرتنا فأعطينا مرتين ثم دخل ناس من أهل اليمن فقال : اتبلوا البشرى يا أهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا يا رسول الله .. قالوا جئتكم نسالك عن هذا الامر .. قال ( كان الله ولم يكن شيء غيره وكان مرتبه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض .. ) .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فنزل الله تعالى هذه الآية ( وإذا سألك عبادى عنى فئقرب ) ( ١ ) .

### رد الرسول صلى الله عليه وسلم على وفد نجران :

تروى لنا كتب التاريخ قصة المباحلة المشهورة بين الرسول صلى الله عليه وسلم ووفد نجران ، نختار منها المناقشة الدائرية بينه وبينهم ، وكان مبادها الجدل بالتي هي أحسن .

وقد أورد الطبري في تفسيره ان النصرى أتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاصموه في ميسى ابن مريم ، وقالوا له بن أبوه ؟

وقالوا على الله الكذب والبهتان لاله الا هو لم يتخذ صاحبة ولا ولدا . فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : ( الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه أباه ) ؟ قالوا نعم .

---

( ١ ) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢ يقول ابن تيمية : وقعتهم مشهورة متواترة نقلها أهل السير ، وأهل التنسير ، وأهل الحديث وأهل الفقه وأهل حديثهم معروف .



قال : الستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتى عليه الفناء ؟  
قالوا : بلى .

قال : الستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه .  
قالوا : بلى .

قال : فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً ؟ قالوا : لا

قال : الستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في  
السماء ؟

قالوا : بلى .

قال : فهل يعلم عيسى من ذلك شيئاً إلا ما علم ؟

قالوا : لا .

قال : فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء .

قال : الستم تعلمون أن ربنا لا يكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا

يحدث الصدح ؟

قالوا : بلى .

قال : الستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعت

لها تضع المرأة ولدها ، ثم غذى كما يتغذى الصبى ثم كان يطعمه ويشرب  
الشراب ويحدث الصدح ؟

قالوا : بلى .

قال : فكيف يكون هذا كما زعمتم ؟

قال : نعرفوا ثم أبوا إلا جحوداً فأنزل الله تعالى ( ألم ، الله لا اله

إلا هو الحي القيوم ) آل عمران .

القرآن كلام الله تعالى :

قبل اثاره محنة خلق القرآن فقد لا تعثر في المصادر التاريخية على

روايات تشرح موقف الصحابة بنسب الطريقة التي تعالينا بكتب الفرق أثناء

مناقشة بعضها البعض ، كالمعتزلة والاشاعرة ، أو المعتزلة والسلف ، ولكن مع هذا ، نستطيع لمح آراء متناقضة تفيدنا في التوصل الى معرفة موقف الصحابة بما ورد على السنة ائمتهم كعلي وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم ، واقوالهم حجة .

ومن المعروف تاريخيا أن أول من قال بأن القرآن مخلوق الجعد بن درهم في سنة نيف وعشرين ومائة بعد الهجرة ثم الجهم بن صفوان .

ولكن الثابت عن هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم أنهم قالوا ان القرآن كلام الله ، صحيح لم يرد لفظ غير مخلوق ، لان المشكلة ظهرت بعدهم واستخدم المتكلمون هذه الالفاظ ولكن إستقراء النصوص الواردة عنهم تفيد ذلك ، فتسد اعتراض الخوارج كما هو معروف عن علي بن ابي طالب لانه حكم الحكيم وقالوا له ( حكمت رجلين قال : ما حكمت مخلوقا انما حكمت القرآن ) وفي اجابته أنه ما حكم الا القرآن نورا لهذا الخلق عنه .

وايضا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من حلف بالقرآن فعليه بكل آية يسين ، ومن كفر بحرف منه فقد كفر به اجمع (١) .

وأما قول ابن عباس رضي الله عنهما ، فقد كان مرة في جنازة ، فلما وضع الميت في لحدده قام رجل فقال : اللهم رب القرآن اغفر له ، فوثب اليه ابن عباس فقال : القرآن منه وفي رواية أخرى ( القرآن كلام الله وليس به ربوب منه خرج واليه يعود ) .

### الايان بالقدر وفهمه على الوجه الصحيح :

وفي الايمان بالقدر الذي تنازع فيه المسلمون فيما بعد راينا كيف كان أبو بكر رضي الله عنه حين يقول : اقول برباني فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى ومن الشيطان ، فهذا القول يدل على تليده لحقيقة المسؤولية الاخلاقية ونفى الجبر ؛ كما عزى عمر بن الخطاب رضي الله عنه من ادعى أن سرقة كانت بقضاء الله ، فلما سألته فقال : .

(١) ابن تيمية الفتاوى الكبرى ، تحقيق حسين محمد مخلوف ج ٥ ص ٥٥

قضى الله على ، فأمر بقطع يده وضرب أسواطاً ، فلما استفسروا من عسر  
من سبب هذا التمييز فأجاب : القطع للسرقة ، والجلد لما كُتِب على الله .  
ولما قاتل محاصرو عثمان رضى الله عنه حين رموه : الله يرميك . قال :  
كُتِبتم لو رماني ما اخطائي !! .

وهناك توضيح أيضا على لسان على بن ابي طالب رضى الله عنه  
شارحا الفرق بين قضاء الله تعالى وأمره ، فقد سألته شيخ عند انصرافه  
من سفين ( أكان المسير بقضاء الله وقدره ؟ فأجابه على رضوان الله عليه  
( الذى خلق الحبة وبرأ النسمة ، ما هبطنا واديا ولا علونا قلعة الا بقضاء  
وقدر ، ففهم الشيخ خطأ ان عليا يفسر ما حدث بالجبر لذلك اسرع على  
فأجابه معنى الايمان بالقدر على حقيقته ، وانه لا يتناقض مع حرية ارادة  
الانسان ومسئوليته عن اعماله ، فقال له :

( لعلك تظن قضاء واجبا وقدرنا حتما ، لو كان كذلك لبطل الثواب  
والعقاب وسقط الوعد والوعيد ، ولما كانت تأتي من الله لائمة للثواب ولا  
محمدة لمحسن ، ولا كان المحسن بثواب الاحسان اولى من المسوء ، ولا  
المسوء بعقوبة الذنب اولى من المحسن . . ثم ارفق قائلا ( ان الله تعالى أمر  
تخييرا ، ونهى تخييرا ، ولم يكلف مجبرا ، ولا بعث الاتبياء عبثا (١) .

ويسوق لنا التاريخ أيضا ما فهمه عمر بن الخطاب وابنه رضى الله  
منهما وتمييزهما الدقيق بين العلم الالهى المسبق المحيط بكل شيء وبين اعمال  
الانسان التى يؤديها بحريته واراادته .

وللقارىء هذا المثل الذى يضربه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى  
شرح الصلة بين العلم الالهى والفعل الانسانى قال (مثل علم الله فيكم كمثل  
السماء التى اظلمتكم ، والارض التى اظلمتكم ، فكما لا تستطيعون الخروج من  
السماء والارض ، كذلك لا تستطيعون الخروج من علم الله ، كما لا تحملكم  
السماء والارض على الذنوب ، كذلك لا يحملكم علم الله ما تم ) .

---

(١) القاضى عبد الجبار نرق وطبقات المعتزلة ص ٢٤ ط دار المطبوعات  
الجامعية بالاسكندرية تحقيق د النشار ومصام الدين محمد على .

وبسؤال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من حسالة بعض الناس الذين يزنون ويشربون الخمر ويسرقون ويقتلون النفس زاعمين ان ذلك كان في علم الله تعالى ، غضب ثم قال ( سبحان الله العظيم ، فقد كان ذلك في علمه انهم يفعلونها ، ولم يحملهم علم الله على فعلها ) (١) .

والاجابة توضح نفسها ولا تحتاج الى مزيد ، فان علم الله تعالى المحيط بكل شيء — لانه سبحانه بكل شيء عليم — صفة من صفات الكمال ، والعلم الالهى بها حدث ويحدث وسيحدث لا يحل العباد على أعمالهم .

### الملائكة :

قال جماعة من المفسرين : كان لعمر ارض باعلى المدينة فكان ياتيها ، وكان طريقه على موضع مدارس اليهود ، وكان كلما مر دخل عليهم فسمع منهم وانه دخل عليهم ذات يوم فقالوا : يا عمر ما من اصحاب محمد — صلى الله عليه وسلم — احد احب الينا منك ، انهم يهرون بنا فيؤذوننا وتمر بنسا فلا تؤذينا ، وانا لنطمع فيك ، فقال لهم عمر اى يمين فيكم اعظم ؟ قالوا الرحمن قال فيالرحمن الذى انزل التوراة على موسى بطسور سيناء اتجدون محمدا منذكم نبيا ؟ فسكتوا قال : تكلموا ما سئلتكم والله ما سئلتكم وانا شك في شيء من ديني ، فنظر بعضهم لبعض ، فقال رجل منهم قتال اخبروا الرجل او لاخبرته ، قالوا نعم انا نجده مكتوبا عندنا ، ولكن صاحبنا من الملائكة الذى ياتيه بالوحى هو جبريل ، وجبريل عدونا وهو صاحب كل عذاب وقتل وخسف ، ولو انه كان وليه ميكائيل لامنا به فسان ميكائيل صاحب كل رحمة وكل غيث قال لهم فانشحكم بالرحمن الذى انزل التوراة على موسى بطور سيناء اين ميكائيل واين جبريل من الله ؟ قالوا جبريل عن يمينه ومكائيل عن يساره ، قال عمر : فاشهد ان الذى هو عدو للذى عن يمينه هو عدو للذى عن يساره والذى هو عدو للذى عن يساره هو عدو للذى عن يمينه ان من كان عدوا لهما فانه عدو لله .

ثم رجع عمر ليخبر النبى صلى الله عليه وسلم فوجد جبريل قد سبقه

(١) نفس المصدر ص ٢٦ .

بالوحى فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه ( قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين ) ٩٧ ( من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين ) ٩٨ فقال عمر : والذي بعثك بالحق لقد جئت وما أريد الا أخبرك (١) .

### مكانة الصحابة — رضى الله عنهم — فى الامة :

تخبرنا كتب التاريخ وصحائفه على اكتمال الفهم والمعرفة لاصول الدين جميعا لدى الصحابة رضى الله عنهم وكان ذلك بفضل طاعتهم للآيات القرآنية التى حثتهم على التدبير فى غير موضع ، مثل قوله تعالى ( كتاب أنزلناه اليك مبارك ليذنبوا آياته ) وعلى العكس وصف الكفار والمنافقين بالاعراض عن تدبره فى مثل قوله تعالى عز وجل ( املا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفلها ) ، تعالى تعالى ( املا يتدبرون القرآن ؟ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ) ، ومعنى ذلك ان معانيه مما يمكن للكفار والمنافقين فهمها ومحرمتها نهى انن ممكنة للمؤمنين ايضا ، ويدل على ان معانيه كانت معروفة بينة لهم .

وايضا فان الله عز وجل بين انه انزل القرآن عربيا لكى يعقلوه ( انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ) . والعقل لا يكون الا مع العلم بمعانيه ، ولم من لا يفقهه ( فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ) فلو كان المؤمنون لا يفقهونه لاصطفوا فى صف واحد مع المنافقين والكفار الذين ضرب لهم مثلا بقوله تعالى ( ومثل الذين كفروا كمثل الذى يمتع بما لا يسع الا دعاء ونداء صم بكم عمى هم لا يعقلون ) فكيف انن يمكن وضع السابقين الاولين من المهاجرين والانصار بمنزلة الكفار الذين نهم الله فى اكثر من موضع لانهم اعرضوا عن تدبير القرآن واتبعوا أهواءهم ، فقال تعالى فى وصفهم ( ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ، ماذا قال آنفا ؟ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم ؟

(١) الحافظ ابن عبد البر ( ٤٦٣ هـ ) جامع بيان العلم وفضله ج ٢

ويضيف شيخ الاسلام ابن تيمية الى كل هذه الادلة ، ما ثبت عن كل واحد من اصحاب ابن سعود وابن عباس انه نقل عنهما من التفسير ما لا يحصيه الا الله فقد قال ابن مسعود ( لو اعلم احدا اعلم بكتساب الله مني تبلغه الا بل لا يتيسر ) .

وجاء التابعون فتعلموا التفسير من الصحابة ، قال مجاهد ، عرضت المصحف على ابي عباس من اوله الى آخره ، اقف عند كل آية واسأله عنها ( ولهذا قال مسفيان الثوري - اذا جاسك التفسير عن مجاهد فحسبك به ) ( ١ ) .

فالاصل ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة كما امر ولم يكتم منها شيئا تنفيذا لقوله تعالى ( وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل نزل اليهم ) وقال تعالى ( يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ) . وقد اخبر الله بانه قد اكمل الدين ، وقال الرسول صلوات الله عليه ( ما تركت من شيء يقربكم الى الجنة الا وقد حدثتكم به ، وما من شيء يبعدكم عن النار الا وقد حدثتكم به ) .

وبناء على هذا الاصل ، فانه تبين لنا اوضح كافة الاصول الاسلامية مما اخبر به عن الله تعالى من اسماء الله صفاته ، مما جاء في القرآن وشرح وبين لاصحابه هذه الاصول كلها كلحسن ما يكون البيان . قال ابو زر ( لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علما ) .

وكان الصحابة حريصين على الفهم والاستيعاب الدقيق الكامل لكل ما يتعلمونه من القرآن والحديث ، فان عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ( قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا ) وقام عبد الله بن عمر بحفظ سورة البقرة في ثمان

( ١ ) ابن تيمية فتاوى ج ٥ ص ١٥٧ و ١٥٩ ط الرياض .

سنتين لاستغراقه في المعرفة والنهم (١) .

وكانت أم الدرداء تصف زوجها بأن أفضل عمله الفكر (٢) وعلى العكس من هذه الحقيقة ، فإن الادعاء بأن الصحابة كانوا مشغولين بالجهاد ... كما يفكر بعض المتكلمين فانه يحمل في طيساته ثم الصحابة بل يجمعون مذهب السلف أن الرسول صلى الله عليه وسلم بلغ قرآنا لا يفهم معناه ، بل تكلم بأحاديث الصفات وهو لا يفهم معناها ، وأن جبريل كذلك وأن الصحابة والتابعين كذلك وهذا الموقف — كما يذكر ابن تيمية — ضلال عظيم (٣) .

وشرح ذلك يحتاج الى مزيد من الايضاح ، نذكره فيما يلي :

### منهج الصحابة في النظر والتدبر :

لقد خاطب الاسلام العقل كما راينا ودعا الانسان الى النظر في آثار مخلوقات الله تعالى ، وقد مضى عصر الصحابة في الصدر الاول على هذا المنهج القرآني الواضح وكان تسنوتهم الرسول صلى الله عليه وحده في النظر والسلوك ، حيث عاشوا معه وشاهدوا التنزيل وسألوا واستفسروا عما يعن لهم من قضايا تحتاج الى شرح وايضاح .

وهكذا استمدوا من كتاب الله تعالى معرفة وحدانية الله تعالى ، واثبات صفاته ، وعرفوا الانبياء والرسل عليهم السلام وقصصهم مع اقوامهم ، ووقفوا منه على اصل خلق آدم عليه السلام وعداوة ابليس له ولبنيه ، وعرفوا مكانة الملائكة وادوارهم من بين مخلوقات الله تعالى ، واستمدوا معلوماتهم عن اليوم الآخر وحساب الله تعالى وجنته وناره والقدر خيره وشره الى غير ذلك من القضايا التي تشكل اركاننا الرئيسية واصولا في الایمان . وكلها جمعها القرآن الكريم — كما يرى الزركشي في اقسام ثلاثة توحيد وتفكير واحكام . ( فالتوحيد تدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق باسمائه وصفاته وانعماله . والتذكير ومنه الوعد والوعيد والجنة

(١) ابن تيمية : فتاوى ج ٥ ص ١٥٥ و ١٥٦ الرياض .

(٢) نقض المنطق ص ٨٧ .

(٣) شرح حديث النزول ص ٦٥ .

والنسر وتصفية الظاهر والباطن ، والاحكام ومنها التكليف كلها وتبيين المنافع والمضار والامر والنهي والتدب . فالاول : ( والهكم اله واحد ) فيسه التوحيد كله في الذات والصفات والافعال ، والثاني : ( وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ) ، والثالث : ( وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك — الاية ) ( ١ ) .

وقد خط لهم القرآن الكريم الاستدلال بمخلوقات الله تعالى على وحدانيته سبحانه وعلمه وحكمته ، فانها جميعا تبرهن على ان لها صناعا حكما خيرا تام القدرة بالغ الحكمة ، كما دعاهم الى آثار الصنعة في انفسهم ايضا ( وفي انفسكم افلا تبصرون ) ١٤ اشارة الى ما فيها من آثار الصنعة ولطيف الحكمة الدالين على وجود الصانع الحكيم ( ٢ ) .

ونهاهم الرسول صلى الله عليه وسلم من التفكير في الخالق جل شانه ، نجاء في الاثر ( تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق ) ، وتعليل النهي انه سبحانه ليس كمثله شيء ( فالتفكر الذي يبناه على القياس ممنوع في حقه ، وانما هو معلوم بالفطرة ، فيذكره العبد ) ( ١ ) .

كذلك جاء الرسول صلى الله عليه وسلم بسنته كمصدر ثان للاسلام ولذلك اصبح المنهج الصحيح يقتضى معرفة سنته وتنفيذها ، فمن كان اعلم بسنته واتبع لها كان الصواب معه ، وهذه الاوصاف تنطبق على الصحابة رضى الله عنهم ثم الاجيال التالية من اهل الحديث والسنة ( وهؤلاء هم الذين لا ينتصرون الا لقوله ولا يضاقون الا اليه ، وهم اعلم الناس بسنته واتبع لها ، لكن التفرق والاختلاف كثير في المتأخرين ) ( ٤ ) .

وبهذه الطريقة وضعوا الاسس السليمة للمنهج الصحيح في معرفة اصول الدين وفرومه ، فمن اراد اذن معرفة شيء من الدين والكلام فيسه ، نظر فيما قاله الله والرسول صلى الله عليه وسلم ، فمنه يتعلم وبه يتكلم وفيه ينظر ويتفكر وبه يستدل ، فهذا اصل منهج اهل الحديث والسنة .

- 
- (١) الزركشى : البرهان في علوم القرآن ج ١ ص ١٧ ط الطبى ١٩٥٧م
  - (٢) السيوطى : صنون المنطق ج ١ ص ١٤٣ .
  - (٣) ابن تيمية : نقض المنطق ص ٣٥ .
  - (٤) ابن تيمية : منهاج السنة ج ٢ ص ٤٦ .



أما المخالفون لهذا المنهج ، فلم يراعوا قاعدته ويلتزموا بخطواته ، إذ أنهم بدلا من البدء بالنظر فيما قاله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، بدأوا بما رأوه بمقولهم كما فعل المتكلمون ، أو بما ذاقوه بوجودهم — كما فعل الصوفية — فإذا وجدوا السنة نوافقه والا لم يبسلوا بذلك ، فإذا وجدوها تخالفه ، أعرضوا عنها تفويضا أو حرفوها تأويلا (٢) .

وهذه الصورة المخالفة للمنهج الإسلامى الصحيح كثيرا ما نراها فى عصرنا أيضا ، فيسبب ضغوط ثقافة الغرب وحضارته ، وعلى أثر انتصاره المسكرى والسياسى وتفوقه العلمى ونفوذ الثقافة ، وتأثيره الساحر على العقول والنفوس ، فى مقابل ضالة المعرفة بالإسلام بأصوله وفروعه ، نجم عنه أن أصبح الكثيرون يتبنون الأفكار والفلسفات الغربية ويعطونها شكلا إسلاميا ، ظانين بذلك أنهم يدافعون عنه ويقدمونه الى الأجيال التالية فى ثوب عمري !! (٢) .

### الأدلة العقلية والعقلية على فضل الصحابة رضى الله عنهم

تشهد الأدلة العقلية والعقلية معاملة فضلهم ، وبيان ذلك كالاتى :

#### أولا — الأدلة العقلية :

منها ما قاله تعالى فى وصفهم : ( والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم بإحسان ) سورة التوبة . . ١٠ ، فكانوا هم الأفضل ثم يتناول الوصف من اتبعهم الى يوم القيامة .

وأيضا ثبت فى الصحيحين من غير وجه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ( خير القرون القرن الذى بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ) .

كما ظهر من دراسة السنة النبوية مكانة الصحابة الخاصة بعد رسول

---

(١) ابن تيمية الفرقان بين الحق والباطل ص ٤٧ .

(٢) كالقول مثلا بديمقراطية النظام الإسلامى أو اشتراكيته وتحرر نظمه وقابليته للتطور وغيرها من المصطلحات اللصيقة بفلسفة الغرب وحضارته وتاريخه ، ولها مدلولاتها ومآثرها المخلفة تماما عن مقابلها فى الإسلام بعقيدته وشريعته وتاريخه وحضارته .

الله صلى الله عليه وسلم ، لا سيما الخلفاء الراشدين وباتى العشرة  
المبشرين بالجنة .

الحديث : ( فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين . عضوا  
عليها بالتواجد . واياكم ومحدثت الامور ، فان كل بدعة ضلالة ) (١) .  
والايات والاحاديث كثيرة في وصف انفسهم ومكانتهم الممتازة ، مثل  
قوله تعالى .

( كنتم خير امة اخرجت للناس ) .

وقوله تعالى : ( لا يستوى منكم من اتقى من قبل الفتح وقائل اولئك  
اعظم درجة من الذين اتفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى )  
الفتح . ١٠ .

والحديث ( اوصيكم بالصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم  
ينشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف ويشهد الشاهد ولا  
يستشهد ) (٢) .

كما وصفهم الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث آخر بانهم خير  
القرون ، وبان غيرهم لو اتفق مثل احد ذهباً ، ما بلغ ما احدهم ولا نصيفه .

وقد عانوا وكابدوا كثيراً بعد الاهتداء للإسلام من اهلهم وعشيرتهم  
وقبائلهم ولذتهم واقرب اقربائهم لم يبالوا ، بل صبروا وتبتوا لانهم تفوقوا  
حلاوة الايمان في القلوب وايقنوا صدق الرسول صلى الله عليه وسلم  
واقنعوا بمعيتهم ولم تتأثر نفوسهم وقلوبهم بآية اضطهادات او مشاق  
يقابلونها بسبب معيبتهم ، ثم انطلقوا ينشرونها ويدافعون عنها ويبذلون في  
ذلك الانفس والنفائس .

يقول ابن الوزير اليماني :

لولا ثقل موازينهم في الشرف والدين ما اتبعوا رسول الله صلى الله

---

(١) جزء من حديث ص ٤٣ رواه الامام اسحق وابو داود والترمذي

وقال حديث حسن .

(٢) الحديث رواه احمد والترمذي .

بأئلة الدين الجديد فلم يعباوا أمام وضوح الأئلة ورسوخها في عقولهم  
ومالوا عن الف دين الأباء والأتراب والقسرياء الى أمر شساق عسنى  
القلوب ، ثقيل على النفوس ، لا سيما وهم في ذلك الزمان أهل الأئمة ( ١ ) .

والصحابا رضى الله عنهم هم أيضا الواسطة بين الرسول صلى الله  
عليه وسلم وبين الأمة ، ولذلك امتدحهم عليه السلام وجعلهم الأئمل على  
مدى الأجيل ، ففى حديث صحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
( لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا  
نصيفه ) ( ٢ ) .

قال ابن عبد البر ( وما أظن أهل دين من الأديان الا وعلماءهم معينون  
بمعرفة أصحاب أنبيائهم ، لانهم الواسطة بين النبى وبين أمته ) ( ٣ )

والأئلة كثيرة تدل على مطننتهم وذكائهم ، وانهم كانوا أصحاب دراية  
وفكر ونظر ، ولم يكونوا من السذج بحيث يخدعون أو يؤمنون كايان العلبة  
يروى لنا ابن كثير فى تفسيره عن أحد صالحى المهاجرين ( هو جندب بن كعب  
الأزدى ) قد رأى عند الوليد بن عقبة ساحرا يلعب بين يديه ، فكان يضرب  
رأس الرجل ثم يصيح به فيرد اليه رأسه ، فقتل الناس سبحانه الله يحيى  
الموتى فلما كان الغد جاء مشتتلا على سيفه ، وذهب يلعب لعبة ذلك ،  
فاخترط الرجل سيفه فضرب عنق الساحر وقتل أن كان صادقا فليحى نفسه  
وتلا قوله تعالى ( اتاتون السحر وانتم تبصرون ) ؟ ولا شك انه كان يعرف  
الحديث ( جد الساحر ضربة بالسيف ) ( رواه الترمذى ) ( ٤ )

ولا نظن أننا نغالى اذا قلنا انهم عاشوا على اعتاب عالم الغيب  
وتملئوه وكأنه عالم مشساهد حاصر أمامهم يرونه ويمشسون فيه ، فكثروا

( ١ ) ابن الوزير اليمانى : الفب عن سنة أبى القاسم ج ١ ص ٥٥ .  
( ٢ ) رواه البخارى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه .  
والمد : ربع الصاع ، وانما قدره لانه أقل ما كثروا يتصدقون به و  
المسادة .

( ٣ ) ابن عبد البر : الاستيعاب — ق ١ ص ١٩ .  
( ٤ ) ابن كثير : التفسير ج ١ ص ١٢٩ ط دار الشعب .

يتنافسون في طلب الشهادة للانتقال من الحياة الفانية الى الحياة الباقية تحقيقا للسعادة الابدية عند ربهم عز وجل ، وها هو حارثة — رضى الله عنه — يسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ( كيف أصبحت يا حارثة ؟ قال أصبحت مؤمنا بالله حقا ، قال انظر ما نقول ؟ فان لكل قول حقيقة ، قال يا رسول الله ، عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظلمت نهارى ، وكأنى بعرض ربي عز وجل بنرزا ، وكأنى انظر الى اهل الجنة يتزاوون فيها ، وكأنى انظر الى اهل النار يتعاوون فيها ، قال الزم ، عبد نور الله الايمان في قلبه (١) .

فأما درجة السابقين كآبى بكر وعمر فذلك لا يبلغها احد وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ( قد كان في الامم قبلكم محدثون ، فان يكن في أمتى فعمير ) وفي حديث آخر ( ان الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه ) وقال على ( كنا نتحدث ان السكينة تنطق على لسان عمر ) وفي الترمذى وغيره ( لو لم أبعث فيكم أبعث فيكم عمر ، ولو كان بعدى نبى ينتظر لكان عمر ) .

ومع هذا فالصديق أكمل منه ، فان الصديق كمل في تصديقه للنبي صلى الله عليه وسلم فلا يتلى الا عن النبي والنبي معصوم . والمحدث — كعمر — يأخذ أحيانا عن قلبه ما يلهيه ويحدث به ، لكن قلبه ليس معصوما . فعليه ان يعرض ما تلقى عليه على ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فان وافقه قبله ، وان خالفه رده . ولهذا قد رجح عمر عن أشياء ، وكان الصحابة يناظرونه ويجنون عليه ، فاذا بينت له الحججة من الكتاب والسنة رجح اليها وترك ما رآه والصديق إنما يتلقى عن الرسول صلى الله عليه وسلم لا عن قلبه . فهو أكمل من المحدث . وليس بعد أبى بكر صديق أفضل منه ، لا بعد عمر محدث أفضل منه . (٢) .

( ابن الاثير/أسد الغابة في معرفة الصحابة ج٢ ص١٢٥ — ١٢٦ ط الشعب .

(٢) ابن تيمية : الرد على المنطقيين ص٥١٣ — ٥١٤ .

بعد هذا التوضيح لا نرى مزيدا لمستزيد لتقرير كمال المنهج الذى اتبعه الصحابة فى معرفة الدين اصولا وفروعا (١) .

### ثانياً — الدليل العقلى :

مفضلا عن النصوص المستفيضة عن الصحابة رضى الله عنهم فى التفسير ، والتي تدل على فهم القرآن الكريم وتدبرهم ، واحاطتهم بالادلة التى قدمها كالايات وضرب الامثلة واستخدام الاقيسة العقلية ، فان استخدامنا للدليل العقلى يبرهن ايضا على ان حواريين الرسل وصحابتهم هم اكثر الناس فهما لرسالتهم من غيرهم باصولها الكبرى وفروعها ودقائقها ايضا ، وان المتأخرين هم اكثر الناس بعسدا عن الرسالات وفهوما باستثناء القلة الحريصة على اتباع السابقين عليهم بمنهج النقل الدقيق كما فعل اهل الحديث والسنة .

وهذا هو التفسير المنطقى المعقول الذى يشهد به تاريخ الدموات الدينية ، فهى ( تقوم ابان نشأتها على معتنقين اتجهوا نحوها بقلوبهم وتقاتوا فيها بأرواحهم . . . وكم روى التاريخ من اخبار الرسول صلوات الله عليه ان اشارته كانت تعادل بالتنفيذ من الجبهيسع ، فاذا ما فترت الدعوة وضمت العقيدة وخمدت حرارة الايمان الاولى ، أخذ الناس يبحثون فى معتقداتهم ويمطلون ويناقشون ويعارضون (٢) .

ولم نذهب بعيدا فى التعليل والتفسير بينما كان مبد الله بن عباس رضى الله عنهما سابقا الى تعليل اختلاف المسلمين متتبنا بما سيحدث فى العصور التالية لعصر الصحابة مفسرا اياه بنتمس درايتهم بالقرآن وانقادهم لفهيسه على الوجه الصحيح . لقد خلا عبر رضى الله عنه ذات يوم فجعل يحدث نفسه : كيف تختلف هذه الامة ونبيها واحد ؟ فرسل الى ابن عباس رضى الله عنهما فقال : كيف تختلف هذه الامة ونبيها واحد وقيلتها واحدة وكتابها واحد فقال ابن عباس : يا امر المؤمنين ، انما علينا القرآن فقراناه وعلينسا

(١) لم يكن تقسيم الدين الى اصول وفروع معروفا فى عصر الصحابة والتابعين ولكن هذا التفريق ظهر من جهة المعتزلة .

(٢) د . ابراهيم مذكور : فى الاخلاق والاجتماع ص ٢٦ ط الهيئة العلمية للنشر .

فيما أنزل وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرأون القرآن ولا يدرون فيها نزل ،  
فيكون لهم فيه رأى ماذا كان كذلك اختلفوا فيكون لكل قوم فيه رأى . . فإذا  
اختلفوا اختلفوا (١) .

وكانت طرق استدلال الصحابة مستمدة من النظر في المخلوقات والتأمل  
في عجائب صنع الله تعالى وما يطرا عليها من تغيرات على مدار الأزمنة ،  
فأيقنوا أنها لا بد أنها مخلوقة من رب حكيم ، أحسن كل شيء خلقه وأتقن  
صنع كل شيء . عن الحسن البصرى قال ( كانوا — يعنى الصحابة —  
يقولون الحمد لله رب الرقيق الذى لو جعل هذا الخلق خلقا دائما لا ينصرف  
لقال الشاك في الله ، لو كان لهذا الخلق رب لحادثه ، وان الله قد حادثه بما  
تروون من الآيات : أنه جاء بضموء طبق ما بين الخافقين ، وجعل فيها محاشا  
وسراجا وهاجا ، ثم اذا شاء ذهب بذلك الخلق وجاء بظلمه طبقت ما بين  
الخافقين وجعل فيها سكنا ونجوما وقمرنا منيرا ، واذا شاء بنى بناء جعل فيه  
من المطر والبرق والرعد مائشاء، واذا شاء صرف ذلك، واذا شاء جاء ببرديتقرف  
( من الرقعة أى الرعدة ) الناس، واذا شاء ذهب بذلك وجاء بحر يأخذ بالتناس  
النفس ، ليعلم الناس ان لهذا الخلق ربا يحادثه بما يرون من الآيات ، كذلك  
اذا شاء ذهب بالدنيا وجاء بالآخرة ) .

وترى الصحابة — طبقا لهذا الاستدلال — قد سلكوا الطريق الفطرى  
المطابق لطريق البرهان العقلى فى اثبات وجود الله سبحانه وتعالى ، وأنه  
خالق كل شيء وهو سبحانه المحيى والناساعل بمشيئته وقدرته ، ولم يفعلوا  
كما فعل بعض فلاسفة اليونان عندما فسروا صدور الكون بأنه معلول يقارن  
عنه ( فان ذلك يمتنع محادثته أى احداث الحوادث فيه ) (٢) .

من هذا يتبين أيضا ان أدلة الشرع أدلة عقلية ، فقد فطر الله تعالى  
عباده على معرفة الحق وقد بعث الرسل — كما يصنفهم ابن تيمية — بتكميل  
النظرة . قال تعالى ( سنريهم آياتنا فى الأفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه

(١) الشاطبى — الاعتصام ج٢ ص ١٠٧ ط دار الشعب .

(٢) ابن تيمية — جامع الرسائل — المجموعة الاولى ص ١٣٩ .

تحقيق . محمد رشاد سالم ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ط المدنى بالقاهرة .

الحق ) فصلت . وتفسيرها أنه سبحانه أخبر أنه سيربهم الآيات ( الافتقاة  
والنفسية المبينة ، لأن القرآن الذي أخبر به عباده حق ، فقتطابق الدلالة  
البرهانية العيانة ويتصادق موجب الشرع المنقول والنظر المعقول (١) .

والتفسير العقلي أيضا يبرهن على نجاحهم الكامل مع العقيدة التي  
تغلغت الى نفوسهم فان الدارس لاحوالهم وسلوكهم خلال سنوات الازمات  
والجهاد الشاق على النفس وعلى الهوى وفي مواجهة الامل والاصحاب  
والعادات المألوفة والمعتقد الوثنية الباطلة التي نشأ البعض عليها بالمقارنة  
بين تصرفاتهم وعقائدهم قبل وبعد الاسلام وفي ضوء دراسة اعمالهم  
وسلوكلهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخشيتهم لربهم ونهمهم  
لدقائق العقيدة بعد ان تلقوها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمد  
كل هذا يمكن وصفهم بأنهم الاعلم والاحكم من كل من جاء بعدهم .  
وتكفي بواقعة واحدة للمقارنة ، تلك هي موقعة تبوك حيث بلغت بهم  
الشدة مبلغها .

يقول ابن كثير ( ومن هنا تبين فضيلة اصحاب محمد صلى الله عليه  
وسلم رضى الله عنهم على سائر اصحاب الانبياء في صبرهم وعدم تعنتهم  
كما كانوا معه في اسفاره وفزواته منها عام تبوك في ذلك القبط والحسر  
الشديد والجهد لم يسألوا خرق عادة ولا ايجاد امر مع ان ذلك كان سهلا  
على الرسول صلى الله عليه وسلم لما اجهدهم الجوع سألوه في تكثير طعامهم  
فجمعوا ما معهم فجاه قدر مبرك الشفاء ندعا نبيسه وامرهم فملأوا كل وعاء  
معهم . وكذا لما احتاجوا الى الماء سال الله تعالى فجات سحابة فلبطرتهم ،  
نشربوا وسقوا الابل وملأوا اسقيتهم ثم نظروا فاذا هي لم تجسوز العسكر  
فهذا هو الاكمل في الاتباع المشى مع قدر الله مع متابعة الرسول صلى الله  
عليه وسلم (٢) .

(١) منهاج السنة ج١ ص ٨٢ .

(٢) ابن كثير — التفسير ج١ ص ١٣٩ ط الشعب .

وهل نتصور أن أهل المصنوع التالية كانوا أكثر فهما للدين وأصوله من الصحابة ؟ أو أنهم أفتقروا وأروع منهم أن ذلك يعدد قلبا للأوضاع وتبديلا لموازين القياس الصحيح ، إذ سجل لنا التاريخ فضائل أعمال الجيل الأول بمخاليقهم في الفهم والتطبيق فلم يشغلهم الجهاد عن التدبر والفهم العميق للإسلام بمقيدته وعباراته وأحكامه ، وكثرة الروايات عن الجهاد والأعمال الصالحة تطوى في ذاتها على عمق الإدراك والوعى بالرسالة والتحرك بها فانسرفوا عن الجدال واهتموا بالأعمال ، ولكن الأوضاع انقلبت بعندهم ، فظهر الجدل في الدين على حساب العمل ، أو كان بداية لتفترقة وحدة المسلمين وتمتيت جماعتهم وظهور علامات الوهن بين صفوفهم .

لذلك اعتبر علماء الحديث ظهور الجدل الكلامي لونا من الردة ، وملووه بقلة الفهم في الدين وذهاب العلماء لقول الدارمي « وكانوا مقومين أيام الصحابة والتابعين ، متهورين بسلطان الدولة وحجج العلماء ، ولكنهم عندما بعد الزمن ، وجدوا الفرصة لنشر مذاهبهم عندما وجدوا من الرعاع جهلا ومن العلماء قلة » (١)

لقد بحث المتكلمون ونقبوا في تاريخ الصحابة وأيامهم فلم يجدوا آثارا تدل على خوض الصحابة فيها ، فاستنتجوا أنهم لم يمرتوها .

وهذا منهج خاطيء في البحث والتصوير لقول السفاريني :

ولما كان عصر الصحابة والتابعين لهم بإحسان خاليا من البدع الكلامية والشبه الخيالية والخصوم المعزلية ، لم تكن أدلة علم أصول الدين مدونة هذا التدوين . ( مختصر السفاريني ٥ )

كما تمادى المتكلمون بالطعن في الصحابة فزعموا أنهم كانوا مشغولين بالجهاد عن تناول أمهات أصول الدين !!

---

(١) عقائد السلف .



ولا يمكن تفسير الانتصارات المذهلة للصحابة الا في ضوء استجابتهم لعقيدة الاسلام وفهمها حق الفهم وتطبيقها عمليا لماجتسبوا غيرهم من الشعوب ذات الحضارات العريقة فكان الصحابة في وضع الطلائع والصفوة الممتازة .

ولما كانت حضارة الاسلام منتصرة وسائدة — لا انتصارا عسكريا فحسب ، فان ذلك يهبر عن المقدمات — ولكن تطفلا الى اعماق الشعوب عقائديا ونفسيا لان حملة العقيدة الجديدة كانوا هم الافضل والاجدر بالاتباع والانقياد .

وظهرت حروب الردة لتكشف معساذن الرجال ببرهنة على ان قسوة الايمان في صف ابي بكر والصحابة وقد وثقت سدا مانعا لمواجهة اية ثغرة في العقيدة ، وكانت محكا لاثسّر الايمان في النفوس والنهم الصحيح لعقائد الاسلام ، فقد كشفت الردة عن ( حقيقة التصور الالهى في اذهان المسلمين وسلوكهم حين تحول الى اعمال وحرب حتى لا يتمكن المرتدون من تشويه العقيدة ، او انتقام المنهج ، او ادخال شيء من الجاهلية في الاسلام ) (١) ان هذا النهم المتزج بالايمان هو الدافع الحقيقى لجهاد الصحابة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والتسابق للاستشهاد ، ومع المسديق رضى الله عنه بمسده .

الا يحق لعلماء اهل السنة والجماعة سلوك طريقهم واعتبارهم الجيل المثالى في العقيدة والسلوك ؟

ولن يدهشنا اذا عندما نرى احد علمائهم — وهو الدارمى — يقول :  
نلم يظهر حبهم واصحابه — وهم اول من قالوا بالجبر ونفوا الصفات الالهية — في زمن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبار التابعين نيروى عنهم فيها اثر منصوص « مسمى ولو كانوا بين اظهرهم مظهرين آراءهم لقتلوا ، كما قتل على رضى الله عنه الزنادقة — وهم اتباع عبد الله

---

(١) محمد حسن بريغش : ظاهرة الردة في المجتمع الاسلامى الاول  
ط مؤسسة الرسالة — بيروت

بن سبأ اليهودى الذى قالوه بتأليه على — والتي ظهرت في عصره ، ولقتلوا  
كما قتل أهل الردة (١) .

ويوضح لنا الدارمى بهذا الراى كيف دارت عجلة التاريخ لتطبيق سنته  
في رقى الامم وتدهورها ، اذ عبرت الغلول المهزومة في الحضارات المغلوبة  
عن نفسها بنشر فلسفاتها ونظراتها للالوهية والكون والانسان ، او باثارة  
المشكلات المعائنية التي كانت تعاني منها ابا نأزماتها .

وما اذهل عقول مؤرخى التاريخ وفلاسفته ان المسلمين قاموا بغزو  
بلاد ذات حضارات عريقة ، فكان من المنتظر قياسا على الغزوات المماثلة  
من قبل كغزوات الاسكندر الاكبر مثلا — حيث لم تتجاوز اممائه مجال  
الدمير الحضرى بمظهرها المادى فقط — كان من المنتظر بقضاء الانكار  
الفلسفية والدينية للسكان الاصليين كما هي ، ولكن ما حدث نتيجة انحصار  
المسلمين لم يتوقع لانه اكتسح مالا قاه في طريقه كالسيل الجارف (مقتصر كل  
شئ بين يوم وليلة . ولم يقتصر في هذه المرة على الواجهة السياسية  
والاقتصادية في المدن الكبرى فقط ، وانما تغلغل في الامايق النفسية لهذه  
الشعوب جميعا : ممالغات والامكار والقانون والامال والعادات وتصور  
العالم ومعقيدة الالوهية ، كل ذلك قد طرا عليه تغيير جذرى سريع (٢) .

والشواهد اكثر من ان يستدل بها في هذا الموضوع والا اضطررنا الى  
عرض حياة عشرات بل مئات الصحابة رضوان الله عليهم ومنهم من فسر القرآن  
الكريم ومنهم من تفقه ومنهم من اخص بالامناء والاجتهاد . والامثلة كثيرة على  
مثل هذه التخصصات . ولو مضينا في دراسة انشطتهم العلمية لخرجنا بصورة  
كاملة من حقيقة مقائدهم اذ توصلوا اليها في كافة اوجه اصول الدين من  
معقيدة التوحيد الى الصفات الالهية الى مسألة القضاء والقدر الالهى ، الى  
الانسان وحقيقته وغايته واخلاقه ، الى المجتمع ومكوناته والحياة الانسانية  
بكافة جوانبها حتى قال الامام احمد بن حنبل ( لقد حدثت اجناس الاعمال  
في عصر الصحابة ) ويقصد بذلك انهم ارسو قواعد الحياة

(١) عقائد السلف ص ٣٤٩ .

(٢) د . نراز : منخل الى القرآن الكريم ص ٥٤ .

ط دار القلم — الكويت ١٣٩١ هـ — ١٩٧١ .

وقال الامام احمد ( انه ما من مسألة الا وقد تكلم فيها الصحابة او في نظيرها فانه لما فتحت البلاد وانتشر الاسلام حدثت جميع اجناس الاعمال فتكلموا فيها بالكتاب والسنة ، وانما تكلم بعضهم في مسائل قليلة (١) .

ويقصد بذلك انهم ارسوا قواعد الحياة الاسلامية الحقيقية كلها . هذه الحياة الكاملة التي تتناول العقيدة والعبادات والاخلاق في دائرة واحدة يعبرون عنها بحياتهم اليومية العادية والمعارك العسكرية والمعاملات التجارية والعلاقات الاجتماعية في الاخوة والصحة والزواج والعناق والمسرات والاحزان وهذه لمزية ينفرد بها الصحابة دون من جاء بعدهم ، لانه ما ان انقضى عصرهم حتى ظهرت بواكير التحول التدريجي البطيء من هذه الحياة النموذجية الى حياة اقل درجة منها ، ثم ظهرت الفتن والفتائل شأن سنة الحياة في النزول عن القمة بعد بلوغها الذروة .

ومن هنا أصبحت تقاس اطوارنا تاريخيا بالنظر الى اقترابها او ابتعادها عن المجتمع الاسلامي في الخلافة الراشدة وما حققته الحضارة الاسلامية في هذا الطور العظيم ، فاذا تكلمنا عن الشورى والبيعة والعدالة ، واذا تكلمنا عن المساواة في الحقوق والواجبات بين الناس ، واذا تكلمنا عن الفتوحات ورايات الاسلام الخفاقة المنتشرة في الارض حينذاك ، فلن نجد مصدرا غنيا كاملا بكل ما تحقق في هذه الميادين الا في وقت الخلافة الراشدة والقرون الاولى المفضلة .

ولهذا فان التاريخ يسجل الصلة العكسية بين ظهور الحضارة الاسلامية واتساع نفوذها واثر اشعاعها وفتوحاتها وبين ظهور الفسوق وانقسام صفوف المسلمين بين نحل ومذاهب تتطاحن وتتفاحر .

واذا عبرنا بلغة فلسفة التساريخ لنفهم تاريخ المسلمين ، عثرنا على الرباط الوثيق بين تنفيذ قواعد الشرع ونهم الاسلام من واقع مصدره وبين النصر والظهور للمسلمين وبلوغ حضارتهم الى الذروة ، ففي العصور الاولى عندما كان الصحابة والتابعون يسرون على طريق الشرع بنهم ووعي ، انتصروا في الغزوات وقهروا الاعداء وحققوا مجتمعا انسانيًا مثاليًا لم تر

---

(١) ابن تيمية — معارج الوصول الى ان اصول الدين وغروعه قد بينها الرسول ص ١٢ ط المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

البشرية مثله ، ثم أصاب الوهن المجتمعات الاسلامية وظهر الضعف في اوصالها على اثر ضعف العقيدة في النفوس وظهور البدع .

ولا تخطيء عين الباحث المنقب في كتب التاريخ ملاحظته ما حققه المسلمون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم بقيادته ثم الصحابة والتابعون .

وإذا شئنا تفصيلا موجزا ، رأينا أن عصر بنى أمية امتلا بالفتوحات والانتصارات ولكن يعلب على أمرائهم تأخير الصلاة .

وكان أوائل خلفاء بنى العباس افضل ممن سبقهم من بنى أمية لشمار الصلاة في أوقاتها .

وفي عصر المأمون ( ٢١٥ هـ ) ترجمت الكتب اليونانية وكان ذلك على حساب العقيدة ، فعندما تدخلت المفاهيم الفلسفية اليونانية انحرفت العقيدة ، وزادها انحراما غلو التشيع ثم التصرف بمذاهبه المتطرفة كالحلول ووحدة الوجود ، واختلط علم الكلام لدى المعتزلة بمصطلحات الفلسفة اليونانية .

ورويدا رويدا ضعفت الذاتية الاسلامية الاصلية — المتضمنة للعقيدة والامال — لدى الكثيرين ، وحلت محلها انكار فلسفية اجنبية ، او مذاهب كلامية متطرفة ، فضمنت من اثر العقيدة في النفوس ، وحولت المسلمين الى غير اهداف الاجيال الاولى ، ونزعت من القلوب الخوف والرجاء والمحبة لله تعالى بأسمائه وصفاته الحسنى التي كان الأوائل يندفعون بها في ميادين الحياة والجهاد وتمير الارض والسعى فيها ، تحولت الى مناقشات وجدال ، فمهدت الجنوة المشتعلة وتحولت احيانا الى ما يشبه الرماد ، فظهر الضعف وتغلب الاعداء .

## **الفصل الثاني**

### **أحداث الردة والفتن**

- الامتراق عن مذهب الصحابة رضى الله عنهم .
- موقف التابعين ازاء المخلفين .
- ظهور الجدل فى أصول الدين .
- مذهب اهل السنة والجماعة .



يبين لنا مما تقدم ان المسلمين في الصدر الاول من الصحابة واوائل  
عصر التابعين تقيّدوا بالمنهج الاسلامي الصحيح .

فان افضل الخلق بمعد الانبياء هم الصحابة ، فلا ينتصر لشخص  
انتصارا مطلقا عما الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا لطائفة  
انتصارا مطلقا الا للصحابة رضی الله عنهم اجمعين (١) .

وان ارتد ناس بمعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليسوا من  
الفرقة الناجية .

أولا — خصوم أبي بكر رضي الله عنه كمسيمة الكذاب .

ثانيا — السبئية اتباع عبد الله بن سبا .

ثالثا — المختار بن أبي عبيد .

وشرح حديث الفرق الناجية يقتضى انه كل من خرج عن الجماعة  
فينطبق عليه وصف الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال ابن تيمية — وكذلك  
يدل الحديث على مفارقة الاثنتين والسبعين في اصول المعتاد ، بل ليس في  
ظاهر الحديث الا مباينة الثلاث والسبعين كل طائفة للآخرى ، وحينئذ معلوم  
ان جهة الافتراق جهة ثم لا جهة مدح ، فان الله تعالى امر بالجماعة والائتلاف  
وعدم التفرقة والخلاف ، فقال تعالى ( واعتصموا بحبل الله جميعا ولا  
تفرقوا ) .

وقال تعالى ( ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم  
البينات واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فلها الذين  
اسودت وجوههم ) .

قلوب ابن عباس وغيره : ( تبيض وجوه اهل السنة وتسود وجوه اهل  
البدعة والفرقة ) .

وقال تعالى ( ان الذين فرقوا دينهم وكتفوا شيئا منهم في شيء ) (٢)  
وقال ( وما اختلف بيته الا الذين اوتوه بعد ما جاءتهم البينات بغيبا  
بينهم ) .

(١) ابن تيمية : منهاج السنة ج٢ ص٦٦ .

(٢) ابن تيمية : منهاج السنة ج٢ ص١٠٤ .

وقال ( وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة ) .  
وإذا كان كذلك فاعظم الطوائف مفارقة للجماعة وانتراقا في نفسها أولى  
الطوائف بالضم وأقلها انتراقا ومفارقة للجماعة أتربها إلى الخلق (٣) .  
والحديث نفسه ليس في الصحيحين بل قد طعن فيه بعض أهل الحديث  
كابن حزم وغيره ، ولكن قد رواه أهل السنن كابن داود والترمذي وابن ماجه  
ورواه أهل الاستياد كالإمام أحمد .

ويتقدير ثبوته فهو من أخبار الأحاد ، فكيف يجوز أن تحتجوا في أصل  
من أصول الدين وأصلال جميع المسلمين إلا فرقة واحدة بأخبار الأحاد ؟  
وعلى أية حال فإن الحديث يصف حال الجماعة ، فقد رواه في حديث  
آخر : ( هم الجماعة )

وفي رواية ( من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ) .  
السنة : ما كان صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه عليها في عهدهما  
أمرهم به أو أقرهم عليه أو فعله .

أهل الجماعة : هم المجتمعون الذين ما تفرقوا دينهم وكتابوا شيئا ، وهم  
أقل اختلافًا في أصول دينهم من سائر الطوائف (٤) . وأهل الجماعة أقل  
اختلافًا في أصول دينهم من سائر الطوائف .

فإن الحق مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فمن كان أعلم بسننه  
واتبع لها كان الصواب معه وهؤلاء هم الذين لا ينتصرون إلا لقوله ولا يفسنون  
إلا إليه ، وهم أعلم الناس بسننه وأتبع لها وأكثر سلف الأمة كذلك ، لكن  
التفرق والاختلاف كثير في المتأخرين (٥) .

---

(٣) ابن تيمية : منهاج السنة ج٢ ص ١٠١ .  
(٤) ابن تيمية : منهاج السنة ج٢ ص ١٠٢ ، ج٢ ص ٦٢ .  
(٥) منهاج السنة ج٢ ص ٤٠ ، ج٢ ص ٤٦ .



وقد سار أهل الحديث والسنة والجماعة بمنهج اتباعهم الكتاب والسنة  
ابتقة من نبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم في الأصول والفروع وما كان  
به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بخلاف المنشقين عن هذا  
منهج — كما سيتضح لنا تباعا — فانهم خالفوا هذه المساعدة الاصولية ،  
اعتزلة والشيعة والخوارج ومن وافقهم ، فانهم لا يتبعون الاحاديث التي  
اها الثقات عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم التي يعلم أهل الحديث  
حتها والادلة على ذلك أن المعتزلة يقولون هذه اخبار آحاد ، ويظن  
بيعة في الصحابة ونقلهم وهذا طعن ضمني في الرسالة . والخوارج  
برون عن موقف قائلهم ( اعدل يا محمد فانك لم تعدل ) ولهذا قال النبي  
لى الله عليه وسلم ( ويلك ان لم اعدل من يعدل لقد خبت وخسرت ان لم  
نل ) (٦) .

وقد ظهرت الفرق والآراء الكلامية المتقدمة تباعا ، وجابهها علماء  
سنة والجماعة للرد عليها واعادتها الى الصنف الاسلامي بعقيدته في الصدر  
ول .

وكما تفتقت الاحداث عن انحراف ما ، اسرع الجهادية من علماء أهل  
سنة والجماعة لتصويبه واظهار وجه الحق ، اذ ظهرت افكار الخوارج  
سبب قصورهم في فهم آيات من القرآن الكريم ، وبدأ التشيع عندما قتل  
حسين سيد الشهداء . . الى آخر الاحداث التي سجلتها كتب التاريخ ،  
خذت الآراء تكثر وتتشعب ، والفرق تتشكل وتتحزب حول معتقداتها .

ثم انتقلت اصداء هذه الخلافات والمناقشات الى كتب علم الكلام  
أخذ مكانها بين الآلاف من صفحاتها غرضا وتقنيدا ونقاشا . وهكذا ظهر  
جدل في اصول الدين .

#### تفراق عن مذهب الصحابة في اصول الدين :

أن مذهب الصحابة رضى الله عنهم — كما يفكر الشاطبي — وعليه

دأبوا فلم ينكر احد منهم ، بل اتقوا واذعنوا لكلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصادموه ولا عارضوه بأشكال ، بل آمنوا به واقروه (٧) .

وتعليل ذلك عنده : —

١ — ان الرسول صلى الله عليه وسلم نهاهم عن التفتيب فيها لا طائش وراه بمثل قوله ( خرونى ما تركتكم فانما هلك الذين من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، واذا امرتكم بشيء فخذوا منه ما استطعتم ) ولهذا قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ( ان اصحاب الراى اعداء السنن اعيبتهم ان يحفظوها وتفتتت منهم ان يعسوها ، واستحيوا حين سئلوا ان يتسولوا لا نعلم فعارضوا السنن برأيهم فياكم واياهم ) .

والاثر كثيرة تشير الى ثم ايثار نظر العقل على آثار النبي صلى الله عليه وسلم، ثم جاء جهنم بن صفوان وغيره مخالفا السنن وعارضوها بعقولهم فاستسلوا قياسهم وآراءهم في رد الحديث .

٢ — ان جميع ما قالوه مستمدة من معنى قول الله تعالى ( فاما الذين وقلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ) ثم قال ( والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ) ، فانها صريحة في هذا الراى الذى قررناه — فان كل ما لم يجر على المعتاد في الفهم متشابه ) .

٣ — اتخذوا من الشرع حجة قاطعة وحاكما اعلى ، وظهرت هذه الحقيقة في عدة مواقف عقب انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنها يوم السقيفة اذ قتل بعض الانصار ( منسا أمير ومنكم أمير ) فالتى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الاممة من تريض اذعنوا لطاعة الله ورسوله ولم يعبلوا برأى من رأى غير ذلك لعلمهم بان الحق هو المقدم على آراء الرجال .

وفي حرب ابي بكر لما نعى الزكاة ، قال له عمر رضى الله عنهما . كيف

---

(٧) الشاطبى : الاعتصام ج٢ ص١٩١ ٢ — نفس المصدر ج٢ ص٢٠٧

نقاتل وقد مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقول لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني جسامهم وأموالهم الا بحقتها وحسابهم على الله ، فرد أبو بكر بقوله ( الا بحقتها ) فنقل الزكاة حق المال ، مع أن الذين أشاروا عليه بترك قتالهم انما أشاروا عليه بأمر مصلحي ظاهر تعضده ، بمسائل شرعية ، ولكن لم يقو عنده آراء الرجال أن تعارض الدليل الظاهر الخ .....

ونفهم من استقراء اقوالهم وسلوكهم في جميع اصول الدين أنهم كانوا يتقيدون بهذا المنهج أى تقديم الشرع على العقل ، لا عن قصور في الفهم ، ولكن لمعرفةهم بمكانة الشرع وضرورة تقديمه على الاستنباطات العقلية .  
واليكم موافقتهم من هذه الاصول : —

( ١ ) ففيما يتصل بمسائل الغيب كالكلام عن الميزان والصراف وعذاب القبر والميزان وأوصاف أهل الجنة وأوصاف أهل النار .

فلم ينكر أحد منهم ما جاء من ذلك بل أقروا وأذعنوا لكلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يصادموه ولا عارضوه بأشكال ، ولو كان شيء من ذلك لنقل اليه كما نقل اليه سائر سيرهم وما جرى بينهم من القضايا والمناظرات في الاحكام الشرعية ، فلما لم ينقل اليه شيء من ذلك دل على أنهم آمنوا به وأقروا ، كما جاء من غير بحث عن الكيفيات لامور الغيب .

ويذكر لنا الشاطبي في كتابه « الاعتصام » طريقة الصحابة ازاء هذه المسائل موضحا على سبيل التفصيل الاتجاه الصحيح في تلقى الاخبار المنقولة من صاحب الشرع :

— ففهموا وصف الصراف بأنه كحد السيف لأن العبادة قد تخرق حتى يمكن المشي والاستقرار .

— وفي مسألة الميزان فثبتوا ان كينيته تليق بالدار الآخرة ، لان الاعمال ليست كالأجسام التى توزن في دارنا . ولم يأت في النقل ما يعين انه كميزاننا من كل وجه .

— مسألة عذاب القبر ، فان رد الروح الى الميت وتعذيبه بخير ان يراه  
البشر او يسمونه امر ثابت بالحديث .

والعقل يسلم بما نراه ، فالميت يعالج سكرات الموت ويخبر بالام لا مزيد  
عليها ولا نرى عليه من ذلك اثر ، وكذلك اهل الامراض المؤلمة .  
مستند الى الآيات والاحاديث الدالة على ذلك .

— ويلحق بها مسألة سؤال الملكين للميت واتعماده في قبره ، فانه انما  
يشكل اذا حكمنا المعتاد في حياتنا الدنيا ، ولكنه من قبيل خرق العوائد التي  
لا تحيط بمعرفتھا العقول . كاتطاق الجوارح شاهدة على صاحبها يوم  
القيامة ، وقراءة الصحف ان لم يقرأ قط .

— رؤية الله عز وجل في الآخرة جائزة ، اذ لا دليل في العقل يدل على  
انه لا رؤية الا على الوجه المعتاد عندها .

— كلام الجباري تعالى انها نفاه من نفاه وقولنا مع الكلام الملازم للصوت  
والحرف ، وهو في حق الله عز وجل محال ، تكلامه تعالى خارج عن مشابهة  
المعتاد لائق بالرب اذ لا يجزم العقل بأن الكلام اذا كان على غير الوجه المعتاد  
محال . فالوقف الصحيح اذن الوقوف مع ظاهر الاخبار مجردا .

— وكذلك باقى الصفات ، انها نفاه من نفاها للزوم التركيب عنده في  
ذات الجباري تعالى وهذا قطيع من العقل الذي ثبت تصور ادراكه في  
المخلوقات فكيف باثبات صفات ، فالصواب في حقه ان يثبت من الصفات  
ما اثبتة لنفسه ، والاقترار مع ذلك بالواحد نية له على الاطلاق والعموم .

— تحكيم العقل على الله تعالى بحيث يقول يجب عليه بعثة الرسول  
ويجب عليه الصلاح والاصلاح ويجب عليه اللطف الى آخر ما ينطق به  
اصحاب المذاهب العقلية والمنحرفة ، ونتج هذا لان المعتاد ، انما حسن في  
المخلوق من حيث هو عبد مقصور محصور ممنوع ، والله تعالى ما يبيعه شيء  
ولا يعارض احكامه حكم ، فالواجب الوقوف مع قوله تعالى ( قل فله الحجة  
البالغة ) وقوله ( يفعل ما يشاء ) ( ٨ ) .

موقف التابعين ازاء المخالفين :

كان موقف علماء التابعين امتدادا للصحابة رضى الله عنهم . ومن هنا

نراهم يجابهون الآراء الشاذة التي أعلنها أمثال غيلان الدمشقي وجهم من صفوان .

وقد حفلت كتب التاريخ بالمناقشات الدائرة بين بعض التابعين وزعماء الخوارج وأصحاب الآراء التي شذ بها أصحابها من معتقدات الصدر الأول .

وسنقتطف نبذة يسيرة من هذه المناقشات لمعرفة المنهج الذي اتبعه علماء التابعين في جدالهم مع المخالفين ، ومنها مناقشة دارت بين عمر بن عبد العزيز الذي لقب بالخليفة الخامس بسبب تقواه وعدله واستثنائه بسنن الراشدين قبله — وبين غيلان الدمشقي الذي كان أول من أعلن نفى القدر وتنسب إليه معلقة ( القدرية ) أي نفاة القدر .

يذكر لنا الملطي المحاورة الدائرة بينهما فيقول :

« لما دخل غيلان إلى عمر بن عبد العزيز سأله عن أمر الناس فأخبره صلاحاً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ويحك يا غيلان ما هذا الذي بلغني عنك ؟ قال : يا أمير المؤمنين أتكلم فتسمع ؟ قال : تكلم ، فقرا ( هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً ، أنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ، أنا هديناها السبيل أما شاكراً وأما كفوراً ) (٩) .

ويبدو من أجابة غيلان انه استند إلى آيات من سورة الانسان — أو الدهر — فاقطع آيات من السورة لكي يؤيد فكره المسبقة عن نفى القدر .

لذلك سنجد في أجابة عمر بن عبد العزيز رحمه الله يضع القضية في وضعها الصحيح ، فيذكر غيلان بالأصل والمبدأ ، وهو أن الانسان مخلوق خلقه الله تعالى ، وهو خالقه وخالق أعماله ، ولا ينفي ذلك جعل الانسان مسئولاً عما يفعل ومريداً له ومسئولاً عنه .

لهذا قال عمر ( ويحك ! من ههنا تلخذ الأمر وتدع بدء خلق آدم عليه السلام ، ثم تلى قوله تعالى ( وأذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة

قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ، وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا أنك أنت العليم الحكيم ، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما تكتمون (١٠) .

فقال غيلان : والله يا أمير المؤمنين لقد جئتك ضالاً فهديتني ، وأعمى بصيرتني ، وجاهلاً فعلمتني ، والله لا أتكلم في شيء من هذا الأمر أبداً .

فقال عمر : والله لئن بلغني أنك تكلمت في شيء منه لاجعلتك للناس أو للعالمين نكالا ، فلم يتكلم في شيء حتى مات عمر رحمه الله ، فلما مات عمر استأنف الكلام فيها وعد بالانتهاء عن الخوض فيه (١١) .

ولدينا مصدر آخر يسجل مناقشة ثانية دارت بين عمر بن عبد العزيز وغيلان الدمشقي ، لها مدلول مشابه مع الاختلاف في الحجج التي قدمها عمر رحمه الله ، حيث تذكر أنه أحم غيلان بآيات من سورة يس كقوله تعالى ، انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون ) وقوله عز وجل ، فأغشيناهم فهم لا يبصرون ) وغيرها — وكانت أجابة غيلان لا تخرج أيضا من ترديده القول في كل آية يسميها « كئى لم اقرأ هذه الآية قط » .

ولكن غيلان نقض العهد في زمان هشام فاستدماه مذكرا آياه بعهدده لعمر بن عبد العزيز ، فلما طلب غيلان العفو عنه هذه المرة أيضا رفض هشام وأمره بقراءة أوائل سورة الفاتحة ، فقرأ ( الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين ) .

فسأله هشام : علام استعنته ؟ على أمر بيده لا تستطيعه الإبه او على أمر في يدك أو بيدك ؟ ثم أمر به ليضربوا عنقه (١٢) .

(١٠) سورة البقرة ٣٠ — ٣٣ .

(١١) اللطى : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ١٦٨ .

(١٢) أحمد بن حنبل : كتاب السنة — الطبعة السلفية مكة المكرمة

١٢٤٩ هـ ج ٢ ص ١٢٧ .

ويتضح من هذه النصوص المنهج الذى اتبعه الاوائل فى فهم الصلة بين المشيئة الالهية والارادة الانسانية ، فنجد عمر بن عبد العزيز يذكر غيلان مبدا خلق آدم عليه السلام وتعليقه الاسماء كلها واسجاد الملائكة له ؛ تعالى خلقه سبحانه ومن قبل ولم يك شيئا وعلمه ما لم يكن يعلم ، وهو الذى يمدده ايضا بالقدرة على الفعل ، فيظهر الفقر الذاتى لآدم عليه السلام وبنيه ، وانهم لا يستقلون عن خالقهم فهو خالقهم وخالق اعمالهم ، مع نسبة الاموال للانسان نفسه طبقا لتواعد الشرع والعقل واللغة ، ومن ثم مسئوليته عنها وجزاؤه فى مقابلها ، ان خيرا فخير وان شرا فشر .

ونلاحظ ايضا ان طريقة عمر بن عبد العزيز رحمه الله خالية من استخدام اية مصطلحات خارجة عن الآيات القرآنية ، كل ما هنالك انه لغت نظر غيلان الى الآيات المثبتة للقدرة المطلقة لله تعالى — فانه سبحانه على كل شيء قدير — وهو توجيه ضمنى الى غيلان — وغيره من تفرؤا به — الى خطأ موقف اتخاذ الراى المسبق ثم البحث فى القرآن الكريم على ما يؤيده — فهذه طريقة الذين يخرمون كتاب الله تعالى بعبء بعض ، ويختارون الآيات التى توافق اهواءهم دون غيرها التى تسانبها ، كما لم يرد على لسان عمر بن عبد العزيز لفظا الجبر والاختيار ، ولكنه باختياره للآيات الاولى من سورة البقرة عن خلق آدم عليه السلام ارشدنا الى مهمه للمسألة ، وهو ان الآيات القرآنية متوافقة متعاضدة ، فالانسان مسئول حر فى اختيار اعماله ، ولكنه لا يستقل بملئه عن القدرة والمشيئة الالهية — وهو نفس ما ذهب اليه عمر وعلى رضوان الله عليهما كما بينا اتفقا (١٣) — كما اراد ان يبين لغيلان خطاه فى ضرب الكتاب بعبء بعض ، فأخذ يذكره بالآيات التى ربما غابت عنه فى انكاره للقدرة ، او انه اغفلها عمدا .

وكذلك فى حديث هشام ، رايناه ينبه غيلان الى عجز الارادة الانسانية بغير مدد من الله تعالى ، فان آيات سورة الفاتحة تتضمن دعاء العبد طالبا الهداية والاستعانة بالله سبحانه ، ومن ثم فلا استقلال للفعل الانسانى ، بل لا قيام له منفردا أصلا ، فالانسان عبد مخلوق مريبوب عاجز فقير فقرا ذاتيا ،

وهو محتاج دائما الى ربه وخالقه وفطره عز وجل ، ولما كان ربه سبحانه هو الخالق البارئ المصور ، فكذلك هو الذى يمد عياده بالقدرة على انفعالهم .

ولكن ظهر مع الاسف تيار ينزع الآيات القرآنية من مواضعها ليضرب كتاب الله عز وجل ببعضه ببعض . ولذلك ظهرت موجة عارمة للوقوف في وجه القدريين منذ أن بدأوا بإعلان بدعتهم ، فكان الحسن البصرى يقول ( من كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن ) ، وعندما سمع سماعيل بن المسيب أقوال القدرية غضب غضبا شديدا حتى هم بالقيام ثم تكلم فقال : تكلموا به ؟ أما والله لقد سمعت فيهم حدثا كنامهم به شرا ، ويحهم لو يعلمون ، ثم ردد الحديث بسنده قال ( حدثني رابع أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يكون قوم من امتى يكفرون بالله ويأقرآن وهم لا يشعرون كما كفرت اليهود والنصارى ) قال قلت : جعلت فداك يا رسول الله وكيف ذلك ؟ قال : يقرءون ببعض القدر ويكفرون ببعضه (١٤) .

### أهوال أهل الجنة :

ويدهشنا العثور على نموذج من الجدل يسوقنا الى موضوع آخر اثر ، فوجدوا من يوفيه حقه ، وهو موضوع يتصل بعالم الغيب وكينياته ، فقد بين راهب دار نقاش بينه وبين خالد بن يزيد بن معاوية عن أهل الجنة . وبتكلمهم ومشرهم ، قال الراهب ( اليس تقولون انكم في الجنة تاكلون وتشربون لا يخرج منكم اذى ؟ فأجاب خالد ( بلى قال الراهب افلهذا مثل تعرفونه في الدنيا ؟ قال — نعم ، الصبى ياكل في بطن أمه من طعامها ويشرب من شرابها ثم لا يخرج منه اذى . قال الراهب لخالد انليس تقولون ان الجنة تاكلون فيها فواكه ولا ينقص منها شيء قال خالد ، بلى ، قال افلهذا مثل في الدنيا تعرفون ؟ قال خالد ، نعم الكلب يكتب منسه كل شيء احد ثم لا ينقص منه شيء ) وفي النهاية سأل الراهب متعجبا ( اليس تقول انك لست من علماتهم ؟ فأجابه خالد بأن فيهم من هو أعلم منى .

(١٤) الملطى — التنبية والرد على أهل الامواء والبدع ص ١٦٦ وهو جزء من حديث طويل أورده الملطى بتمامه .



## ظهور الجدل في اصول الدين

استقرت العقائد في القلوب ولم يختلف الصحابة حول اصول الدين ط ، بل لم يعرفوا تقسيم الدين الى اصول وفروع ، ثم بدأت تظهر الآراء لمخالفة منذ النزاع الحادث بين علي ومعاوية رضى الله عنها بسد مقتبل عثمان بن عفان رضى الله عنه .

وسنحاول ان نخط طريقنا من القاعدة المنهجية التي نراها صحيحة نرجا ومعتلا ، وتتلخص في الاعتقاد ان الصحابة كانوا هم الاعلم بلغسة لقرآن ومرايمه ، والادق في فهم محكمه ومثالبه ، فلم تظهر في عصرهم خلافات في اصول العقيدة ، اذ كان هناك اجماع عليها بين الكافة ، ثم بدأت الاشتقاقات رويدا رويدا .

وكان انحراف الخوارج ظاهرا عندما اعتقدوا خطأ على بن ابي طالب رضى الله عنه والنفر الذين كانوا معه من المهاجرين والانصار .

كما راوا منصب الامامة او الخلافة لا تختص بشخص من القرشيين فحوزوا امامة اى امام يجتمع فيه العلم والزهد ولو كان من اخلاط الناس وأوياسهم ، بالاضافة الى عقائد اخرى كتخليد مرتكب الكبيرة في النار وغيرها من الآراء التي دونتها كتب التاريخ والفرق .

وظهرت القوية في اواخر زمن الصحابة وصار معبد الجهنى وغيلان الدمشقى والجعد بن درهم الى القول بالقدر — اى نفيه وعدم الاعتقاد به . وفى ذلك الزمان حدثت سنة الموجبة (١٥) حين قالوا لا يضر مع الايمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة .

ثم طالعت المعتزلة مثل ابي الهذيل العلاف والنظام وميمر والجاحظ — كتب الفلاسفة في زمن المأمون واستخرجوا منها ما خلطوه بأوضاع الشرع

---

(١٥) ينظر كتابنا « قواعد المنهج السلفى في الفكر الاسلامى » .

مثل لفظ الجوهر والعرض والزمان والمكان والكون ونحو ذلك . **وأول مسألة  
لنظروا القول بخلق القرآن .**

**وحينئذ نسمى هذا الفصل علم الكلام .**

وتلت هذه المسألة مسائل الصفات مثل العلم والتسحر والحياة  
والسمع والبصر (١٦) .

وعندما ظهرت مقالات المعتزلة التي اعترفوا بها عن عقيدة اهل السنة  
والجماعة ، اضطر علماء الحديث والفقهاء للرد عليهم واعادة الامور الى  
نصابها .

واننا نعر على آراء اهل الحديث منبثة في كتبهم للرد على المتكلمين في  
المسائل التي اثرت كالحديث عن الصفات — والقدر والتوحيد والاسماء  
وغيرها من اصول المسائل التي شغلت اذهان المسلمين . كما حرصوا على  
استمداد آرائهم من اقوال الصحابة والتابعين في هذه الموضوعات — اذ  
لا يقرب عن ذهن الباحث ان منهج المحدثين كفل لهم الاحتفاظ بالتصوص  
المنقولة عن السابقين جيلا بعد جيل

وفي الادوار التي تضحيت بها الخلافات كتب علماء الحديث في هذه  
الموضوعات التي تطرق اليها علماء الكلام ، ومن بين هذه المصادر العسامة  
كتاب ( خلق افعال العباد ) للامام البخارى و ( الرد على الجهمية والمعتلة )  
للإمام أحمد والرد على بشر المريسي للإمام الدارمي وغيرهم ، بحيث نستطيع  
القول بان تيار السمع او النقل ، ارتبط بتيار العقل او الدراية ، اى بعبارة  
اخرى امتد اهتمام علماء الحديث والسنة الى المسائل التي اثرت بواسطة  
المتكلمين وغيرهم ، ووقفوا منها موقفا عقليا أيضا ، فالتقى عندهم النقل مع  
النظر ، لهم وان كانوا في الغالب اهل رواية ، فقد اثبتوا ايضا بانهم اهل  
دراية لان الكتاب امر بالتفكير والتدبر ، وكاتوا يحرصون على الارتباط  
بالصحابة وواقفهم من هذه الاصول الهامة في الاسلام ، وهم ورثة الانبياء  
الذين قال فيهم (واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولى الابدى والابصار)

---

(١٦) ابن الجوزى — ص ٩٢ — ٩٣ تطبيس ابليس .

فلا يدي القوة في أمر الله ، والإبصار في دين الله ، فبالإبصار يدرك الحق ويعرف ، وبالقوة تمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه (١٧) .

ولقد استمسكوا بهذا المنهج النقلى العقلى — ان صح التعبير — وربما نجد ما يعبر عن التقاء الرواية بالدراية في كتابات ابن تيمية الذى كان يلح دائما على ترويض القاعدة التى أخذ نفسه بالدفاع عنها طيلة حياته ، وهى أن العقل لا يتعارض مع النقل ، ( فان الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بجوامع الكلم ، فالكلم التى فى القرآن جامعة محيطلة كلية عامة لما كان منتشرًا فى كلام غيره (١٨) ) .

وكانت هذه هى مهبة علماء أهل السنة والجماعة . فما مذهبهم ؟

### ✽ مذهب أهل السنة والجماعة :

ربما ينسب البعض مذهب أهل السنة والجماعة الى أحد أئمة الفقهاء أو كلهم ، ولكنه فى الحقيقة امتدادا ومتابعة لمذهب الصحابة ، وقد أطلق عليه اسم الجماعة للتمييز وبين مذاهب المنتسقين من الجماعة الأولى أمثال الخوارج والشيعة والمعتزلة والمرجئة والقدرية .

ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله تعالى أبا حنيفة ومالكا والشافعى وأحمد ، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه من نبيهم — صلى الله عليه وسلم — ومن خالف ذلك كن مبتدعا عند أهل السنة والجماعة ، فانهم متفقون على أن إجماع الصحابة حجة ، ومتنازعون فى إجماع من بعدهم . (١٩) .

وإذا طالعنا صفحات التاريخ لمعرفة تسلسل ظهور الآراء المخالفة لما كان عليه أهل القرون الأولى ، نجد رأينا — كما تقدم — كيف خرج الخوارج وتابعتهم الشيعة باعلان آرائهم ثم القدرية فالجهمية اتباع جهم بن صفوان من نفاة صفات الله عز وجل .

(١٧) ابن تيمية — نقض المنطق ص ٧٩ .

(١٨) ن . م . ص ١١٠ .

(١٩) ابن تيمية — منهاج السنة ج ١ ص ٢٥٦ .

ثم وقعت المحنة الكبرى في اوائل المائة الثالثة على عهد المهون ( المتوفى ٢١٥ هـ ) واخيه المعتصم ثم الواثق ، ودعوا الناس الى التجهم وابطال صفات الله تعالى ، فلم يوافقهم اهل السنة والجماعة حتى هددوا بعضهم بالقتل ، وتيد بعضهم وعاقبوهم وابتلوهم بالرغبة والرغبة .

وندع احد معاصري الفتنة يصف لنا وقعها على المسلمين وما كابدوه بسببها :

قال عبد العزيز المكي في كتابه ( الحيدة ) :

« واستقر المؤمنون في بيوتهم وانقطعهم عن الصلوة في الجماعات والجمعات وهربهم من بلد الى بلد خوفا على انفسهم واديانهم ، وكثرة موافقة الجهال له والرعاع من الناس على كفره وضلالته والدخول على بدعته والانتحال بمذهبه رغبة في الدنيا ورغبة من العقوبة التي كان يعاقب بها من خالفه على مذهبه » (٢٠) .

وثبت الامام احمد بن حنبل في هذه المحنة حتى حبسوه ثم طلبوا اصحابهم من المعتزلة بالبصرة لمناظرته فانفجهم وعجزوا امام حججه بالادلة الشرعية العقلية .

ويسبب هذا الموقف رفع الله قدر هذا الامام ( فصار املاها من ائمة اهل السنة ملما من املاها لقيله باعلامها واظهارها واطلاعه على نصوصها وآثارها وبيان خفي اسرارها ، لا انه احدث مقالة ولا ابتدع رأيا ، ولهذا قال بعض شيوخ المغرب المذهب لمالك والشافعي والظاهر لاحد ، يعني ان مذاهب الائمة في الاصول مذهب واحد ) (٢١) .

وعلى اية حال فان معيار الصحة والفساد في المذهب لا الانتفاع ولكن الادلة والافتناع ، ولهذا يقرر ابن تيمية — وهو من اقوى المدافعين :

---

(٢٠) عبد العزيز بن يحيى بن مسلم الكنتاني المكي : كتاب الحيدة ص٢٢  
مطابع الشرق الاوسط — الرياض .

(٢١) ابن تيمية — منهاج السنة جا ص ٢٥٧ .

وإذا قدر أن في الحنبلية أو غيرها من طوائف السنة من قال أمواتاً  
باطلة ، لم يبطل مذهب أهل السنة والجماعة ببطلان ذلك بل يرد على من قال  
ذلك بالباطل وينصر السنة بالدلائل (٢٢) .



**الباب الثالث**  
**نشأة الكلام في الدين وعوامل ظهوره**

**الفصل الأول :**

- مراحل ظهور الكلام في الدين .
- عوامل نشأة المشكلات الكلامية .
- نم السلف لعلم الكلام .





## الفصل الاول

### مراحل ظهور الكلام في الدين :

اتضح لنا مما تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النظر في تشابه القرآن ، وقد أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنهما ، قالت ( تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تلويله وما يعلم تلويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الالباب ) ٧ آل عمران ، قال ( ماذا رايت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم ) .

وقد نفذ أصحاب الصدر الاول هذا النهى واطاعوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم واجتنبوا تحذيراته ، فلم يظهر من يجادل ويبحث في الآيات المتشابهة ، وعلّة ذلك — كما يذكر ابن عباس رضي الله عنهما — منع وقوع الشك في القلوب (١) .

أما عن أول من خالف هذه السنة وسأل عن المتشابه فهو رجل يقال له عبد الله صبيغ ، جعل يسأل عن متشابه القرآن عندما قدم المدينة ، فاستدماه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وسأله عن اسمه ، فلما أخبره ، أخذ عرجونا من عراجين النخل فضربه حتى رمى رأسه . ويبدو أن الرجل كان مصمما على موته لأنه وعد بترك السؤال ثم عاد إليه مطالبه عمر فقال ( ان كنت تريد قتلي فأقتلني قتلا جميلا ، فأذن له الى أرضه . وكتب الى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسه أحد من المسلمين ) (٢) .

كذلك بالنسبة للناسخ في القدر ، روى مسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم خرج على الصحابة وهم يتناظرون في القدر ، ورجل يقول ألم يقتل الله كذا ورجل يقول ألم يقتل الله كذا ؟ فكأنما فقيء في وجهه حب الرمان فقال :  
إبهذا أهرتم ؟ إنما هلك من كان قبلكم بهذا . ضربوا كتاب الله بعضه

(١) صون المنطق للسيوطي ج١ ص٧٦ ط البحوث الإسلامية .

(٢) نفس المصدر ص ٥٠ .

ببعض وانما نزل كتاب الله ليصدق بعضه ببعضاً ، لا ليكذب بعضه بعضاً ،  
انظروا ما امرتم به فافعلوه وما نهيتم عنه فاجتنبوه .

ويسبب عصيان هذا الامر النبوي ظهرت القدرية — وهم نفاة القدر —  
في اواخر زمن الصحابة ، وقد روى ان اول من ابتدعه بالعراق رجل من اهل  
البصرة يقال له ( سيسويه ) من أبناء الجوس وولقاء عنه معبد الجهني (٣) .  
فلما اعلن هؤلاء الكذابين بالقدر رد عليهم من بقى من الصحابة كعبد الله  
بن عمر وعبد الله بن عباس ووالثة بن الاسقع وكان اكثرهم في اطراف البلاد  
لا في وسطها ، فكان اكثر القدرية بالبصرة والشام ، وقليل منهم بالحجاز ،  
اي ان التيارات الخارجية وجدت بنيتها في العناصر الداخلة في الاسلام  
حديثاً ، والتي تستمد عقيدتها من الجهالة العالمين بدينهم كالمحاسبة  
والتابعين ،

وبدا نفى صفات الله عز وجل بواسطة الجسد بن درهم وهو اول  
المتكلمين في الصفات واعلن نفيها ، ثم تتلمذ على يديه جهم بن سفوان .

ولكن اصابع المؤرخين ومؤلفي كتب الفرق تشير الى سلسلة حلقات  
النابيين للصفات اذ تبدأ في حلقتها الاولى بليد الساهر المعاصر للرسول صلى  
الله عليه وسلم الذي قال بخلق القرآن ناقلاً بدوره هذا القول من يهودي  
باليين .

والفتت حول جهم بن سفوان ( ١٢٨ هـ ) عدة فرق كلها تنتمي الى رأى  
من آرائه كاتكار صفات الله تعالى ، والقول بالجبر ، وانكار رؤية اهل الجنة  
لله تعالى ، والقول بان الجنة والنار يخلتها الله بعد وانهما تفنيسان بعد  
خلقها ، وانكار الميزان ، والشفاة ، والكرام الكاتبين ، وعذاب القبر ومنز

---

(٣) معبد الجهني — وصفه الذهبي بأنه تابعى صدوق في نفسه لكنه  
سن سنة سيئة فكان اول من تكلم في القدر ونهى الحسن البصري  
( ١١٠ هـ ) عن مجالسته وقتل : هو خصال مثل . قتله الحجاج  
صبراً لخروجه مع ابن الاشعث .

الذهبي — ميزان الاعتدال في نقس الرجال ط الخاتجي ١٢٢٥ هـ ج٢  
ص ١٨٣ .

ونكير ، الى غير ذلك مما وردت بها النصوص الثابتة . يقول الملطى بعد سرد عقائد فرق الجهمية :

( وهذا اجماع كلام الجهمية وانما سموا جهمية لان الجهم بن صفوان كان اول من اشتق هذا الكلام من كلام السمنية(٤) ، وكتبتوا شككوه في دينه حتى ترك الصلاة اربعين يوما ، وقال لا اُصلى لان لا اعرفه ثم اشتق هذا الكلام ، وبنى عليه من بعده (٥) .

ولقد لخص وكيع بن الجراح الاعتقادات التي ذهبها السلف بقوله ( القدرية يقولون الامر مستقبل وان الله لم يقدر الكتابة والاعمال ، والمرجئة يقولون القول يجزىء من العمل ، والجهمية — اتباع جهم بن صفوان يقولون المعرفة تجزىء من القول والعمل ) (٦) .

وقد مرت القدرية بمرحلتين ، في المرحلة الاولى انكروا القدر بالمعنى الوارد بالحديث في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ان الله يبعث ملكا بعد خلق الجسد وقبل نفيح الروح فيه فيكتب اجله ورزقه وعمله وشغى او سعيد .

ولكن عندما اشتهر الكلام في القدر في مرحلة تالية وشارك فيه كثير من الفئران اصبح اغلب القدرية يتقرون بتقدم العلم الالهى ، وينكرون عموم المشيئة والخلق (٦) .

(٤) السمنية — بعض الهند وهم الذين يجحدون من العلوم ما سوى الحسيات .

(٥) الملطى — التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع ص ٦٩ الجعد بن درهم : يصفه الذهبي بأنه مبتدع ضال ، زعم ان الله تعالى لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى ( ميزان الاعتدال ج١ ص ١٩٧ ط الخانجي سنة ١٣٢٥ هـ وقال ابو حنيفة عن جهم ( افراط جهم في نفس التشبيه حتى قال انه تعالى ليس بشيء وانحرط مقاتل في معنى الاثبات حتى جعله مثل خلقه ) . ميزان الاعتدال ج٢ ص ١٩٦ .

(٦) ابن تيمية — كتاب الايمان مكتبة انصار السنة المحمدية بالقاهرة ص ٢٢

ويتضح لنا من العرض التاريخي أن بذور الانشقاقات بدأت متنسثرة وبواسطة أفراد محدودين ، جوبهوا بردود منجسة ومواقف حاسمة لبتز آثارهم حتى لا تستشري وتنتقل عدواها إلى غيرهم .

ثم بدأ الاعتزال بواسطة واصل بن عطاء ١٣١ هـ وعمرو بن عبيد ١٤٨ هـ ، وتضخم بعدها المذهب إذ جمع ما نشأ من الأقوال الائمة في شكل نسق شبه فلسفي متضمنا الأصول الخمسة عند المعتزلة .  
قال السفاريني :

وكان أول من منف في علم الكلام والجدال والخصام مع أهل السنة والجماعة واصل بن عطاء وهو رئيس المعتزلة (٧) .

والذي نود إبرازه من هذه العجالة عن مراحل ظهور الكلام في الدين أن المشكلات ظهرت بسبب عوامل سلبية — أن صح التعبير — أي انحصاراً من موجة المد الإسلامية الأولى في أصول الدين وفروعه ونظمه وأخلاقياته ، ورجوعاً من النموذج المثالي الذي حققه المسلمون في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعين بعده .

كما يتضح أنها لم تبدأ من أصل إسلامي صحيح بل بدأت بمخالفة الأصول المدعمة بالأدلة ، والامثلة على ذلك كثيرة منها أن الآية القرآنية الائمة التي تتناول تقسيم الكتاب إلى آيات محكمات وآخر متشابهات تحمل في طبيعتها الأمر بعدم اتباع المتشابه ابتغاء الفتنة ، نجاء البعض ليخرب كتاب الله تعالى ببعض .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر بعدم الكلام في التدر فخالفه المخالفون ، وأمر بالآل يسب أحدا أصحابه ، فجاء الشيعة بعده نسبوا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما .

وإذن فهي لا تدل على التضج العقلي أو التفكير الحر كما يصور ذلك بعض دراسات المستشرقين ، فإن هذا من قبيل الخطأ الشائع الذي يردده

---

(٧) شرح عقيدة السفاريني ص ١٠ ط المنار ١٣٢٣ هـ .

كثير من الباحثين والعكس تماما صحيح ، ولنبحث في عقيدة اقرب الفرق الى خطأ التفسير اللغوي — وهم المرجئة — فقد نجم خطوهم من الجهل بمصطلحات اللغة العربية ، فزعموا ان الايمان لغة هو التصديق ، والتصديق انها يكون بالقلب واللسان ، او بالقلب فقط ، فالاعمال عندهم حسب هذا الفهم المتحرف ليست من الايمان .

ويتضح خطوهم اذا بحثنا في قضية الايمان ، فان الاعمال تسمى ايضا تصديقا ، وهذا معنى الايمان المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم . مثال ذلك ما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العينان تزنيان وزناهما النظر والاذن تزني وزناها السمع واليد تزني وزناها البطش والرجل تزني وزناها المشي والقلب يتنى ذلك ويشتهى والفرج يصدق ذلك او يكذب ( وكذلك قال اهل اللغة وطوائف من السلف والخلف قال الجوهري: التصديق الدائم التصديق الذي يصدق قوله بالعمل .

اضف الى ذلك ما يلي :

١ — من مضى من سلفنا لا يفرقون بين الايمان والعمل ، العمل من الايمان والايمان من العمل ، وهذا معروف ايضا عن شير واحسد من السلف والخلف انهم يجعلون العمل مصدقا للتسول ورووا ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . . فقد سأل أبو ذر النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال ( الايمان الاتسار والتصديق بالعمل ) ثم قال ( ليس البسر ان قولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ) الى قوله ( واولئك هم المتنون ) .

ب — وروى عن علي بن ابي طالب انه قال : ان الايمان يبدو لظنة بيضاء في القلب فكما ازداد العبد ايمانا ازداد القلب بيضاء ، حتى اذا استكمل الايمان ابيض القلب كله . وأن النفاق يبدو لظنة سوداء في القلب فكما ازداد العبد نفاقا ازداد القلب سوادا حتى اذا استكمل النفاق اسود القلب ، وايم الله لو شققتم عن قلب المؤمن لوجدتموه ابيضا ، ولم شققتم عن قلب المنافق والكافر لوجدتموه اسودا . وقال ابن مسعود : الفسقاء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل .

ج — عرف الحسن البصري الايمان بقوله ( ليس الايمان بالتحلى

ولا بالتمنى ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال ) (٨) .

لم يكن الكلام في الدين اذن تطورا من البسيط الى المركب ؛ او من الأدنى الى الأعلى ؛ بل كان تكوينا من الكمال الى النقصان ؛ وعصيانا للواو ، وانشقاقا عن الجماعة . وهذا ينتقلنا الى بحث عوامل نشأة المشكلات الكلامية .

#### عوامل نشأة المشكلات الكلامية :

من استقرار المراحل التي مر بها الجدل في أصول الدين واثاره ، التساؤلات وفتح باب المناقشات في القضايا المنهى عن الجدل فيها . نستقرىء عوامل نشأة المشكلات الكلامية .

ونكاد نجتمع المصادر التاريخية على تعطيل ظهور الجدل بعوامل خارجية ، اى من قبيل الغزو الثقافي الاجنبى . وتشير اصابع المؤرخين الى هذا المصدر ، حيث هبت منه امواج النزاع بعد ان كانت العقيدة راسخة في النفوس والقلوب ، حيث امدت المسلمين الاوائل بطاقات هائلة فمضوا في طريقهم لتحقيق الغاية وجعل كلمة الله هي العليا .

ولكن الجدل المنهى عنه ادى الى انحسار حضارة المسلمين فمكفوا يتجادلون ويتناحرون ؛ فوقفت عجلة المد الاسلامى وتوقع المسلمون ؛ تسهل على اعدائهم غزوهم في ديارهم .

ويصف ابن تيمية المظاهر الطارئة على المسلمين بقوله ا وكان المتناظرون فيما مضى يتناظرون في معادلة الصبر بالمشتر - وفي نفضيل احدهما على الاخر ؛ وفي الوسوس والخيلرات ؛ ومجاهدة النفس - وقمع الذوى فقد سار المتناظرون يتناظرون في الاستطاعة والتولد والذفره والجزء والعرض والجوهر ؛ فهم دائبون يخبطون في العشوات ؛ قد تشعبت بزعم

الطرق وقادهم الهوى بزمام الردى ( ٩ ) .

وهذا هو الدرس التاريخي الذي وعاه شيوخ الحديث والسنة ،  
مخذروا من تضييع الجهود في محاولات جدلية مستقيمة ، وراوا في تشقيقات  
المتكلمين بدما من ناحية ، واستهلاكاً لطاقة تبذل فيما لا طائل وراه من  
ناحية أخرى ، حيث جاء القرآن بكامل المناهج في الحجاج العقلي ، وفرغ  
المسلمين الى العمل .

وقد رأينا اهل افضل القرون كيف استمسكوا بالنهج الاسلامي  
الصحيح في العقيدة حيث يرى شيخ الاسلام ان افضل الخلق بعدهم هم  
المقتدون بعلم وعمل الصحابة وتحقق هذه المتابعة بصفة خاصة بواسطة  
علماء الحديث ، منهم اهل الاثر النبوية وهم اهل العلم بالكتاب والسنة في  
كل عصر ومصر ( ١٠ ) .

ويعتابة الازمنة بعد عصر الحجاج نرى انه كلما بعد الزمن وقل عدد  
الصحابة والتابعين بعدهم ، بدأت البدع تظهر تدريجياً ، لان نور النبوة في  
الاصل كان بمثابة الشمس الساطعة التي طمست الكواكب وعاش السلف  
فيها برهة طويلة ثم حجب بعض نور النبوة ( ١١ ) .

ويانقضاء دولة الخلفاء الراشدين ، وتولى زمام الحكم من هم اقل  
منهم مرتبة ظهر اثر ذلك في بعض قضايا اصول الدين مثلما ما اثاره  
الخوارج . ولما كان ظهورهم في اواخر حكم علي بن ابي طالب رضي الله  
عنه مرتبطاً بالخلافة او الامامة الكبرى فقد تبمس بدع الاحكام والاعمال  
والاسماء .

ثم ظهر الملوك على يد معاوية ، ثم الامارة الى ابنه يزيد وانشق  
المسلمون على اثر مقتل الحسين بن علي بالمعراق ومقتة الحرة ( سنة ٣٧ هـ )

---

(٩) ابن قتيبة ( الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ) —  
كتاب عقائد السلف ص ٢٢٤ تحقيق د النشر وعيسار الطالبی  
منشأة المعارف بالاسكندرية ١٩٧١ م .  
(١٠) ابن تيمية : بغية المرئاد ص ١١٢ .

بالمدينة وقيام عبد الله بن الزبير بمكة في وجه بني أمية والمختار بن أبي عبيدة وغيره من الشيعة بالمسراق .

وعلى اثر هذه الاحداث الجسام ، بررت الخوارج والشيعة والتدريه والمرجئة ، فقد قام بعض الصحابة آنذاك بالرد على هذه البدع والوقوف في وجهها وهم على سبيل المثال : عبدالله بن عباس ( ٦٨ هـ ) . وعبد الله بن مهران ( ٧٣ هـ ) ، وجابر بن عبد الله ( ٧٨ هـ ) وأبو سعيد الخدري ( ٦٤ هـ ) ، وغيرهم .

ويضرب ابن تيمية مثلا على ذلك بأن القدرية لم يجسروا على الكلام في الذات أو الصفات الالهية الا في اواخر صفار التابعين ، أو في اواخر الدولة الاموية ، وكانوا قبل ذلك يقتصرون على الكلام في الاحكام والوعد والوعيد .

ويتضح مما سبق ان الحياة الدينية تآثرت في بداية العصر العباسي بعاملين : أحدهما ، ظهور سلطان الموالى من غير العرب لا سيما العناصر الفارسية وانحسار الامر عن ولاية العرب . والعامل الثاني . وعموم نزحية كتب الفرس والروم والهند . ومما ساعد على تسوية تأثير هذين العاملين ان صحابة الرسول صلوات الله عليه كانوا قد ماتوا عند انتهاء خلافة الراشدين فيما عدا القليل ، وكذلك الحال بالنسبة للتابعين اذ ماتت اغلبهم في زمن امارة ابن الزبير .

أما تابعو التابعين فقد انقضى عصرهم في اواخر الدولة الاموية ولهذا لم تجد التيارات الجسدية التي تسلمت الى المسلمين من يتقف في وجهها . لصدها ، فلما فعل الخلفاء الراشدون والصحابة في عصرهم من قبل .

واستنتج شيخ الاسلام من هذه الاحداث ظهور امور ثلاثة هي :  
الرأى والكلام والتصوف « ( ١١ ) » .

وأغلب الظن ، من جهة اخرى ان شيخنا قصد تريب ظهور الرأى ثم

---

( ١١ ) ابن تيمية ... كتاب السلوك ص ٢٥٨ . مد الريانس



ثم الكلام ثم التصوف بتسلسل زمني على أثر الترجمة خاصة وأنه يتكلم من المأمون ( ٢١٨هـ - ٨٢٢م ) الذي شجعها — والمعروف — كما ينكر صاحب الفهرست خالد بن يزيد بن معاوية ( ٨٥ - ٧٠٤ م ) الذي كان يسمى حكيم آل مروان « هو أول من قلم بالترجمة » . يقول ابن النديم : كان فضلاً في نفسه وله همة ومحبة للعلوم ، خطر بباله الصنعة فأمر باحضار مجموعة من فلاسفة اليونانيين . . وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني القبطي إلى العربي، وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة (١١ب) .

ونستدل من تعيين الشيخ السلفي للمأمون دون غيره ، أن هذا الخليفة اشتهر بالميل إلى التشيع والاعتزال ، وفضلاً عن مشكلة خلق القرآن التي ارتبطت في الأذهان ، فإن الباحث عن أسباب ذلك يجده دون كبير مشقة في كتب التاريخ التي تكاد تتحد في وصفها له .

يقول ابن الأثير (أنه كان شديد الميل إلى العلويين والاحسان إليهم) (١١ج) ذكر ابن كثير أن المأمون لما ابتدع التشيع والاعتزال لم يحجبه بشيء الميرسي ( ١١٨ هـ - ٨٢٢ م ) . وكان من شيوخ الاعتزال (١١د) .

يضيف صاحب « تاريخ بغداد » أنه كان إلى حد غير قليل تحت سلطان الفرس ووزرائهم (١١و) كان شيخ الإسلام حاول بذلك أن يثبت أن الترجمة أنتجت أثرها الكامل في عصر المأمون — أي في وقت متأخر من عصر المسحابة والتابعين — للأسباب التي تذكرها المصادر السالف الإشارة إليها. أو بعبارة أخرى أنها وجدت صدى عنده وميلاً لتقبل نتائجها . ولكن تحصيل الترجمة في النتائج التي حدثت في العالم الإسلامي حينذاك ليس دليلاً على كراهية ابن تيمية للترجمة في ذاتها ولكن بسبب تشجيع المأمون للاتجاهات الفلسفية والكلامية .

- 
- (١١ب) ابن النديم : فهرست ص ٢٢٨ .
  - (١١ج) ابن الأثير : تاريخ الكامل ج ٦ ص ١٧٩ .
  - (١١د) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٧٩ .
  - (١١و) ابن الخطيب : تاريخ بغداد ج ٦ ص ٧٥ .

هناك ان عامل داخلي يتدخل في بدء حركة انحسار الوازع الديني والخروج من الاصول والقواعد المستقرة الثابتة . ولكن الحركة على ضالتيها في البداية حوصرت وعولجت بحسم . ثم اخذت في الازدياد بانتساع رقعة العالم الاسلامي وثينا تشيئا ضعفت المقاومة بسبب موت الصحابة وفتوتهم في الامصار ، ثم موت كبار التابعين ايضا .

ويتضح اثر العامل الخارجي بشكل ائسل اذا بحثنا ظروف الترجمة وادوارها وآثارها ، فالمشهور ان اول ترجمة للكتب اليونانية الى العربية تمت في عهد خالد ابن يزيد بن معاوية ( توفي ٨٥ هـ ) وكانت في بداية ... فيما يبدو ... قاصرة على العلوم اذ كان يزيد هذا مولعا بكتب الكيمياء ( ١١١ هـ ) .

ولكن عملية الترجمة بدأت على نطاق واسع بواسطة يحيى بن خالد بن برمك ( متوفى ١٩٠ هـ ) في خلافة الرشيد .

وواقع الترجمة لا تخلو من بعض المعاني التي يحسن بالبساطة ان يتألفها حيث قيل ان يحيى بن خالد هذا كان زنديقا . وانه سارع ملك الروم وارسل اليه الهدايا ملابيا نقل الكتب اليونانية ... وكانت مخباء تحت بذاء ... فجمع الملك البطارقة والاساقفة والرهبان طالبا منهم المشورة والرأي . وكان من رأيه ان الخير في حبس الكتب عن رعيته من النصارى لانه خاف عليهم منها اذ قد تكون سببا لهلاك دينهم . وبغنىسل ارسالها الى خالد البرمكي لكي يتسلى بها المسلمون ويسلم رعائياه من سمها . فوافقتهم المجتمعون على ذلك فنفذوه .

واهتم بها يحيى بن خالد البرمكي فجعل المئات في داره والجدان فيما لا ينفى ؛ فيتكلم كل ذي دين في دينه . ويجادل كونه ايضا على نفسه ١٢١ .

وتشير رواية اخرى الى ان الامميين ١١٨ هـ هو السوفى ، صاحب جزيرة قبرص خزانة كتب اليونان . وكانت تسمى باليونانية .

(١١١) السيوطي : سون المثلث ٤٢/١ .

١١٢١ ن . م ص ٤١ .

أحد فأشار عليه خواصه بإجابة المأمون الى طلبه بهدف أحداث للفتن بينهم  
( فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية الا انسدتها وأوقعت بين  
عليائها ) (١٣) .

ومن المحتمل أن الرواية تسد حدث فيها بعض الاضافات الا انه من  
الثابت أن المأمون قد شجع عملية الترجمة والخوض في علم الكلام ، ولذا  
فإن ابن تيمية كان يعلق على ذلك بقوله ( ما أظن أن الله يفصل عن المأمون  
ولا بد أن يقابله على ما اعتمده مع هذه الأمة من ادخاله هذه العلوم بين  
أهلها ) (١٤) .

ويلاحظ الباحث إجماع مؤلفي كتب الفرق على أرجاع ظهور المشكلات  
الكلامية الى تيار خارجي ، ولا يمكن أن يكون هذا الإجماع الا صدق لحقيقة  
تاريخية ثابتة أمابهم فنقلوها نقلا متواترا بعضهم عن بعض .

والعبارة المذكورة في كتب الفرق والتاريخ تكاد تتشابه فتذكر أسماء  
من أثار المشاكل والمتبع لها وناقلا الى محيط الثقافة الاسلامية فتذكر  
( أن البدع نشأت أصلا بعد القرون الثلاثة وأن كان قد تبع أصلها في أواخر  
عصر التابعين ، فإن أصل مقالة نفي صفات الله تعالى — أي التعطيل  
للصفات — أنها هو مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين ،  
فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الاسلام هو الجهم بن درهم  
وأخذها من الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت إليه ، وقد قبل أن الجهم  
أخذ مقالته عن إبان بن سيمان ، وأخذها إبان عن طلوت بن أخت لبيد بن  
الاعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان  
الجهم هذا نبيا قيل من أهل حران وكان فيهم خلق كثير من الصابئة  
والفلاسفة بقايا أهل دين النمرود الكنعانيين الذين صنف بعض السحارين  
في سحرهم ، والنمرود هو ملك الصابئة إذ ذاك الا قليلا منهم على الشرك ،

(١٣) ن . م . ص ٤١ .

(١٤) ن . م . ص ٤٢ .

وعلمائهم الفلاسفة .. وكثير من الصائبة أو أكثرهم (١٥) كانوا كبارا  
ومشركين وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل ومذهب النفاة الذين  
يتولون ليس له صفات الا سلبية او اضافية او مركبة منهما وهم الذين  
بعث سيدنا ابراهيم خليل الرحمن اليهم فيكون الجعد اخذ عقيدته عن  
الصائبة واخذها الجهم ايضا — فيما ذكره الامام احمد رضى الله عنه  
— عنه — وعن غيره وكذلك ابو نصر الفارابي دخل حران واخذ عن فلاسفة  
الصائبة تعلم فلسفته لما ناظر السنية فرجعت اساتيد الجهم الى اليهود  
والصائبين والمشركين والفلاسفة الضالين . اما من الصائبين واما من  
المشركين . فلما عربت الكتب الرومية زاد البلاء مع ما القى الشيطان في  
قلوب اهل الضلال . ولما كان بعد المائة الثانية انتشرت هذه المقالة التي  
كان السلف يسمونها مقالة الجهيية بسبب بشر بن غياث المريسي  
وذويها ( ١٦ ) .

وقد ارخ المسعودى لمراحل انتقال المدارس الفلسفية ايام اليونان  
من اثينا الى الاسكندرية ثم الى انطاكية ثم الى حران ، متتبعا انتقالها الى  
العالم الاسلامي ذكرا الافراد المهتمين بها ، مبينا ان مجلس تعليم الفلسفة  
انتهى في ايلم المقتدر ، وابراهيم المروزى ثم الى ابي محمد بن كرنيب وابي  
بشر متى بن يونس تلميذى ابراهيم المروزى .

ثم علق المسعودى بعد هذا بقوله :

( وعلى شرح متى لكتب ارسططاليس المنطقية يعول الناس في وقتنا  
هذا — توفي المسعودى عام ٣٨٥ هـ — وكانت وفاته ببغداد في خلافة  
الراضي ، ثم الى ابي نصر محمد بن محمد الفارابي تلميذ يوحنا بن حيلان  
وكانت وفاته بدمشق في رجب سنة ٣٣٩ هـ ) ( ١٧ ) .

(١٥) وان كان الصابى قد لا يكون مشركا بل مؤمنا بالله واليوم الاخر  
كما قال تعالى ( ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم  
معد ريبهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ) البقرة .

(١٦) شرح السفاريني ج ١ ص ٢٠ — ٢١ .

(١٧) المسعودى : التنبيه والاشراف ط القاهرة ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨  
ص ١٠٦ تصحيح ومراجعة عبد الله اسماعيل الصلوى .

ويبدو أننا إذن أمام غزو ثقافي منظم يريد الكيد للإسلام وأهله ، جوبه في بدايته بمقاومة شديدة أيام الصحابة والتابعين كما ظهر لنا أننا : لم نزداد على اثر موت المدافعين الاول ، وقد ثبت ان خلفاء بنى أمية تسامحوا هذه الفيارات بشدة ، قال القرواني ( رحم الله بنى أمية لم يكن فيهم قط خليفة ابتدع في الإسلام بدعة ) ( ١٨ ) .

أما دولة بنى العباس فقد تاهت على اكتاف الفرس ، وربما حدثت عملية الغزو من جراء فشلهم في هزيمة المسلمين في ميادين القتال فحاضوا معهم هذه المعارك الثقافية لمحاولة تقويض العقيدة ، وهذا ما ذهب اليه ابن خلدون في مقدماته .

وقد ضخم من اثر ظبور الموالى عامل الجهل باللغة العربية واسرارها واصطلاحاتها وعدم فهم لسان العرب الجارى عليه نصوص القرآن والسنة ، اذ أرجع الامام الشافعى القول بخلق القرآن ونفى الرؤية وغير ذلك من المسائل الى الجهل بالعربية ، وكان الحسن البصرى يقول ( انما اهلككم العجمة ) ( ١٩ ) .

وازاء هذا كله ، ذم السلف علم الكلام المتسدد ، والى التسارىء اسباب ذلك .

### ذم السلف للكلام :

تبين لنا مما تقدم ان المسلمين الاوائل من الصحابة والتابعين عارضوا الانشقاقات التى احدثها البعض ، واظهروا معارضتهم لهذه البدع الطارئة وهى فى جوهرها كانت نوعا من انواع الغزو الثقافى الزاحف من حضارات وديانات اخرى كان المجتمع الاسلامى عند نشأته فى المدينة المنورة محصنا ازاءها ، اذ كان الوجد يفتقر على الرسول صلى الله عليه وسلم وكان الصحابة يتفقون منه كل ما يحتاجونه فى حياتهم الفردية والاجتماعية

( ١٨ ) السيوطى : صون المنطق ج ١ ص ٤٢ .

( ١٩ ) نفس المصدر ص ٥٦ .

ويستفسرون عما يعن لهم في العقيدة والعبادات والمعاملات . كما سألوا عن المسائل الغيبية وعرفوا الاجابات عنها من النبي صلى الله عليه وسلم كصفات الله سبحانه وتعالى والحياة الاخرة والجنسة والنار والعذاب والعتاب والملائكة والجان وغير ذلك من امور الغيب .

والبدعة اصطلاحا هي ( التعمد في الاحكام والتهاون بالسنن واتيساع الاراء والاهواء وترك الاقتداء والاتباع ) ( ٢٠ ) .

وفي ضوء هذا التعريف ، يصبح بحث اسباب ثم السلف للكلام ورفضهم لما اخذه المتكلمون على البيئة الثقافية الاسلامية من تساؤلات وما يحثوه من قضايا وما استخدموه من مصطلحات طارئة .

ويمكن أن نستخلص هذه الاسباب في ضوء معرفة حقيقة الصراع الذي بدأ في ميدان العقيدة بين الاسلام والتيسارات التي اخذت تهب من الخارج والتي استهدفت زعزعة العقيدة في النفوس باعتبارها الحسن المكين الذي تمكن به الصحابة والتابعون وتابعوهم من خوض المسارك الكبرى المنتصرة في تاريخ الاسلام .  
وتتلخص اسباب ثم علم الكلام :

اولا — لقد اغنى الله تعالى المسلمين بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عن الالتجاء الى مصادر اخرى لهرفته عز وجل او اثبات توحيده وصفاته واسماؤه الحسنى ، فقد ارسل الرسول ( بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ) مع تكليفه بالتبليغ ( يا ايها الرسول بلّغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ) المائدة ٣ و ٦٧ .

وقد ادى الرسول صلى الله عليه وسلم الامة وبلغ الرسالة على خير وجه واشهد المسلمين على اتمام التبليغ في خطبة الوداع (الا هل بلغت!) وكل اتمام الدين بقوله تعالى ( اليوم اكملت لكم دينكم ) المائدة ٣ .

وهذا يثبت ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتسرك امرا من امور

الدين — اصوله وغروعه — الا وقد اوضحها واتم بياتها ، بل انه كان يبلغ كل اوامر ربه عز وجل في التسو والاحتظة ولا يؤخرها ( ومعلوم ان امر التوحيد واخبار الصانع لا تزال الحاجة ماسة اليه ابدا في كل وقت ومكان ، ولو أخرج عن البيان لكان التكليف واقعا بمسا لا سبيل للناس اليه ، وذلك فاسد غير جائز ) ( ٢١ ) .

ثالثا — يرى علماء السلف انه بمسائله واصطلاحاته وابحائه يعد من قبيل مفسول الكلام الذي لا يفيد الاستغناء به بل ان العمل به مضيعة للجهد والوقت بعد ان كنا الله عز وجل مؤونة المكسوف على مسائله بمسا بين لعباده ما يحتاجون اليه في عاجلهم وآجلهم ( واوضح لهم ) واوضح لهم سبيل النجاة والتهلكة وأمر ونهى وأحل وحرم وفرض وسن ) هذا فضلا عن اننا نعثر في الاحاديث النبوية على توضيحات لكافة المباحث التي خاض فيها المتكلمون ، فقد اشتمل الحديث على معرفة ( اصول التوحيد وبيسان ما جاء من الوعد ووجوه الوعيد وصفات رب العالمين تعالى عن مقالات الملحدين والاخبار عن صفات الجنة والنار وما اعد الله لهما للمتقين والفجسار وما خلق الله في الارضين والسماوات من صنوف العجائب وعظيم الايات وذكر الملائكة المقربين ونعت الصالحين والمسبحين ) ( ٢٢ ) .

رابعا — خشية الفتنة بسبب استخدام المصطلحات الكلامية التي نم ياتها الكتاب والسنة اذ لم يدع الرسول صلى الله عليه وسلم الناس في امر التوحيد الى الاستدلال بالامراض والجواهر فضلا عما ادت اليه هذه المصطلحات من منازعات وخصومات بين المسلمين لعدم الاتفاق على مدلولاتها وتركيباتها فلصبح لكل فرقة تشقيقات كلامية تختلف عن غيرها وظهرت الفرقة بين صفوف المسلمين ( ٢٣ ) .

والحق ان اسباب ثم السلف لعلم الكلام لا يمكن تقديرها حق قدرها

- 
- (٢١) صون المنطق ج ١ ص ١٤١ .
  - (٢٢) نفس المصدر ص ١٩٤ .
  - (٢٣) نفس المصدر ص ١٤٢ .

ونهبها على وجهها الصحيح الا اذا وضعناها في اطار الصراع الثقافي الحادث في المجتمع الاسلامي عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وصلحبيه وانتضاء دولة الخلافة الراشدة .

ونضرب على ذلك امثلة من واقعنا المعاصر . فنتساءل : هل يجرؤ احد في بلاد الاتحاد السوفيتي مثلا حيث النظام الماركسي القيام بالدعوة لنظم الغرب في الحكم والاقتصاد ؟ انه بلا شك سيواجه بتهمة الخيانة العظمى فامايعنم او يطرد من بلاده شر طرده . كذلك فان أية حركة تقوم في الغرب لمحاولة المساس بالنظام الديمقراطي في الحكم او الاقتصاد الحر في الاقتصاد الا وتواجه بمقاومة عنيفة من الراى العام .

بمثل هذا نستطيع تقريب فهم ما حدث من معارضة للمتكلمين في عصر الحضارة الاسلامية الزاهية ، حيث تكاد لعلماء الحديث والسنة بطريقتة لا تقبل الشك ويشهد بها التاريخ ويقرها الواقع المائل امامهم أن عقيدة الاسلام وعباداته ونظمه واخلاقياته قد تحققت كاملة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والخلافة الراشدة فكانت دولة عالمية تشع نورا بقيها وعلومها ومثلها العليا ، فكان العلماء حريصين على بققاء هذه الدولة العظمى بأركانها جميعا ، وأهم اركانها. بلا شك هي العقيدة بأصولها المدعومة بالأدلة من الكتاب والسنة ، فلما جاء المنشقون لاثارة اللفظ حول ما بنى واكتمل وظهرت آثاره ، رأوا انه بمثابة معول هدم لن يتوقف الا بعد ان يتحول البناء الى ركام .

ونحن نرى — من زاوية التشابه مع نظرتنا المعاصرة التي بينها آتفا

— نرى انهم كانوا محقين في معارضتهم . وسيزداد اقتناعنا كلما مضينا في بحثنا .



## علم الكلام بين الأصالة والابتداع

ان من سميت منهجنا في هذه الدراسة النظر الى علم الكلام من  
اتجاهين :

احدهما الاتجاه الذي يتبناه شيوخ المعتزلة والاشاعرة بمساهمهم  
ومصطلحات بعضها الاسلامى والآخر مستعار من ميتا فيزيقا اليونان كالتول  
بالتقديم والمحدث والجوهر والعرض وغيرها .

والاتجاه الثانى الذى يتبناه علماء الحديث والسنة ويتخصص في ان  
القرآن الحكيم قد استوفى القضايا التى خاض فيها المتكلمون .

وتظهر اصالة المنهج عندهم اذا استخلصنا من آرائهم السمة الظاهرة  
المصطبغ بها نتاجهم ، ويتضح ذلك بصفتين ظاهرتين :

الاولى : الاستناد على طرق الاستدلال القرآنية لتدعيم تقديمهم للنظريات  
الكلامية في دوائر الفرق الكلامية المعروفة .

الثانية : رفضهم تقسيم دائرة الاسلام الكبرى الى دوائر مقرنة ، لانه  
ينبغى في رأيهم معرفة الاسلام واعتناق عقيدته بمنهج متكامل ، لانه شامل :  
يحدد الغرض من حياة الانسان مخاطبا عقله ، ومغذيا وجدانه وراسسا له  
طريق السلوك الصحيح المؤدى الى سعادة ممتدة من حياة الدنيا المؤقتة  
الى حياة الآخرة الخالدة .

وفي هذا المعنى نجد ابن تيمية يرفض تجزئة الاسلام ، فالصوفية في رايه  
يتوا امرهم على الارادة وحدها ، والمتكلمون بنوا امرهم على النظر وحده .  
ولكن لابد من ان تكون الارادة عباداة الله تعالى وحده بما امر ، وان يكون  
النظر في الاذلة التى دل بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهى آيات  
الله تعالى (٢٤) .

ويوجز نقده لاهل الكلام بقوله ( انهم قصروا عن معرفة الاذلة العقلية

---

(٢٤) ابن تيمية — معارج الوصول الى ان معرفة الدين ومروعه قد بينها  
الرسول ص ١٨ .

التي ذكرها الله في كتابه وعدلوا عنها الى طرق أخرى مبتدعة (٢٥) بينما الحقيقة المؤكدة ان القرآن ( جعله الله شفاء لما في الصدور ، لكن قد تخفى آثار الرسالة في بعض الامكنة والازمنة ، حتى لا يعرفون ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، اما ان لا يعرفون اللفظ ، واما ان يعرفوا اللفظ ولا يعرفون معناه ) (٢٦) .

### فما علم الكلام عند المتكلمين ؟

أورد التهانوي الآراء التي قيلت في تعليل تسميته بعلم الكلام ، منها انه يورث قدرة على الكلام بالشرعيات، ومنها ان ابوابه عنونت اولا بالكلام في كذا . ومنها ان مسألة الكلام أشهر أجزائه حتى كثر فيه النقائل كما سمي كذلك بأصول الدين لأنه الاصل الذي تنبنى عليه العلوم الشرعية . وسماه ابو حنيفة ( اللغة الاكبر ) لأنه الاشتغال بأصول الدين ، لا بالاحكام الفرعية العمليسة .

ويسمى أيضا بعلم النظر والاستدلال ويسمى بعلم التوحيد والمفاتيح (٢٧) .

---

(٢٥) ابن تيمية منهاج السنة ج٢ ص ٦٢ .  
(٢٦) ابن تيمية مجموع الفتاوى ج١٧ ص ٢٠٦ .  
(٢٧) التهانوي : كشف اصطلاحات الفنون ص ٢٠ - ٢٣ .

## الفصل الثاني :

### علم الكلام

- تعريف علم الكلام .
- علم الكلام بين الاصلية والبدعية .
- حجج المتكلمين في الدفاع عن منهجهم .
- رأي علماء الحديث في هذه الحجج .



## الفصل الثاني

### علم الكلام

ان علم الكلام عند ابن خلدون ( علم يتضمن الحجاج عن العقائد  
الإيمانية بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعة في الاعتقادات عن مذاهب  
السلف واهل السنة .

ومع انه لجاز الدفاع عن العقائد الإيمانية بواسطة الأدلة العقلية  
الا انه عاد فأوضح أن المسائل الغيبية انما هي لا تقع في حيز الامكانيات التي  
يستطيع العقل وحده الاهتداء اليها لانها فوق طور العقل . وتحدث ايضا عن  
ملكة الإيمانية الراسخة في النفس من اثر أداء العبادات فيقول :

( فقد يتبين لك من جميع ما قررناه ان المطلوب في التكليف كلها حصول  
ملكة راسخة في النفس يحصل عنها علم اضطرارى هو التوحيد وهو العقيدة  
الإيمانية وهو الذى يحصل بها السعادة ) .

ثم أخذ يحدد معالم الفكر والنطاق الذى يدور فيه ويسف الحدود  
الضيقة التى لا يستطيع أن يتجاوزها ، وان الفكر عاجز عن الاحاطة بتفصيل  
الوجود كله — أى الوجود المطلق — لان الوجود ( عند كل مدرك فى بادئ  
رأيه منحصر فى مداركه لا يعدوها فالامر نفسه بخلاف ذلك ) . وان الامثال  
التي يسوقها مؤرخنا تدعم هذا الراى ؛ فالاصم ينحصر الوجود عنده فى  
المحسوسات الاربع ويفقد صنف المسبوعات ويسقط عند الاعمى صنف  
المرئيات .

ان هذا يثبت عجز الادراك الانسانى من الاحاطة بها فى الوجود كله ،  
فما بالنا بخلق هذا الكون سبحانه وتمالى ؟

ولكن لا يعنى هذا القدرح فى العقل بل العقل ميزان صحيح لان احكامه  
يقينية — ولكن بسبب ما بيناه من عجزه عن الاحاطة بالوجود — لانه اوسع  
نطاقا من المدارك الانسانية أى ان العقل لا يستطيع الانسان أن يزن به امور  
التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وعتساق الصفات الالهية (٢٨) . وربما كان

---

(٢٨) مقدمة ابن خلدون ص ٢٨٢ — ط دار الفكر ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م .

المثال الذى ضربه لنا ابن خلدون فى هذا المسند يعد أقوى دليل فيما يقسده من رأى دقيق لاثبات عجز العقل عن ادراك ما وراء طوره فى المسائل الغيبية اذ يقول : ( وليس ذلك بتداح فى العقل ومداركه بل العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينية لا كذب فيها غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والاخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الالهية وكل ما وراء طوره فان ذلك طبع فى محال ، ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذى يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال ، وهذا لا يدرك على أن الميزان فى أحكامه غير صادق ، ولكن العقل قد يقف عنده ولا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بدلاله وبصفاتة فانه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه ، وتظن فى هذا الغلط من يقدم العقل على السمع فى أمثال هذه القضايا وتصور فهمه واضمحلال رايه ، فقد تبين لك الحق من ذلك (٢٩) . .

وقد أشار ابن خلدون فى تعريفه الى أهم النقاط المثيرة للخلاف بين علماء الكلام فى دائرتى المعتزلة والاشاعرة ، وبين علماء الحديث والسنة مما جعلنا نرجح ان وراء هذه الاسطر قراءات متشعبة ومستوعبة لقضايا اصول الدين ووجهات النظر المتباينة حولها .

ويتضح ايضا انه اعطى الجانب النقدي اهتمامه أيضا .

لذلك لا ينبغي أن ننسى جبهة عريضة وقفت تعارض علم الكلام فى دائرة السلف من علماء الحديث على مر الاعصار وتصدده من قبيل البدع الطارئة على الفكر الاسلامى ، وانه ادى الى الاضطرابات والفتن ، وفقت جهود المسلمين واجهد عقولهم فى مجال كفاء القرآن والسنة ، وحتى امام وجهة النظر الدائمة عن المتكلمين بانهم دانصوا عن الاسلام فان الرأى المعارض — الذى يمثله ابن تيمية والجسابع للاتجاه السلفى قبله — على العكس — يرى انهم اختلفوا فى هذه المهمة لانهم لم يستندوا فى اصولهم على المبادئ الاستدلالية القرآنية ( فالتكلمون الذى ابتدعوه وزعموا انهم به نصروا الاسلام وردوا به على اعدائه كالفلاسفة ، لا الاسلام نصروا ولا لعدوه كسروا ، بل كان ما ابتدعوه ما افسدوا به حقيقة الاسلام على

من اتبعهم (٣٠) . ومضى يذكر اسباب ذلك ودوافعه مما لا يدخل في نطاق موضوعنا الآن ، وسنفضله عند الحديث عن آرائه الكلامية . ونقتصر هنا على بيان خطأ المتكلمين المنهجي — وهو يعبر لنا عن الاتجاه الفلسفي العام ، اذ يستند الى ضرورة طلب علم ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من الكتاب والحكمة كما فعل الصحابة والتابعون ومن سلك سبيلهم لاسيما في اصول التوحيد والايان — ثم بعد معرفة ما بينه الرسول ينظر في اقوال المفكرين وما ارادوه بها فتعرض على الكتاب والسنة . مع العلم بأن العقول انصريح دائما موافق للرسول صلى الله عليه وسلم لا يخالفه قط ، فان الميزان مع الكتاب « والله أنزل الكتاب بالحق والميزان » ، ولكن قد تقتصر عقول الناس عن معرفة تفصيل ما جاء به ، فباتتهم الرسول بما عجزوا عن معرفته وحاروا فيه ، لا بما يعملون بعقولهم بطلانه ، فالرسل سلوات الله وسلامه عليهم تخبر بمحارات العقول لا بمحالات العقول . واذا كان هذا هو المنهج الصحيح فان المناهج المخالفة على العكس من ذلك ، فانها ناجمة عن ابتداء بدعة برأى البعض وتاويلاتهم ، ثم جعل ما جاء به الرسول تبعالها ، فيحرف الفاظه ويؤولها على وفق ما اصلوه (٣١) .

### اهم موضوعات علم الكلام : —

تدور المناقشات في اصول الدين التي يتكلم المتكلمون فيها ويتناظرون عليها ، حول المسائل الآتية :

اولا : الرد على الدهرية القائلين بقدم العالم فتخذ المتكلمون يبرهنون على حدوث الاجسام والدلالة على أن للعالم محدثا هو الله تعالى .

ثانيا : تنزيه الله عز وجل ، للرد على أهل الكتاب من اليهود والنصارى ودحض مزاعم القائلين بكثرة المساعين كالمجوس ، فقد شبه اليهود الله سبحانه وتعالى بصنات المخلوقين وادعى النصارى بالقول بالتثليث ، وقال المجوس باله النور واله الظلمة .

(٣٠) ابن قتيبة — شرح حديث النزول ص ١٦٣ .

(٣١) ابن قتيبة : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج ١٧ ص ٤٤٤/٤٤٣ .

ثالثا : اثبات أن الله تعالى عالم قادر حي قيوم ، وأنه واحد ، للرد على المعطلة النافين للصفات .

رابعا : الكلام في رؤية الله عز وجل في الجنة ، واثباتها أو نفيها ، وأن كلام الله مخلوق أو غير مخلوق .

خامسا : البحث في أعمال العباد وهل هي مخلوقة يحدثها الله تبارك وتعالى أو العباد وإذا كانت الاستطاعة قبل الفعل أو معه .

سادسا : الحكم على من مات مرتكبا الكبائر ، فهل يخلد في النار أو يجوز أن يرحمه الله تعالى ويتجاوز عنه ويدخله الجنة ؟

سابعاً : الدلالة على النبوة بعسامة ، رداً على اليراهمة وغيرهم من مبطلي النبوة ، والدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بخاصة .

ثامناً : القول في الإمامة ومن يصلح لها ومن لا يصلح له وهل هي قضية مصلحة تتم بأهل الحل والعقد في الأمة أم أنها تتم بالنص ؟ (٣٢) .

هذه هي المسائل المثارة في المدارس الكلامية ، ويظهر من مصطلحاتها أنها ترتبط بمراحل تاريخية للمسلمين من أهم سماتها أنهم . كانوا فيهم أصحاب الحضارة السائدة في عالمهم .

والآن ، حلت مشكلات أخرى ، فاصبح من الضروري أن يجابهها الفكر الاسلامي بطرق ملائمة لثقافة العصر وحضارته . فاذا صورنا العالم الاسلامي أيام الاستيقاظ العقلي مع خصوم الاسلام ، فإنه من الواضح أنه كان مهاجماً ، يملك في يديه العناصر الحضارية الاسمية ، ثم انحسرت موجة الحضارة وانقلب العالم الاسلامي مدافعاً بعد أن كان ممسكاً بزمام الامور مرهوب انجانب مسوع الكلمة (٣٣) .

والنظرة العامة لتاريخنا المعاصر تجعلنا نترك صحة ما نذهب اليه ، نقد اتخذ الغرب موقف المهاجم منذ شن نابليون هجومه على الشرق الذي

(٣٢) الخوارزمي — مفاتيح العلوم ط المنيرية ص ١٧ — ١٨ ط ١٣٤٢ هـ

(٣٣) بلول شمتز — الاسلام قوة الغد العالية ترجمة الدكتور محمد شامة ص ٦٤ .



بدأ في التمزيق حينئذ بالغاء الذروة في الحرب العالمية الأولى حيث انهار النظام الذي كان قائما في ظل الخلافة العثمانية .

وتجددت المشاكل امام الفكر الاسلامي الذي أخذ يجابهها بأساليب جديدة . نتيجة من ناحية لمقاومة الاستعمار ومقاومة المذاهب والبحوث الفكرية التي خلفها بمعاونته في تمكين سلطته في رقعة البلاد الاسلامية (٣٤) . ومن ناحية اخرى أصبح من واجب العلماء التعريف بالاسلام بصورته الشاملة ككين وحضارة وبعث النشاط في قيمه العليا — سواء في جقاتها الميتافيزيقية او انظمتها التشريعية والاجتماعية والسياسية — او في قيمها الانسانية الاخلاقية في هذا العصر المصطبغ بالتقدم العلمي المادي ، الذي عزل الانسان عن القيم الروحية التي غذته بها الاديان .

ومهما بلغت العلوم في تقدمها وازدهارها ، فليس لها أن تعترض طريق الدين . وقد أصبح هذا الاستدلال في غاية القوة حيث ان العلماء اعترفوا في هذا القرن بأن العلوم المادية لا تعطى الا علما جزئيا عن الحقائق (٣٥) ومن جانب آخر فقد اضطر العلماء الى الانحناء والخضوع امام آلاء الله عز وجل ، والاقرار بأن الزهو بالعلم والاكتشافات العلمية كان تعبيرا عن قصور في ادراك الانسان لمدي قدرته ازاء سنة الله الكونية ثم اظهرت الاكتشافات أن الانسان لا يستطيع اكتشاف قوانين حياته بنفسه ، وان الاشياء التي لا نطلع عليها هي أهم بكثير من التي نطلع عليها واقترارا لهذا الواقع ، اشترك نحو مائة وخمسون من كبار علماء العالم في نشر معجم بعنوان ( دائرة معارفه الجهل )

موضحين الكثير من الظواهر والحقائق الانسانية والكونية التي لا تزال بدون تفسير كذلك مما يقرب عالم الغيب للادهان الذي يشمل اصول الدين اغلب قضاياها محاولات العلماء معرفة عالم الاملاك حولنا وهومادي بنظير ولكن ابعاده وحركاته وسرعاته واعداده كلها تحير العقل وتذهله وتمجزه عن التصور الحقيقي — لأن هذا العالم اعظم واضخم من القسوة المتخيلة للادهان فالانسان الذي يدرس الكون ( مضطر لتغيير قيمه ومقاييسه الى هذه

(٣٤) محمد البهي : الفكر الاسلامي في تطوره .

(٣٥) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى .

المعجوم والكلمة الهائلة التي لا يستطيع أن يجد لها تشبيهاً معقولا لا يساعده على تسورها ونهها (٣٦) .

### النظرية النسبية :

ثم جاءت هذه النظرية لتنفى فكرة العبثية عن الكون ولتثبت أن الظواهر الكونية كلها تخضع لقوانين رياضية ثابتة (٣٧) .

### حجج المتكلمين في الدفاع عن منهجهم : —

يستند علماء الكلام في الدفاع عن منهجهم إلى الحجج الآتية : —

الأول : أن ظهور علم الكلام في زمن اتباع التابعين استتبعه استحسان وتم تعوينه بالكتب ، فبعد من هذا الوجه من قبيل البدعة الحسنة ، به انزاحت التشبه من طوبى أهل الزيغ وثبت قدم اليقين للموحدين .

الثاني : أن أدلة العقول لازمة لبيان صحة أصول الدين وحقائقها ، لأن المنهاج الصحيح في معرفة حق الكتاب وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم مستند من البراهين العقلية .

الثالث : إذا جعل أصل الدين الإجماع — لا العقل — فإن ذلك مخالفة للكتاب لأن الله تعالى لم يقل في القرآن ، ونحب الناس إلى النظر والاستدلال أبداً بمجادلة المشركين بالدلائل العقلية ومن تدبر القرآن ونظر في معانيه وجد تصديق هذا الأصل (٣٨) .

الرابع : يرى القاضي عبد الجبار ( ١٥٠هـ ) أنه لما منسح الرشيد من الجدل في الدين وحبس أهل الكلام ، كتب إليه ملك السند يطلب من يناظره ، فوجه إليه الرشيد تافها لم يحسن الجدل ، فاضطر إلى البحث عن يناضل

---

(٣٦) زهير الكرمي — مقدمة كتاب ( الكون والنقوب السوداء ) ص ١٢

سلسلة كتب ( عالم المعرفة ) بالكويت .

(٣٧) نفس المصدر ص ٣٦

(٣٨) السيوطي — صون المنطق ص ١٠٧ .

من الدين ، وأخرج أهل الكلام من السجن ووقع اختياره على أحدهم تبعثوا  
لننظره .

تروى القصة بوقائع اخرى ، تتطوّر في اجتماع الرشيد برجلين من  
المتكلمين فتكلمتا في مسألة فقال لبعض الفقهاء — أحكم بيننا ففسال هذا امر  
لا يعنيني فأمر له بصلة وقال هذا جزء من لا يشتغل بما لا يعنيه ، أما الرواية  
الثالثة ، فتشير الى امره بقتل رجلين تكلمتا امامه في مسألة غامضة فأمر  
بقتلهما لأنها زنديقتان .

ولكن المؤيدين لعلم الكلام يستخلصون منها جميعا عجز أهل الحديث  
عن النضال عن الدين لمغايرة منهجهم عن طريقة المتكلمين المستندة الى  
العقل .

#### رأى علماء الحديث في هذه الحجج : —

يرى المعارضون — ان الاختلاف ينبى ان يفصل بين النظر الشرعى  
والكلام المبتدع ويظهر الاختلاف بينهم منهجيا قبل أى شىء آخر ، اذ يرى أهل  
الحديث ان العقل لا يوجب شيئا فلا دور له ولا حظ في تحليل او تحريم  
او تحسين او تقبيح ما لم يرد به الوحي مستدلين على ذلك بقول الله :  
( وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ) ١٧ الاسراء ، وقوله عز وجل ( رسلا  
بشرين . ومنثرين لنلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ) النساء ١٦٥  
وقال تعالى حاكيا عن الملائكة فيما خاطبوا به أهل النار ( ألم ياتكم رسل  
منكم يتلون عليكم وينفرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ) الزمر ٧١ ليتبين من  
هذه الآية انه عز وجل اقام عليهم الحجة ببعث الرسل ، فلو كانت الحجة  
لازمة بنفس العقل لم يكن بعثة الرسل شرطا لوجوب العتوبة ، واذا تأسس  
الايمان من الفعل لادى ذلك الى انكار دور الرسل وكان وجودهم وعدمه  
بمنزلة واحدة ، او كانتهم اقتصر في دعوتهم على الشرائع وفروع العبادات  
دون اصول الدين .

وهنا يظهر صورة مختصرة للاعتراض في صيغة تهكم ، فيرى أحدهم  
( انه لو قال قائل لا اله الا الله عطفى رسول الله لم يكن مستكبرا عند

المتكلمين من جهة المعنى ، فظهر فساد قول من سلك هذا ( ٣٩ ) . وأيضا  
نفى الدين معقول وغير معقول والاتباع في جميعه واجب ، وأن الله تعالى هو  
الذى يعرف العبد ذاته فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( والله  
لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا سلينا فدل على أن الله تعالى يعرف العبد  
مع وجود العقل سبب الإدراك والحجة لقوله عز وجل ( ان في ذلك لآيات  
لقوم يعقلون ) النحل ٦٧ ، وقال ( ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ) ق . ٥  
وقال تعالى مخبرا عن أصحاب النار ( وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا  
في أصحاب السعير ) الملك ١٠ . فالعقل آلة لإقامة العبودية ولإدراك  
الربوبية ، فهو آلة التمييز بين القبيح والحسن ، السنة والبسطة الرياء  
والإخلاص ، ولولاه لم يكن تكليف ولا توجه أمر ولا نهى ( ٤٠ ) . وقديما عبر  
الجنيد عن مجز العقل من ادراك الربوبية وعاب على المتكلمين منهجهم  
بقوله ( نفس العيب حيث يستحيل العيب ، عيب ) ( ٤١ ) . ولا ينكر علماء  
الحديث النظر لزيادة البحث وانما أنكروا طريقة أهل الكلام إذ أسسوا  
طريقتهم على وجوب النظر اولا المؤدى الى معرفة الباري عز وجل ، بينما  
ينبت اتباع هذه الطريقة من النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته والتابعين  
بعده ( ٤٢ ) ، وقد علمنا من سيرته أنه لم يدع احدا الى الاستدلال بالاعراض  
والجواهر وحدث الاجسام كما يفعل أهل الكلام ( ٤٢ ) . بل ان دراسة  
منهج الانبياء والرسائل يجعلنا ندرك أنهم لم يشتغلوا بالنظر وتلقين اتباعهم  
والمصدقين بهم الأدلة التي هي أصول الاسلام ، لكنهم حرصوا على تعليم  
الشرائع والآداب . وينبى التمييز بين لفظي التقليد والاتباع ، فالتقليد هو  
في قول الغير بلا حجة ، أما الاتباع فانه السير على منهاج رسول الله صلى  
الله عليه وسلم بعد قيام الأدلة : على نبوته ، المنسولة اليه بواسطة أهل  
الاتقان والثقات من الى ما لا يعد كثرة من المعجزات والبراهين والدلالات ،  
وأهملوا تعليمهم الدلائل وتعليمهم كيفية حل الشبه ، ولو فعلوا لنقل اليه  
تصانيفهم كما نقل اليه كتب الفلاسفة والمتكلمين من علماء المسلمين ، ويذهب

- 
- ( ٣٩ ) القضاة عبد الجبار — مرق وطبقات المعتزلة ص ٦١ — ٦٢  
( ٤٠ ) السيوطي — صون المنطق ص ١٨٠ .  
( ٤١ ) السيوطي — صون المنطق ص ١٧٠ .  
( ٤٢ ) ابن خلدون — المقدمة .

ابن الوزير اليماني الى ابعد من هذا فيرى انه لم ينقل ان اثنين اختلفا في شيء قط ، ولا كذب احدهما الآخر ولا غلظه ولا خطاه ، ولو كانوا اكتسبوا ذلك بالنظر لقضت المادة باختلافهم كما امتد الاختلاف بين الفلاسفة والمتكلمين ، فان كثيرا منهم قد تمردوا بمقالات حتى قيل اجتمع العلماء في النظريات محال . ويضيف الى ذلك دليلا آخر ، هو انقطاع الانكباء في تحصيل علم الكلام ، دقيقه وجليلة ، مستفيدا بما انتهى اليه الرازي معترفا بالقصور عن بلوغ غايته ومنتهاه ، فقرر في وصيته التي مات عليها ( ولقد اجتزت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رايت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم ) (٤٣) . ويورد القصة التي شنع بها اهل الكلام على المحدثين من ارسال ملك الروم الى هارون الرشيد وطلب « المناظرة » وعجز المحدث عنها وسخرية اولئك الفلاسفة ، فقد كثر الكلام في التبيح بذلك ، ويحكىة اخرى تشبهها . والجواب عليهم في ذلك انهم ارادوا الاستدلال على انهم اجدل من المحدثين ، فذلك مسلم لهم بل مسلم لهم انهم اجدل من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لان الكل يعلم انه لم يصدر شيء من الكلام ومجادلة الفلاسفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من جميع اصحابه رضى الله عنهم ولا اشتغلوا بمارستهم لما رواه اهل اللجاج . ولا يلزم من ذلك انهم اقل معرفة بالله ولا اقل نصرة لدين الله ، ولو احبوا الخوض في علم الكلام واشتغلوا بتعلمه وتعليمه لبلغوا فيه ما ارادوا وعرفوا ما عرف المتكلمون وزادوا ، ولكنهم امراضوا اعراض مستغن عنه — واستقرأ السير وال اخبار تدلنا على انهم لم يبعوا هذا الاسلوب في الدعوة ، فهامى قصة جعفر بن ابي طالب ومهاجرو الحبشة مع النجاشي وما راجعه به خطيبهم جعفر حين قيل للنجاشي انهم يقولون في عيسى عليه السلام قولا عظيما ، فلما سألهم النجاشي عن ذلك اجابوا بكلام اله تعسلي واحتجوا به على صحة عقيدتهم وتلا جعفر على النجاشي صدر سورة مريم حتى بكى النجاشي واصحابه وكان ذلك سبب اسلامه ، كما ارسل صلوات الله عليه اني هرقل من كان على صفة المحدث الذي ارسله هارون وهو نجيسة بن خليفة الكلبي ولم يعلمه ما يجيب به عليهم ان اورثوا عليه ما يدق من شبههم

وهم أهل المنطق وسائر الدقائق النظرية ، كما بعث إلى النجاشي صاحب  
انجشة ، وإلى المقوقس صاحب الاسكندرية وبعث اباعبيدة إلى اليهوسين  
يعلمهم الاسلام ، وبعث عليا ومعاذا وابا موسى إلى اليمن ، وبعث إلى سائر  
الملوك للدعاء إلى الاسلام لم يرضيها شيئا من ذلك مثل كتابته إلى هرقل وإلى  
كسرى . وخلا المنهاج الذي اتبعه الرسول — كما امره الله عز وجل — هو  
الاقتصار على مجرد الدعوة إلى الاسلام والالتكال في ايضاح الحججة على  
ما قد فعله الله تعالى لهم من اظهار المعاني وتكديم البيانات الواضحة  
لنعقول ، اذ قال الله عز وجل تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
وبيانا لحد ما يجب عليه ( فان تولوا فمأثمنا عليك البلاغ والله بصير بالعباد )  
أى في الذي ببواطنهم وما اقام عليهم من الحججة ، اذ لا مطمع في هداية المرء  
والجدل والحجة وكيف يطمع فيهم وقد حكى الله تعالى عنهم أنهم جادلوه يوم  
القيامة وأنكروا ما صنعوا معاصيه سبحانه وتعالى حتى شهدتهم عليهم  
أيديهم وأرجلهم ، فقالوا لامضائهم لم شهدتم علينا (٤٤) .

وان قيل ان الله تعالى قد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالجدل  
في قوله تعالى ( وجادلهم بالتي هي أحسن ) فالجواب من وجهين ، أحدهما ،  
ان الله تعالى بين ذلك بالتي هي أحسن ولم يأمره بمطلق الجدل ، فابتدل ما أمره  
ومع ذلك فلم ينقل عنه انه جادل بأساليب المتكلمين والجدليين فثبت ان التي  
هي أحسن ليست سبيل المتكلمين مثل ما علم الله رسوله ان يحاجهم به في  
قوله تعالى ( قل انما أعظمكم بواحدة ان تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا  
ما بصلابكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي شديد قل ما سألتكم من اجر  
شئو لكم ان أجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد ) وتنفيذ طاهر الالهى  
( وأنفر عشيرتك الأقربين ) فمعدملى الصفا فجمل ينادى لى بنى قريش حتى اجتمعوا  
فسألهم ( أرايتكم لو أخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم ككنتم مسنقى )؟  
قالوا ( نعم ) ما جرينا عليك الا صدقا ) قال ( فانى نذير لكم بين يدي عذاب  
شديد ) ، والامثلة الاخرى كثيرة في القرآن عن محاجة الانبياء وجدالهم كما  
في سورة هود ، ومحاجة ابراهيم لقومه ومحاجة يوسف لصاحب السجن .

(٤٤) ابن الوزير اليماني عن سنة ابي القاسم صلوات الله عليه  
ج ٢ ص ١٣١ .

الوجه الثاني — أن الله تعالى أجمل كيفية الجدال بالتى هي أحسن في تلك الآيات وبينه في غيرها بتعليمه في القرآن العظيم لنبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ( أن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أسلمتم فلن أسلموا فقد اعتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ) ، فهذه الآية واضحة الدلالة على الامر بالانتمسار على مجرد الدعاء الى الاسلام والاتكال في ايضاح الحجة على ما قد فعله الله تعالى لهم من خلق العقول وبعثة الرسول وانزال الآيات واظهار المعجزات وتكثير مواد البينات (٤٥) وسترى ايضا أن ابن تيمية في معارضته لعلم الكلام يوضح أن السلف الصالح لم يعارضوا جنس النظر والاستدلال ولكن المعارضة اتجهت الى الاساليب الكلامية المستقاة من الفلسفة اليونانية وكان الاخرى الاحالة الى الأدلة الشرعية وفي مقدمتها القرآن الحكيم لأنه اتجه في خطابه للانسان باستثارة توائين العقل وبراهينه وتحريك وجدانه وايقاظ قلبه من الغفلة .

---

(٤٥) لابن الوزير اليماني — الذب عن سننه ابي القاسم صلوات الله عليه وسلم ج٢ ص ١٣٨ وما بعدها — ١٤١ .





## البسبب الرابع

### موقف أهل الحديث والسنة من المعتزلة

#### الفصل الأول :

- التعريف بعلماء الحديث ومنهجهم .
- التعريف بالمعتزلة وأصولهم الخمسة .
- دوافع علماء الحديث لجانبه المتكلمين .
- علم الكلام لدى علماء الحديث والسنة .



### التعريف بعلماء الحديث ومنهجهم :

الحديث والسنة يعنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم سنته المنقولة اليها عن الثقات منذ الجيل الاول — اى الصحابة — ثم التابعين وتابعهم الى ان تلتفاسها المحدثون بمنهجهم الدقيقى فى الجرح والتصديج

ولم يقتصر علماء الحديث بطبيعة الحال على نقل الاحاديث المتعلقة بالفقه والعبادات والاعمال فحسب بل تناولت احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم كلها بما فى ذلك ما يتناول اصول الدين من توحيد الله سبحانه والايمان باليوم الآخر والملائكة والبعث والحساب والعقاب والجنة والنار وما الى ذلك من عالم الغيب الذى يشكل موضوعات اصول الدين ، وامرد له المحدثون فى كتبهم ابوابا خاصة .

الى ان الحديث قد دون — فى ارجح الروايات — ايام الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكان المسلمون فى عصر الصحابة والتابعين يستمدون عقائدهم عن اصول الدين من الكتاب والسنة ، وذلك قبل ان يطورا عامل الترجمة والفلسفة اليونانية ، اذ تحولت المناهج بعدها بين نزاع بين المحدثين من جانب والمتكلمين والفلاسفة من جانب آخر ، اذ ظل اهل الحديث على طريقة الاوائل ، بينما ظهر علم الكلام على يد المعتزلة كواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ممن استخدموا منهجا عقليا فى اصول الدين استخداما خاطئا لاتهم اطلقوا الفاظ الفلسفة اليونانية على المعانى الاسلامية .

وقد قام اهل الحديث بهمة كبرى فى تاريخ الاسلام اذ حفظوا للمسلمين الاصل الثانى من اصول الاسلام ممثلا فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا تستقيم حياة المسلمين بدون معرفتها واتباعها ، وقد تبط بعلماء الاحاديث وفتقنتها وتمييز الصحيح من الضعيف والموضوع فحفظوا لنا تراث النبوة فلم يضع كما ضاع غيره من تراث الانبياء والرسل من قبل وصاتوه من التحريف والتبديل والتعديل الذى حدث فى تراث الرسل والانبياء من قبل ،

وبقى الاسلام بدعامتيه الكبريتين — كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

الحديث هو اسم من التحديث ، وهو الاخبار ثم سمي به قول او فعل او تقرير نسب الى النبي عليه الصلاة والسلام (٢) .

وجمع المحدثون بين طريقتي الحفظ والتدوين ، وظهرت مراحل تدوينه وحفظه من المسانيد الى الصحاح .

واقيم العلم على صروح منينة من التنقيح والتعديل والتجريح والتثبيت من صدق الرواة الناقلين للحديث ، وانكب على خدمته الآلاف من العلماء ويتقاتلونه جيلا بعد جيل بحرص وداب دون أن يعتورهم الكلال أو الملل ، بل يحذوهم الفخار والزهو لأنهم يؤدون عملا يقتربون به الى الله تعالى ويدخل في دائرة العبادة ، لأنهم يحافظون على سنة رسولهم صلى الله عليه وسلم ، التي بها يعرف المسلمون تفاصيل عبادتهم ويتقنون في دينهم ويستنبطون أحكامه ويعرفون شريعته ويقفون أحكام أوامره ونواهيه ، فإن السنة تعكس مرآة صادقة لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعاله وتقريراته ، وقد قال صلى الله عليه وسلم ( نضر الله امرأ سبغ مقالتي فحفظها ووعاها وأدامها (٣) ) .

### سلسلة الإسناد :

ويمتد الإسناد — نقلا عن العلماء — الى الصحابة وتابعيهم .

ويبدأ بالصحابة وعلى رأسهم العشرة المبشرين بالجنة الى غيرهم أمثال ( أن أعلم الأمة وأخصها بعلم الرسول صلى الله عليه وسلم وعلم خاصته مثل الخلفاء الراشدين وسائر العشرة ، . . ممن كان أخص الناس بالرسول صلى الله عليه وسلم وأعلمهم بباطن أمورهم واتبعهم لذلك .

وقام العلماء المحققون أمثال مالك وابن حنبل والبخاري ومسلم وابن

(٢) القاسمي — قواعد التحديث ص ٦١ .

(٣) رواه الشافعي والبيهقي عن ابن مسعود القاسمي — قواعد التحديث ص ٤٨ .

مانجه والتسائي وابو داود والترمذى وابن ماجه وابو يعلى ، والداريمى الى الحاكم والبيهقى والدارقطنى والديلمى وابن عبد البر وامثالهم(٤) كل هؤلاء قاموا بدورهم فى خدمة هذا العلم يندون عنه تحريف المغالين ، وانتحال البطلين ، وتاويل الجاهليين .

اصل الحديث من اسامة بن زيد رضى الله عنه ، من النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ( يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفقون عنه تحريف المغالين ، وانتحال المبطلين ، وتاويل الجاهليين ) (٥) .

ورواه من الصحاح غير واحد ، أخرجه ابن عسدى والدارقطنى وابو نعيم .

وكانت جماهير المسلمين الغفيرة تتلقى الاحاديث من علماء لتعرف دينها وتقيم شمسائره ، فلما ظهرت علوم الكلام والتصوف والفلسفة واتبعها البعض ، ظلت الغالبية العظمى من المسلمين متفرعة بمنهج علماء الحديث ، فنبذت غيرها من المناهج لمعرفتها بانها طائفة دخيلة ، وغدت اليهم من طرق غير طرق المحدثين الناقلين لتراث النبوة . فيكون عندهم علم خاصة الرسول ويطاقتة .

### منهج علماء الحديث فى اصول الدين :

اذا كانت دائرة الحديث فى المرحلة الثالثة على اصحاب الصحاح المعروفين فان سندهم فى الحقيقة يتصل — جيلا بعد جيل — منذ الصحابة ، وهم الطرف الاعلى فى نقل الاحاديث ، فاذا عرفنا مكانة الصحابة وعلو قدرهم فى الدين ، عرفناهم مضمون ما نقله علماء الحديث ، ودورهم ومكانتهم مما جعل الامام الشافعى رحمه الله يقول ( اهل الحديث فى كل زمان كالصحابة فى زمانهم ) (٦) .

فالصحابة تدورثوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم العلم والايمان .

(٤) قواعد التحديث ص ٢٤١

(٥) القاسمى : قواعد التحديث ص ٤٨ .

(٦) القاسمى — قواعد التحديث ص ٤٩ .

فهم أهل حقائق الايمان ، وأهل الفهم لكتاب الله تعالى والعلم والفهم لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم (٧) .

ولكن بامتداد العصور والازمنة واختلاط المسلمين بغيرهم من الأمم ، والنزاع الحادث بين المتكلمين وغيرهم ظهور الفرق واستحداث مناهج جديدة في سماعه أو كتابته أو روايته بل شمل كل من كان حافظا له غارفا به ظاهرا وباطنا مع اتباعه وكذلك أهل القرآن (٨) :

وكشأن أى طائفة من الناس ظهرت قلة قليلة ضمن المنتسبين الى أهل الحديث ، غالوا في اثبات صفات الله تعالى وأخذوا يروون أحاديث موضوعة في الصفات ، وقد تجرأ منهم أهل الحديث وأعلنوا أنهم أبرياء منهم (٩) .

وبسبب الخصومات الناجمة من اختلاف المناهج وتحزب كل فريق لآراء أتباعه ، أطلق خصوم أهل الحديث عليهم أسماء أخرى تخالف الحقيقة وتدل على شدة الخصومة المبنية على الهوى . قال الإمام الحافظ أبو حاتم الرازي ( علامة أهل البدع الوثيمة في أهل الأثر أى الحديث — وعلامة الجهمية أن يسموا أهل السنة مشبهة ، وعلامة القدرية أن يسموا أهل السنة مجبرة ، وعلامة الزنادقة أن يسموا أهل الأثر حشوية (٩) ) .

**موقف أهل الحديث والسنة من المعتزلة :**

**تعريف :**

تكاد تجمع المصادر التاريخية وكتب الفرق على أن نشأة مذهب الاعتزال ترجع الى اختلاف وامنل بن عطاء مع شيخه الحسن البصرى ( ١١٠ هـ ) في الحكم على مرتكب الكبيرة ، واعتزاله مجلسه لهذا السبب ، وقبلا عدا هذه الرواية الشهيرة فان الملقى توفى سنة ( ٢٧٧ ) — يعقود بنشأة المعتزلة الى أيام تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمساوية بن ابي سفيان ، لانهم كانوا من اصحاب علي فاعتزلوا الناس ولزموا البيت والمساجد قائلين ( نشقتل بالعلم والعبادة نسموا بذلك « المعتزلة » ...

(٩٤٨٤٧) المصدر — نقض المنطق ص ٥٥ ، ٨١ ، ١١٩ .

(٩) القاسمي — قواعد التحديث ص ٥٨ .

### والارجح الرواية الاولى :

وعلى اية حال ، فقد انفصل الخوارج من الجماعة للأسباب التي ذكرناها ، آتفا ، وفعل المعتزلة بالمثل بطريقة اخرى ، واطلقوا على انفسهم اسم المعتزلة مشتركين معا في اعتقاد الاصول الخمسة التي وضعوها ، ففارقوا جماعة المسلمين وانفصلوا عنهم حريصين على التمييز والظهور بما اعلنوه من عقائد مخالفة ، ولهذا فقد قوبلوا بالاستنكار والمعارضة من جانب العلماء ، لانهم ابتدعوا آراء لم يعرضها الاوائل كالحكم على مرتكب الكبيرة بانه في ( منزلة بين المنزلتين ) ونفى القدر . فكان عبد الله بن المبارك يحذر المسلمين منهم بقوله ( ايها الطالب علما ايت حماد ابن زيد ، فخذ العلم بحلم ، ثم قيده بقيد ، وخر البدعة من آثار عمرو بن عبيد ) ومنه تفهم الانشقاق الذي بدا يظهر بين علماء الحديث والمتكلمين منذ بزوغ المسائل الكلامية في مهدىها ، اذ كان عمرو بن عبيد قبل ذلك منخرطا في سلك الجماعة الاسلامية ، مرتبطا بالاصول الاسلامية ، منتويا الى حلقة الحسن البصري امام البصرة الكبير ، ولكنه باعلانه لرايه المخالف لراى الجماعة اعتبر مبتدعا ، فوصفه ابن حبان بانه كان من اهل الورع والعبادة الى ان احدث ما احدث واعتزل مجلس الحسن ، وجماعة معه فسبوا معتزلة ، وكان يشتم الصحابة ويكذب في الحديث وهما لا تعددا . . . . .

### الاصول الخمسة عند المعتزلة :

والاصول الخمسة التي اتفقوا عليها هي : —

التوحيد ، العدل ، والوعد والوعيد ، المنزلة بين المنزلتين ، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فمن اتقص منها او زاد عليها اصلا واحدا لا يستحق لقب الاعتزال .

ولانكار المعتزلة مظهر براق كالذهب المزيف يجذب بظاهره الصيون ، ولكن سرعان ما يظهر بريقتة الزائف من يتعمق في فهمه ، فاذا دققنا في فهم اصولهم واحدا فواحدا ، تحللا لها ومقارنة بما يقابلها من عقائد اهل السنة والجماعة ، ظهر لنا زيف بريقتها .

ومرادهم بالتوحيد نفي صفات الله تعالى ، وقد أورد عقيدتهم كلمة أبو الحسن الأشعري في كتابه ( مقالات الإسلاميين ) ، ومنها نستقى بعض ما ذهبوا إليه في هذا الأصل ، إذ أجمعوا على أن الله واحد ليس كمثل شيء وهو السميع البصير وليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ، ولا يحيط به مكان ولا يجري عليه زمان ولا تجوز عليه الممارسة ولا الحصول في الإمكان ، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدوثهم ، وكل ما خطر بالبال وتصور بالوهم فغير مشبه له ، لم يزل أزلا ، أو لا سابقا للحدثات ، موجودا قبل المخلوقات ، ولم يزل دائما قادراً حياً ولا يزال كذلك ، لا تراه العيون ولا تدركه الأبصار ...

ويضئ الأشعري — وهو خبير بعقائدهم لأنه كان معهم طوال أربعين عاماً — لما ينقل لنا كل ما قالوه في ( التوحيد ) ، ويكفي من الاطلاع عليها معرفة الالفاظ والمصطلحات الفلسفية ، فضلاً عن استخدام أوصاف لائقة تجعلنا ندرك خلو القلوب والنفوس من الهيئة التي استشعرها المسلمون الأوائل ، وفهم أيضاً التعليق المنسوب للجنيد القائل ( نفس العيب حيث يستحيل العيب عيب ) . وربما عنى بذلك مثل أطلاقتهم المترادفات الآية ( وليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ، ولا لحم ولا دم .. الى قولهم ) ولا بذى حرارة ولا رطوبة ولا يبوسة ولا طول ولا عرض ولا عمق ... الخ (١٠) .

وغيرها من الالفاظ التي تتناقى مع ادب الحديث عن رب الصالحين جل شأنه ومن هنا تفهم حكمة سكوت السلف الصالح عن مثل هذا الكلام واكتفائهم بالقرآن العظيم ، وهو دليل على عمق الايمان والعناية الفائقة بكتاب الله تعالى تلاوة وحفظاً وعملاً لمايقنوا انه يفنيهم عن كل ما سواه .

والمفهوم من ( التوحيد ) عند المعتزلة انهم يعنون به اثبات وحدة الذات الالهية منقوا الصفات ظناً منهم ان اثباتها يؤدي الى الشرك وانكروا رؤية الله تعالى في الآخرة وعن هذا الأصل أيضاً تسرع قولهم في القرآن بأنه محدث ، مخلوق . وقد وقف لهم علماء السنة بالمرصاد ودحضوا عقيدتهم



بالحجج العقلية وشكلت مجادلة الامام أحمد معهم اهم سند لعقيدة اهل السنة والجماعة .

( ١ ) وقد ظن المعتزلة أنهم بنفى الصفات الالهية يؤكفون عقيدة التوحيد ، ويحاشون التشبيه والتجسيم والحشسو ، ووصفوا من خالفهم بهذه الصفات وهم اول من رموا مخالفهم بهذه الصفات .

ويرى ابن تيمية عند نقده لهم أن الاسماء التي يتعلق بها المدح والذم من الدين لا تكون الا من الاسماء التي أنزل الله بها سلطانه ودل عليها الكتاب والسنة والاجماع كالمؤمن والكافر والعالم والجاهل والمقتصد والمحد ، فاما هذه اللفاظ الثلاثة فليست في كتاب الله ولا في حديث عن رسول الله ولا ينطق بها احد من سلف الامة واثمتها نفيا ولا اثباتا . ولذلك اصبح التوحيد عندهم مصطلحا يعنون به نفى جميع الصفات الالهية ، وكل من أثبت شيئا منها رموه بالتجسيم والتشبيه حتى أن من قال ( ان الله يرى ) او ( ان له علما ) فهو عندهم مشبه مجسم . ( واما التوحيد الذي بعث الله به الرسل وانزل به الكتاب فليس هو متضمنا شيئا من هذه الاصطلاحات بل امر الله عباده أن يعبدوه وحده لا يشركوا به شيئا فلا يكون لغيره نصيب فيها يختص به من العبادة وتوابعها — هذا في المبدأ ، وفي القبول : هو الايمان بما وصف به نفسه ووصفه رسوله ) ولا بد من التوحيد بالقول والكلام — وهو أن يصفوا الله بما وصفته رسله وهذا وحده لا يكتفى في السعادة ، والنجاة في الآخرة ، بل لابد من أن يعبد الله وحده ، ويتخذها دون سواه وهو معنى قول ( لا اله الا الله ) .

ان هذا الفصل بين العلم والعمل وترجيح جانب على آخر ، واثارة الجدل قضائيا مستقرة ، كل هذه الاسباب تربتهم من الفلاسفة ، وحولت العقيدة النابضة بالحياة الى نظريات يدور حولها النقاش وتختلف عليها وجهات النظر بين أخذ ورد .

( ب ) أضف الى ذلك ، فان اية مقارنة بين صفات الله تعالى وأعماله واسمائه الحسنى وبين ما ابتدعوه بحجة التوحيد ، يرينا مدى الانعزال الظاهر من مصطلحاتهم فهي ادنى الى الفاظ الفلاسفة اليونان منها الى آيات القرآن .

والقرآن الكريم ملء بثببات صفات الله تعالى وأسمائه ، فمن العلم  
نقرا قوله تعالى : —

( ولله غيب السموات والارض اليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه  
وما ريك بغفل عما تعملون ) ١٢٢ هود .

كذلك قوله عز وجل : —

( الرحمن على العرش استوى(ه) له ما في السموات وما في الارض  
وما بينهما وما تحت الثرى ٦ وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى ٧ الله  
لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ٨ ) ( الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تفيض  
الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار ٩ عالم الغيب والشهادة الكبير  
المتعال ) ١٠ الرعد .

وتفرده عز وجل بالالوهية : —

قل انما يوحى الى انما الحكم اله واحد فهل انتم مسلمون ١٠٨ الانبياء  
( انما الحكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما ) ٩٨ طه .  
قال ممن ربكما يا موسى ٤٩ قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم  
هدى .

ومن القدرة : —

( ذلك بان الله هو الحق وانه يحيى الموتى وانه على كل شيء قدير ٦  
الحج ) ( يخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير ( من آية ٥ ) النور ) .  
وانظر الى الايات من ٨٤ : ٨٦ سورة « المؤمنون » .  
( الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك  
وخلق كل شيء مقدره تقديرا ) ٢ النورقان .

( ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو  
العلی الكبير ) ٣٠ لقمان .

الصفات الالهية : —

يتضح لقارئ القرآن الكريم ، والمطلع على السنة النبوية ، عنايتها  
الملائكة بثببات الاسماء والصفات الالهية .

فما مغزى ذلك وما جدواه ؟

قلنا من قبل ، ان الانسان مفعور على معصرة ربه عز وجل والاقرار بوجوده ، ونستطيع القول هنا ايضا ( على سبيل اليقين ، لا على سبيل الظن ، بلن صحائف الفكر البشرى لم تشهد انسانا بغير عقيدة فى اله ) .

ولكن ياتى الاختلاف بين البشر فى التصور نفسه لا اختلاف فى انفس الاعقاد بوجود الله .

خذ مثلا فلسفة ارسطو المبدأ الاول بوجوب الوجود ، ولكنها ذات مجرد من كل وصف ، ولا دخل له فى اى شأن من شئون الكون ، فسقطت بذلك باب الدماء والالتجاء بل قطعت كل خيط من الامل والرجاء لدى بنى آدم ، اذ لا جدوى من محاولة ايجاد اية علاقة بينهم وبين ( المبدأ الاول ) كما يصوره هذه الفلسفة .

وعلى العكس خلقت عقيدة العرب الجاهلية كل صفة من صفات الاله على اشخاص من خلقه ، كالقدره على الاحياء ، والرزق ، والعلم الخ . . . . . فقطعت بذلك ايضا الرجاء فى سؤال الاله الواحد والالتجاء اليه لم جاءت الايات القرآنية والاحاديث النبوية . منكرة الانسان بصفات الله اى يعلمه وتبهرته وسائر صفاته ، واسماؤه الحسنى .

فهو سبحانه الحى القيوم ، يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف عنه السوء وهو اقرب اليه من حبل الوريد ، وانه عز وجل معه يعلمه اينما كان .

حيث يطمئن قلبه ، ويقوله شديد الثقة بالعون الالهى ، اذ يؤمن ان ، لا ملجأ منه الا اليه ، فيصبر عند البلاء ويشكر عند الرخاء : يستنصره فينصره ويسأله فيعطيه ، يستسقيه فيسقيه ، ويتقرب اليه فيقربه .

وهكذا تانى الاسماء والصفات الالهية منبهة بنى آدم الى حاجتهم الدائمة الى خالقهم ورازقهم لكي لا يتوهم الاستقلال والغنى بذواتهم عن مولاهم ، وتفتح امامهم باب الامل فى حياة افضل دائما سواء فى الدنيا او الآخرة .

فبمعرفة العبد لربه ذاتا وصفات تجعله يدرك أن الله يراقبه في حركاته  
وسكاته في سره وعنه ، فيخشاه ويتقيه ويلجأ اليه عبدا داعيا متضرعا .

ويوسمك الامام بطرق من عقائد أهل الملل والنحل الاخرى كاليهودية  
والنصرانية والمجوسية ، فلا تعثر في تصوراتها الالهية ، يمثل تصور المسلم  
لربه عز وجل مما ادى الى الاقتصار على الالهية ، بالنسبة الى الانسان  
الغربي ، واجلال العلم والانسان مؤلهين ، محلها على الارض ، وليتدبر بعد  
ذلك ما اوتعته كوارث القسرن العشرين المتلاحقة بتلك الالهية الجديدة  
للعلم والانسان من دمار ) .

والاسوا من ذلك انتقال العدوى اليها معشر المسلمين بعد ضعف  
عقيدة التوحيد وهي الحصن الذي تلوذ به لرفع هذا الطوى ، بعد ان تسرب  
اليها انحراف الغيب فاصبح خضوعا لحواسنا يكاد يكون تاما مثلهم ، وكادت  
الغالبية منا تمتد التخرة على تخطى الظواهر ببصائرنا وعقولنا الى الله  
عز وجل خالق الكون ومبهره .

وعلى المستوى الحضارى ، قامت الحضارة الاسلامية على عقيدة التوحيد ،  
تطلت بمفاسكة عندما وازن المسلمون بين اطرافها ، اى بين الايمان بالله  
قينا ذاتا وصفات - وبين اعداد العدة بالاساليب العسكرية المصرونة  
اتذاك ، فاجتاح المسلمون الامبراطوريتين الفارسية والرومانية بفضل  
ايمانهم بالله تعالى على هذه الصورة ، اذ ايقنوا انه نصرهم ، فلم ترهبهم  
قوى الاعداء الظاهرة الملموسة ولم يخيفهم الفارق المشاهد فى القوى والعتاد  
والعدد ، لانهم ايقنوا ان الله من وراء الغيب يؤيدهم ويشد ازرهم .

والمقصود بالاصل الثانى ، وهو العدل ، ارجاع كل عمل الى الانسان  
لتفسير ظهور الشر ونسبته الى الانسان فقط . واذا كان المسلمون كافة  
يؤمنون بعدل الله سبحانه وتعالى ، فان المعتزلة فسرعوا الكلام عن هذا  
الاصل ، فادى بهم الى ايجاب الصلاح والاصلاح على الله تعالى ، وانبتقت  
فكرتهم عن الحسن والقبيح العقليين وانهما ذاتيان عقليان كما تفرعت ايضا  
مسألة خلق اعمال العباد قالوا : ( يمتنع عليه ارادة الشر والمعاصي

(التبجح) . وقالوا : ( يريد ما لا يقع ، ويتبع ما لا يريد ) فزعموا أنه تعالى راد من الكافر الايمان وان لم يقع الا الكفر وان وقع ، وكذا اراد من الفاسق الطاعة لا الفسق ، حتى زعموا ان أكثر ما يقع من عباده على خلاف براد الله ، تعالى من ذلك .

وظاهر عقيدتهم ارادة تنزيه الله تعالى ، ولكننا سنعرف عنديا نعروض إراء علماء أهل السنة ، كم اخطأوا وشذوا ، لانهم لم يتبهاوا الى التميز بين الامر والرضا والمحبة اذ لا تكون الا في الخير ، ولكن الارادة قد تكون في غيره فهي تتعلق بكل ممكن كما يذكر ابن تيمية . قال الله تعالى ( ولا يرضى لعباده الكفر ) ، ( ان الله يأمر بالفضاء ) فان قيل ، قد قال الله تعالى ( يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ) وقال ( واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترغيبها ففستوا فيها ) ، فالقصد هنا ان الارادة التي تعنيها هي الارادة الكونية المتصلة بالحكمة من خلق العالمين .

ولما الارادة الدينية المتصلة بالوامر الشرعية فهي ترادف الرضا والمحبة . وربما يلخص لنا موقف المعتزلة عبارة القاضي عبد الجبار في قوله ( سبحان من تنزه عن الفحشاء ) ، بينما يعبر عن اتجاه أهل السنة والجماعة رد ابي اسحق السفاريني ( سبحان من لا يقع في ملكه الا ما يشاء ) (١١) .

### الايان بالقدر وعلاقته بالارادة الانسانية :

من افضل ما نستعمل به هذا الموضوع ، هو اجابة السؤال الذي وجه الى جعفر الصادق رضي الله عنه عندهما سئل من قول اللو تعالى ( انمحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون ) المؤمنون لم خلق الله الخلق ؟

فاجاب : لان الله كان محسنا بما لم يزل فيما لم يزل ، فلو اراد الله ان يبيض احسانه الى خلقه وكان غنيا عنهم ، لم يخلقهم لجر منعمة ولا لنفع مضرة ، ولكن خلقهم واحسن اليهم فارسل اليهم الرسل ليفصلوا بين الحق والباطل فمن احسن كافاه الجنة ومن عصى كافاه النار ) .

ويشرح ابن القيم انواع الابتلاءات التي يتعرض لها الانسان اقتناء حياته في الدنيا ، محصيا الايات القرآنية الدالة عليها .

(١١) شرح عقيدة السفاريني ص ٢٣١ : ٢٣٢ .

ويذكر على ان الله سبحانه وتعالى ابتلى العباد بالنعم كما ابتلاهم ،  
بالمصائب ، وان ذلك كله ابتلاء فقال ( وتبلوكم بالشر والخير فتنة ) .

وقال : ( فلما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي  
أكرمن وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن ) ( ١٢ ) .

وقال : ( الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا ) .

وقال : ( وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه  
على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا ) .

فأخذ سبحانه انه خلق العالم العلوي والسفلي وقدر أجل الخلق ،  
وخلق ما على الارض للابتلاء والاختيار ، وهذا الابتلاء انها هو ابتلاء صبر  
العباد وشكرهم في الخير والشر والسراء والضراء . ( ١٣ ) .

كذلك وردت الاحاديث الكثيرة في بيان ما يقابله المؤمن في حيلته من  
ابتلاءات طوال عمره ، منها :

— من سهيبه السروسي رضى الله عنه قال : تسال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم ( عجبا لامر المؤمن ، ان امره له كله خير وليس ذلك لاحسد  
الا للمؤمن ، ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان أصابته ضراء صبر  
فكان خيرا له ) ( رواه مسلم ) .

— عن مصعب بن سعد عن ابيه قلت يا رسول الله اي اشد بلاء ؟  
— اي مجنا وشدائد .

قال الاقبياء ثم الامثل فالامثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فاسان  
كان دينه سلبا اشد بلاؤه ، وان كان في دينه رقة ابتلاه الله على حسب

---

( ١٢ ) في تفسير ابن القيم الآية : قال الله تعالى : كلا اي ليس الامر  
كما يقول الانسان بل قد ابتلى بنعمتي وانعم بيلائى .  
( ١٣ ) ابن القيم : عده الصلبرين ونخيرة الشاكرين ص ١٢٥ معلومة  
الامام .

دينه ، فما يبرح البلاء بالمعبد حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة  
(رواه ابن ماجه وابن ابى الدنيا والترمذى وقال حديث حسن صحيح ) . .

والعبد المؤمن أمام شكره على النعم وصبره على البلاء حتى يجتسز  
طريق الدنيا ويعود الى الجنة — موطنه الاصلى كومد الله تعالى اياه  
( فانه ما حرمه — عز وجل الا ليعطيه ، ولا أمرضه الا ليشفيه ، ولا أفقره  
الا ليغنيه ، ولا أماته الا ليحييه ، وما أخرج أبويه من الجنة الا ليعدهما  
اليها على أكمل وجه . كما قيل : يا آدم لا تجزع بنى قولك وأخرج منها ،  
فك خلقتها وسامعك اليها ) .

### موقف الإنسان :

الإنسان اذن أمام هذه الحقيقة لا يملك فرارا ، فهو بين أمر يجب  
عليه امتثاله وتنفيذه ، ونهى يجب عليه اجتنابه وتركه ، والصبر مع هذين  
الطرفين لازم ولا يخلو من نومين :

احدهما — يوافق هواه ومراده كالصحة والسلامة والجاه والمال .  
والاخر — المخالف للهوى وهو على شكلين :

أ — يرتبط باختياره كاطعامات والمعاصي ، وعليه يرتبب الاجر .

ب — لا يرتبط باختياره كالمصائب ، وبها تحيى السيئات وترفع  
الترجسات .

ولكن الثابت ان الإنسان لا يملك منح نفسه القدرات والمزايا الجنبلية  
كالذكاء والصحة والانوثة او الذكورة ، ولا يملك اختيار أبويه ميرث عنهما  
بواهب وسيمات معينة دون الاخرى ، ولا انتخايب الزمان  
الصالح ليعيش فيه ، ولا البيئة الصالحة ليمنى فيها طفولته . هذه كلها  
أمور لا يملكها الإنسان وخارجة عن نطاق اختياره وليس مسئولاً عنها .

ولكن المتعلمين بالقدر على اعمالهم الانسانية يحتجون بأياتهم قرآنية  
يختارونها وفق أهوائهم ، كتول الله تعالى (يسئل من يشاء ويهدى من يشاء)  
ناظر ٧ .

وهذا الاحتجاج سرعان ما يحض امام النظرة القرآنية لايات اخرى  
تضرب الانسان بين نعلين ، كتوله عز وجل ( انا هديناه السبيل اما شسكرا  
واما كفورا / .

وقوله سبحانه وتعالى : (ونفس وما سواها فللهيها فجورها وتقواها)  
والقرآن يفسر بعضه بعضا ، وهذا التفسير هو ادق التفسير الذي  
يلجا اليه العلماء لان القرآن ميسر لكل ذى بصر وبصيرة .  
( ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ) القمر ١٧ .

وبهذا الفهم يصبح تفسير الآية الاولى واضحة لا لبس فيه اذ معناها  
ان اضلال الله لشخص انه اثر النفي على الرشاد فآقره الله على مراده  
وتم له ما يفتى لنفسه . قال تعالى ( فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا  
يهدى القوم الفاسقين ) الصف ٥ .

اذن ، بمعنى قوله تعالى ( يضل من يشاء لا يعد وقوله ) وما يضل به  
الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من يعد ميثاقه ) البقرة ٢٦ ، ٢٧  
وكذلك الحال في قوله تعالى ( يهدى من يشاء ) . وللنظر الى قيسة الارادة  
الانسانية في قول الله تعالى وهو يتكلم عن ارادته ( قل ان الله يضل من  
يشاء ويهدى اليه من اناب الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر  
تطمئن القلوب ) الرعد ٢٧ ، ٢٨ .

ثم يأتي دور مناقشة المحتجين بالاحاديث النبوية وربما يتسع اكثرهم  
على الحديث الاى — وينسرونه خطأ بانسه يخل على الجبر ونفى حسرية  
الارادة الانسانية .

والحديث : ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من  
الجنة ، فقالوا يا رسول الله ، افلا نتكل على كتابنا وندع العمل لا تسال :  
اعملوا بكل ميسر لما خلق له . اما من كان من اهل السعادة فيصير لعمل  
اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فيصير لعمل اهل الشقاوة ثم  
قرا ( فلما من اعطى واتقى وصمدق بالحسنى فسنيصره لليسرى واما من  
بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيصره لليسرى ) الليل ٤ .



قال تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول  
من ينقلب على عقبه ( النبوة ٢ : ١٤٣ ) .

وقال : ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم  
ويعلم الصابرين ( آل عمران ٣ : ١٤٢ ) .

وقوله : ولنبلونكم حتى تعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم  
( من ٤٧ : ٣١ ) .

فروى عن ابن عباس في قوله ( الا لنعلم ) اي ( لنرى ) وروى لثبيز .  
وكذلك قال عامة المفسرين ( الا لنرى وتميز ) وكذلك قال جماعة من اهل  
العلم ، قالوا : لتعلمه موجودا وانما بعد ان كان قد علم انه سيكون ولنظ  
بعضهم ، قال : العلم على منزلتين — علم بالشئ قبل وجوده ، وعلم به بعد  
وجوده . والحكم للعلم به بعد وجوده لانه يوجب الثواب والمعاقب .

قال : معنى قوله ( لنعلم ) اي لنعلم العلم الذي يستحق به العامل .  
الثواب والمعاقب ، ولا ريب انه كان عالما سبحانه بانه سيكون ، لكن لم  
يكن المعلوم قد وجد (١٤) .

ويتصل الامل الثالث بالوعد والوعيد مضبوطة كما يعبر عنه  
الشهرستاني ان المؤمن اذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب  
والعوض ، واذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود  
في النار ، ولكن عقابه يكون اخف من عقاب الكفار (١٥) .

وانسياق المعتزلة في هذا الامل يتصل بدفاعهم من الحرية الانسانية  
واحتكالمهم الى العقل اذ اصبح الثواب والمعاقب مندهم ينصب على العمل  
الانسان نفسها والتي يقتضيها العقل ومعنى هذا اعتقادهم ان المطيع  
ومعاقبة العاصي ان لم يتب — امر محتوم ( اي يجب ) على الله تعالى ان

---

(١٤) ابن تيمية : السرد على المنطقتين ص ٤٤٦ ط لاهور ١٣٩٦ هـ

١٩٧٦ م .

(١٥) الملل والنحل ج ١ ص ٥٩ .

يفعله ، فخلطوا بين الوعد والوعيد ، بينما يعتقد أهل الحديث والسنة أنه يجوز على الله تعالى اخلاف الوعيد لا اخلاف الوعد ، والمشرق بينهما أن الوعيد حقه فإخلافه عفو وهبة ، واستنطاق ذلك بموجب كرمه وجوده واحسانه وإلوعده على نفسه بوعده ، والله لا يخلف الميعاد . ويعتقد أهل السنة والجماعة أنه من موانع وقوع الوعيد التسوية والتوحيد والحسنات العظيمة والمصائب المكفرة وإقامة الحدود في الدنيا وأضعاف أضعافها .

ويأتي أصلهم في ( المنزلة بين المنزلين ) الذي عارفتوا به الجماعة ليرتبوا عليه اعتقاد أن يرتكب الكبيرة فاسق ، وهو في منزلة بين منزلتي الكفر والأيمان ولكنهم لم يكفروه كما فعل الخوارج ، كما لم يستحلوا النماء والأموال في الدنيا .

ولا ينزرد المعتزلة بالأصل الأخير — أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر — لأنه مبدأ إسلامي اعتنقه كل الفرق ، وهو يقضى بأمر المسلمين وتكليفهم بالجهاد في سبيل الله بأمر الآية ( ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ) آل عمران . ١٠٤ .

إلى جانب معتقدات أخرى اختلفوا فيها تزيد من هذه الأصول مثل قولهم بأن العلم بالله تعالى يحصل بالنظر والاستدلال أي ترتيب الأقيسة العقلية ، فخالفوا جماهير الفقهاء والصوفية وأهل الحديث والعمامة وغيرهم ، لأن سلف الأمة وأئمتها اتفقوا على أن معرفة الله تعالى والإقرار به لا يقف على الطرق التي يفكرها أهل طريقة النظر ( لأن أصل المعرفة والاطمئنان بالصانع يحصل بتبعية وضرورة ولا يتوقف على النظر والاستدلال ، ويدل ابن تيمية على ذلك بأن جميع الأمم تقر بالصانع مع عظيم شركهم وكفرهم ( ولهذا يوجد له عند كل أمة اسم يستعملونه ، والتسمية مسبوبة بالتصور ، فلا يسمى أحد إلا ما عرفه ، ثم المستمع لذلك الاسم يقبل بفطرته ثبوت المسنن به من غير طلب حجة على وجوده ويكون قبولها لاسيما سائر ما أمركه بحسه وعقله مثل الشمس والقمر والواحد والاثني بل هذا أكمل وأشرف .

بالاضافة الى ماخذ اخرى اخذها اهل السنة والجماعة على  
المعتزلة ومنها : —

— ردهم للاحاديث التي لا توافق اغراضهم ومذاهبهم ويدعون انها  
مخالفة للعقول فيجيبونها كما المنكرين لعذاب القبر والصراط والميزان ورؤية  
الله عزوجل في الآخرة وكذلك حديث الذباب ومقله واتهمتم الذي فيه الداء . .  
وما اشبه ذلك من الاحاديث الصحيحة المنقولة نقل العدول .

— قدحهم في الرواة من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم وغيرهم اتفق  
الائمه من المحدثين على عدالتهم وامانتهم . كل ذلك ليردوا بسه على من  
خالفهم في المذاهب واحيانا كانوا يردون نقاوى الصحابة امام العامة لينفروا  
الامة عن اتباع السنة واهلها .

— ذهب طائفة الى نفي اخبار الاحاد جهلة والاقتصار على ما  
تستحسنه عقولهم في فهم القرآن (١٦) .

والآن ، بعد ان نزعنا الوجه البراق للفكر الاعتزالي ، ووقفنا على  
حقيقته ومبراهيه ، فان اتل ما يظن فيه انه حول الدين الذي جاء به رسول  
الله صلى الله عليه وسلم الذي تستجيب له الفطرة الانسانية ، ويستسيغه  
العقل بكل سهولة — حوله الى ( فلسفة نظرية دقيقة يعجز عن فهمها  
واساغتها كثير من المعتلاء والانكباء فكان تنبية العقل على حساب العاطفة  
واضعافا للايمان واثارة للشكوك والشبهات وعدم الثقة على وجوده ، وما  
اكثر في العالم ما يعجز العقل عن تعليقه واقامة الدليل عليه .

---

(١٦) الاعتصام للشاطبي ج١ ص ١٤٠ .

ويذكر الشاطبي انهم بنفهم اخبار الاحاد واستحسنوا عقولهم اباحوا  
الخبر بنهم المعوج لقوله تعالى ( ليس على الذين آمنوا وعملوا  
الصالحات جناح فيما طعموا ) ويقول ( غنى هؤلاء وامثالهم قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لا الذين احكمم متكئا على اريكته  
ياتيه الامر من امرى مما امرت به او نهيت عنه ، فيقول لا ادرى  
ما وجدنا في كتاب الله اتباعاه ) وهذا وعيد شديد تضمنه النهى ،  
لاحق بين ارتكاب رد السنة .

### دوافع علماء الحديث لجانبه المتكلمين :

بالرغم من المناقشات الكلامية الدائرة بين أهل الكلام والتي خصصت كتب الفرق والمذاهب مرضها والتوسع في شرحها ، بالرغم من ذلك كانت الغالبية العظمى من المسلمين يتبعون علماء السنة والحديث في العقيدة المتلاة بالقبول .

وهنا لنا ملاحظتان :

الاولى — ان الاكتفاء بالاطلاع على مؤلفات الفرق يعطى انطبعا بان هذه المسائل كانت الشغل الشاغل للمسلمين كافة . وهذا لم يحدث الا بعد ان قرض المليون القول بخلق القرآن — وفي هذه القضية وحدها — وفيها عدا هذا فقد كانت الامة الاسلامية تضي قدما في بناء حضارة زاهرة بعلومها وآدابها وعنونها ونظيها في السياسة والاقتصاد والاجتماع — وجهود علماء المسلمين في مروع العلوم المختلفة اكثر من ان تذكر في هذا الموضع .

الثانية — ان العلماء المهتمين بالحديث والسنة يمثلون الاغلبية وتظهر بجسائهم اصحاب الكلام كتلة قليلة لا تعبر الا عن نفسها وبضعة افراد يتأثرون بهم ويقولون بقوالهم وكتابوا على سبيل التحديد كالجمعد بن درهم وجهم بن صفوان . ويذكر لنا ابن قتيبة ان عقيدة السلف الصالح كان هي عقيدة العلماء المبرزين المتقدمين والعباد المجتهدين الذين لا يجارون ولا يبلغ شأومهم ، مثل سفيان الثوري ومالك بن انس والاوزاعي وشعبة والليث بن سعد وعلماء الامصار كابراهيم بن ادهم والفضيل بن عياض وداود الطائي ومحمد النمر الحارث واحمد بن حنبل ويشر الحناني وامثال هؤلاء ممن قرب من زمانه . ثم يستطرد قائلا (فاما المستقدمون فاكثروا من ان يبلغهم الاحصاء وبحوزهم العدد) (١٧) .

كثرت اذن الآراء الشاذة التي اظهرها امثال جهم بن صفوان كالبثور في الجسم كبدية علامات المرض بعد ان كان صحيحا معسفا به من المنساعة

ما يقاوم به المرض . ( فلم يظهر جهنم وأصحاب جهنم في زمن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبار التابعين فيروى عنهم فيها أثر منصوص ، وسمى ، ولو كانوا بين أظهرهم مظهرين آراءهم لقتلوا ، كما هم عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقتل صبيغ إذ تكلف في السؤال من المتشابه ، أو كما قتل على رضى الله عنه الزنادقة ، التي ظهرت في مصره ، ولقتلوا تما قتل أهل الردة (١٨) .

ويرى الدارمى أن آراء جهنم والمريسي بمثابة الردة ، لأن القسول بأن انقرآن مخلوق يضاهى ما قاله الوليد بن المغيرة المخزومي ( أن هذا الا قول البشر ) والنضر بن الحارث قال ( لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين ) — أى كما قال جهنم المريسي سواء ، لا فرق بينهما في اللفظ والمعنى ، ان هذا الا مخلوق ، فأنكر عليهم قولهم ( وكان نور النبوة قد بدد ظلام العصر اجاهلى ومقائده الباطلة ولكن اقوال الجاهلية عادت للظهور مرة أخرى في مصر جهنم والجمعد ثم المريسي ونظرانهم (١٩) .

وامام هذه الموجة التي بدأت تهب على عقائد المسلمين ، رأى علماء الحديث أن واجباتهم تقتضى الوقوف في وجهها وحمالية المسلمين منها ، واندفعوا بنية أداء ما أوجبه الله عليهم . يقول ابن قتيبة ( كما رأيت امراض نمل النظر عن الكلام في هذا الشأن منذ وقع ، وتركهم تلقيه بالدواء حين بدا . الى ان استحكمت اساسه . لم أر لتفسى عذرا في ترك ما أوجبه الله على بما وهب من فضل المعرفة في امر استفضل بأن مصر مقصر ، فتكلفت بببلغ علمى ومقدار طائفتى ما رجوت ان يقضى بعض الحق عنى ، لعل الله ينفع به ، فانه بما شاء نفع ) (٢٠) ولكنه كان حريصا في منهج رده على المخالفين توضيح الاسرار اللغوية التي جهلوا محادتها بهم عن التفسير الصحيح للكلمات — والآيات فلأخذ يذكر ما تناولته الجهمية في الكتاب والحديث ليعلم المسلمون ان الحق مستغن عن الحيل ، ولهذا لم يتعد في أكثر الرد عليهم طريق .

- 
- (١٨) نقض الدارمى على المريسي ص ٣٤٩ .  
(١٩) نفس المصدر ص ٤٦٥ (٤٦٩) .  
(٢٠) ابن قتيبة — الاختلاف في اللفظ ص ٢٢٥ .

وقال بعد توضيح منهجه هذا ( فلما الكلام فليس من شأننا ولا أرى أكثر  
من هلك إلا به ) ( ٢٠ ) .

والى نفس السبب يرجع الدرامي اضطرابه للخوض في علم الكلام ،  
اذ أنه يشخص احوال المسلمين ويفسر تاريخهم طبقا للقاعدة الشرعية  
العقلية التي تقضى بانضلية اهل العصور الاولى لأن الله تعالى اثنى عليهم  
وعلى من بعدهم باتباعهم ايامهم فقال ( والذين اتبعوهم باحسان ) ، وكانت  
قوة المسلمين المادية والمعنوية كميلة باختلافهم تخونا من الامتضاح ، بل كقوا  
يتقلبون مع المسلمين في النعم . ويمضى الدرامي في وصف احوالهم يمرى  
انهم لم يزالوا بعد ذلك مقومين اذلة مدحورين حتى قلت الفقهاء وقبض  
انطماء ( ودعا الى البدع دعاة اضلال ، فشد ذلك طبع كل متعود في الاسلام  
من ابناء اليهود والنصارى وانباط العراق ووجدوا فرصة للكلام ، فجددوا  
هم الاسلام وتعطيل ذى الجلال والاکرام ، وانكار صفاته وتكذيب رساله  
وابطال وحيه ، اذ وجدوا فرصتهم واحسوا من الرماع جهلا ومن العلماء  
قلة . . فحين راينا ذلك منهم ، راينا ان نبيين من مذاهبيهم رسوما من الكتاب  
والسنة وكلام العلماء ما يستدل به اهل العقلة من الناس على سوء مذهبهم  
فيحذروهم على انفسهم وعلى اولادهم واهليهم ويجتهدوا في الرد عليهم ،  
محتسبين منافحين عن دين الله تعالى طالبين به ما عند الله ) ( ٢١ ) .

كما اضطرب الامام احمد بن حنبل — امام هذه الاحوال الطارئة — ان  
يقف مدافعا عن العقيدة الصحيحة ، فقال ( كنا نرى السكوت عن هذا قبل  
ان يخوض فيه هؤلاء ، فلما اظهروه لم نجد بدا من مخالفتهم والرد  
عليهم ) ( ٢٢ ) .

#### علماء الكلام لدى علماء الحديث والسنة :

تقدم بيان تعريف علم الكلام لدى ابن خلدون الذي عبر به المدارس  
الكلامية التقليدية ، وبقى ان نستطلع رأى علماء الحديث في هذا العلم وبيان  
موقفهم ودواعيه ومسائله والدواع التي أدت بهم الى استخدامه .

( ٢٠ ) ابن تينية الاختلاف في اللفظ ص ٢٢٥ .

( ٢١ ) نقض الدرامي على المريسي ص ٢٥٩ .

( ٢٢ ) عقائد السلف ص ٤٦٧ — ٤٦٨ .

أما عن تعريفه فلم يختلفوا كثيرا عن غيرهم ، فغرى السفاريني يصفه بأنه ( علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية ، ويسمى أيضا علم التوحيد . والصفات وعلم أصول الدين ) (٢٣) . ويعرفه بترادفاته فاته علم الكلام والتوحيد وأصول الدين ، والعلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية أى اعتبار في أدلتها باليقين ، لأنه لا عبرة بالظن في الاعتقادات بل في العمليات أى أمور الفقه فيقول ( وأعلم أنا لا تأخذ الاعتقادات الإسلامية من التواعد الكلامية ، بل إنما تأخذها من النصوص القرآنية والأخبار النبوية ) .

وفى بيان الغرض منه ، ينسبه الى أن التواعد الكلامية ما رتبته وبويت بها الاعتقادات الإسلامية ، بل لنفع تشبه الخصوم ونحضى نهج البسوع ، ففهم طعنوا فى بعض منها بأنه غير مقبول ، فبيّن علماء السنة بأن زعمهم غير صحيح ، فإن الأنبياء تأتي بمحاورات العقول — أى ما يحير العقول ، لا بحالاتها — أى بما تراه مستحيلا ، ثم بين لهم علماء السنة بالتواعد الكلامية ، معقولة ما أنكروا ، وذلك بالنظر والقياس ، والنظر المقصود هنا المستند الى دليل من كتاب أو سنة أو قياس جلى ، لا التخمين ، فهذا من اللفظ لهم النصوص وأدق لا الرأى المجرّد بغير دليل . وسنجد هذا متحققا عند محاوره هبد العزيز المكي لبشر المريسى .

ويتضح من هذا أن ثم علماء الحديث والسنة اقتصر على علم الكلام المشحون بالفلسفة والتأويلات الشاذة وصرف الآيات القرآنية عن معانيها الظاهرة .

والمراد بالعقائد الدينية المنسوبة الى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واعتبر فى أدلتها اليقين .

كذلك يفصل فى التعريف بين علم الصحابة وعلم من جاء بعدهم ، فإن علماء الصحابة يحتسبون على كلام وأصول وعقائد — وإن لم يكن يسمى فى ذلك الزمان بهذا الاسم — حيث كان متعلقا بجميع العقائد بقدر الطاعة البشرية . مكتسبا من النظر فى الأدلة اليقينية ، أو كان ملكة تتعلق بهما بل أن يكون عندهم من المآخذ والشرائط ما يكفيهم فى استحضار العقائد (٢٤) .

(٢٣) شرح عقيدة السفاريني ص ١٦٠ — ٦١ ج ١

ط مجلة المنار الإسلامية بمصر سنة ١٣٢٣ هـ .

(٢٤) شرح عقيدة السفاريني ص ٦١ .

أن فيصل التفرقة اذن بين المنهجين : أن علماء الحديث والسنة تقيّدوا بطريقة الاوائل في النظر واستندوا ذلك من الكتاب والسنة والاجماع والنظر في الأدلة الشرعية ، وذلك بخلاف أهل الكلام الذين استخدموا اصطلاحات الفلسفة اليونانية .

وبهذه الصفة وبهذا التمييز وصف بأنه أشرف العلوم باعتباره علم أصول الدين إذ شرف العلم بشرف العلوم ، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع (٢٥) .

وشأنه أن يعبر الإيمان والتصديق بالاحكام الشرعية متقننا محكما لا تزلزله شبه المبطلين ، فيرتقى المعتدين بأقامة الحجج والبراهين وصحة الفية والاعتقادات الاسلامية التي تقع بها العمل في حيز القبول .

وثمرته الفوز بسعادة الدارين فمنعمته في الدنيا انتظام أمر المعاش بالمحافظة على العدل والمعاملة التي يحتاج إليها في ابتغاء النوع الانساني على وجه لا يؤدي إلى الفساد .

وفي الآخرة : النجاة من العذاب المترتب على الكفر وسوء الاعتقاد (٢٦) .

والمقصود بذلك أن موضوعاته تتصل بالإيمان بالله سبحانه وتعالى ذاتا وصفاتا ، ويقتضى الإيمان بصفات الله تعالى من العلم والقدرة والحكمة والسبع والبصر وباقي الصفات والاسماء الحسنى التي اثبتها الله تعالى لنفسه ، تؤدي في الدنيا إلى المراقبة والتقوى ، واعتقاد المسلم بموضوعاته من الإيمان بعالم الغيب ومصرفة تفاصيله من عذاب القبر وهول المظلم والحساب وصفات الجنة والنار والصراف وغير ذلك ، هذه المعرفة التفصيلية تعطيه إيمانا منفصلا يندفعه إلى خشية الله تعالى ومراقبته وتقواه في السر والعلن ، كما تجعله يتجه إلى مرضاة الله طمعا في جنته وخوفا من ناره . ومحصلة ذلك كله اقامة العدل بين الناس وتحقيق السعادة المتساحة على المستوى البشري في الدنيا ثم التعميم المقيم الخالد في الجنة .

(٢٥) شرح الطحاوية ص ١ .

(٢٦) شرح مفيدة السفاريني ج ١ ص ٦٢ .



ودخل علم الكلام عند ملهاء السنة دور التسديين والتوييب منذ الامام  
احمد بن حنبل — رحمه الله تعالى — وصار امام اهل السنة ، وسبب ذلك  
انه عندما ابتلى بالحنة ، وراج في عصره مذاهب الاعتزال ، اضطر الى اظهار  
مقيدة الاوائل والدفاع ، وشرح ما التبس على انهام المعتزلة والكشف عن  
خطأ منهجهم ، وهو ما اشار اليه في مقدمة كتسابه ( الرد على الزنادقة  
والجهبية ) ، فبعد ان حمد الله تعالى الذي جعل في زمان فترة من الرسائل  
بتايا من اهل العلم الذين يبصرون الناس ويدعونهم الى الهدى ، اخذ في شرح  
سمات المعتزلة فوصفهم بأنهم ( مختلفين في الكساب ، مخالفون للكساب ،  
مجمعون على مفارقة الكتاب ، يقولون على الله ، وفي الله ، وفي كساب الله  
بغير علم ، يتكلمون بالمشابه من الكلام ويخدعون جهال الناس بما يشبهون  
عليهم ) (٢٧) .

ويرى شارح عقيدة السفاريني ان الامام احمد لما انتصر للسنة ورد  
على المعتزلة من هو علم السنة وامامها وصاحبها ومقداها ، حتى ان ابا  
الحسن الاشعري امام الاشعرية ، انتسب الى الامام احمد ، وراى اتباعه  
على مقيدته وهو المنهج الاحمد (٢٨) .

---

(٢٧) مقدمة كتاب الرد على الزنادقة والجهبية .

(٢٨) شرح عقيدة السفاريني ص ٥٢ .





## محاويرات علماء أهل الحديث والسنة مع المعتزلة

بالرغم من تبنى الملمون للمذهب الاعتزالي ومفرضه على الناس بالقوة ووسائل الاغراء معا حتى كانت محنة الامام احمد في قضية خلق القرآن وعانى فيها العلماء ما عانوه — بل عانى المسلمون ايضا حتى امتحن اسرى المسلمين بالقول بخلق القرآن والا اعيدوا الى اعدائهم !! — بالرغم من كل هذا فقد اخذ علماء الحديث والسنة على عاتقهم اظهار الحق ، واحتفظت لنفسا المصانير اهم محاورات دارت في هذا السدد ، ونعنى بها محاوره الامام احمد بن حنبل وابن داؤد ، ومحاوره عبد العزيز المكي مع بشر المريسي احد كبار المعتزلة .

وسنعرض بايجاز لما دار في هاتين المحاورتين لاستخلاص المنهج وبيلين صدق النتائج التي توصل اليها كل من الامام احمد وعبد العزيز المكي :

١. — الامام احمد بن حنبل وابن ابي داؤد ١٦٤ — ٢٤١ هـ :

لم تمش القرون المفضلة ، حتى خاض علماء الكلام في مسائل الذات والصفات ، واثاروا مسائل توقيفية من الحقائق التي لكتفى بها الاوائل بما اهدمهم به الوحي . وكان لظهور الحديث في الذات والصفات الالهية بتساير الفلسفة اليونانية آثارها الوخيمة على المجتمع الاسلامي ، فبينما اتجه السابقون الى الجهاد ونشر الدعوة ، وصرف الهم الى تدوين العلوم التي يجدى بذل الجهود فيها ، تقلص الاهتمام بالجهاد لتتحول الهم الى مسائل اننى البعض فيها اعمارهم ولم يعونوا فيها بطائل ، اذ ليست عندهم وسائل الوصول اليها ، ومؤهلات الحكم عليها(٢٩) .

من هنا جاءت المعارضة الشديدة للتيار المخالف لما كان عليه السلف ، بادنا بعبء الجهنى ( ٨٠ هـ ) الذي تكلم في القدر ، ثم غيلان الدهشقي ، نشاع الكلام بعدهما بواسطة واصل بن عطاء ( ١٣١ هـ ) وتوالى شيوخ الاعتزال في الظهور الى ان تلقف هذا التيار احد خلفاء المسلمين وهو الملمون ( ٢١٥ ) فاعتنق عقيدتهم ، واخذ على عاتقه نصره مذهبهم بالارهاب

(٢٩) أبو الحسن الفتوى — رجال الفكر والدعوة في الاسلام ص ١١٥ .

والبطش ، فلم ينصت الى اصوات المعارضة التي ارتفعت من الغالبية العظمى للمسلمين . وما من باحث يتعرض لهذه الفترة من الفكر الاسلامي ، الا وتأخذه الدهشة من اساليب المعتزلة ضد خصومهم ، فقد استخدموا اسلوبا مضادا لجائتهم المعتنفة باسم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر : لينكلوا بكل مخالف ، فكم من الضحايا الممارسين لهم التي بهم في السجون ؟ فانكشس اغلب المحدثين والفقهاء يلعقون جراحهم ، حتى اصبح الانتساب الى الاعتزال ماثيا منتشرا ، وكل من كان مستنفا كان متخفيا مستترا (٣٠) .

وظهر في هذه الفترة التي عم فيها الاضطهاد بأشد اساليب القمع ، الامام أحمد بن حنبل ليعلم استنساكه بعقيدة الاوائل ، وكاتب محنة ( خلق القرآن ) هي مركز الدائرة التي دارت حولها المناقشات الكلامية ، وظل الامر كذلك في أيام المهون والمعتصم والواثق ، وكان التاريخ وقف عندهم حابسا انفاسه ، ليدون تفاصيلها ، مثبتا ان الراي لا يمكن ان يدحض الا براى مضاد ، وان اساليب القوة لا تجدى في مجال العقائد والامكار . وظلت العقيدة الصحيحة حية تتوارثها الطائفة الظاهرة على الحق .

وقبل التعرض للمحنة ، فانه يجدر بنا تناول الحديث عن الامام احمد بن حنبل .

### حياته وعصره :

هو احمد بن محمد بن حنبل بن هلال الامام عبد الله . ولد في ربيع الاول سنة ١٦٤ هـ وتوفي ابوه محمد شابا ، فولينه امه ، وحفظ القرآن في صباه وتعلم القراءة والكتابة . وظهر فيه امار النبوع مبكرا . اتجه الى الحديث وبتى يلقى الحديث ببغداد من سنة ١٧٩ هـ الى ١٨٦ هـ . وكان في طلبه للعلم مثل الجد والحرص والنشاط فقد روى عن نفسه ( نكت ربما اردت البكور في الحديث فتساخذ امي بنيابي . حتى يؤذن الناس او حتى يصيحوا ) .

رحل الى عدة بلاد طالبا للحديث : فسافر الى البصرة ، الحجاز ، اليمن

(٣٠) ابن عساکر : تبیین کذب المفترى ص ١١٠ .

مكة ، والى الكوفة . واستمر على الجد والطلب حتى بلغ مبلغ الامامة و الحديث ، ووصف بأنه أعلم الناس بالسنة وكان معجبا ، استفاد منه في الفقه والاستنباط ، وكان الثمامي معجبا به أيضا فوصفه بأنه لا أحد يبغداد أفتقه من ابن حنبل .

وعند الريميين شرع في التدريس والفتيا ، فأقبل الناس على مجالسه اقتبالا عظيما ، ويذكر ابن الجوزي في مناقبه أن عدد من كانوا يستمعون الى درسه نحو خمسة آلاف . ولكنه كان ينهى حال حياته عن كتابة كلامه ليجمع القلوب على المادة الاصلية العظمى ، ثم استدرك أصحابه ، فنقلوا لنا علمه فانتشرت طريقته (٣١) ، وهذا يدلنا على انه لم يقصد تأسيس مذهب والامر باتباعه .

وقد تعددت المسابر التي وصلنا تحمل أدق تفاصيل حياة الامام ابن حنبل وآرائه ، ويبدو انه رأى ان يوضح وجهة نظره في المسائل التي طغت على ثقافة العصر واتجاهاته المختلفة ، وان يدعم المنهج العقلي مبرزا في الوقت نفسه مضمونه العقلي فأخرج على هذا الاساس — ضمن مؤلفاته — روايته الثلاثة : وكلها تحفظ لنا عقائد السلف وآراءهم وسط التيارات المختلفة السائدة في العالم الاسلامي حينذاك ، فان ( المسند ) عنى بحفظ الحديث : وكتابه (الرد على الجهمية والزنادقة) يتضح فيه حجاجه العقلي في أجلى وأدق صورة ، لانه يفسر القرآن بالقرآن ليوضح ما اثبتته على المخالفين من فهم ، لم مؤلفه في ( الزهد ) الذي يعد وثيقة عن طريقة الاقتداء عند بداية التصوف وانتشاره ، واذ كان معاصرا للحارث المحاسبي .

أما عن سيرته وأخلاقه ، فقد اشتهر بالزهد والعزوف عن زخارف الدنيا ، وكان يأكل من عمل يده رافضا عطايا الامراء . ويظهر من سيرته في المحنة شجاعته في الحق والتشبث به مهما كلفه من آلام ، فقد ظل يواجه حربا ضروسا ، فاستمسك بموقفه في مواجهة الفقهاء والتكلمين المعارضين الذين ساءت لهم الدولة العباسية سوء العذاب حينئذ بالقوتين المعنوية والمادية معا ( ولقد ابتكت السنة الاسلامية في شخصه ، فكان في صبره — لو صبر — فوزها ونهوضها ، وفي ضعفه — لو فتن — سقوطها وخرابها ) (٣٢) .

(٣١) ابن تيمية — مجموعة نصوص باسم مجموعة علمية ص ١٥٢ .

(٣٢) بانون — أحمد بن حنبل والمحنة ص ٣٥ .

وبوسعنا ان ننظر الى النتائج المحتملة التي كانت ستقربنا على انهياره  
وتسليمه بأراء خصومه ومن هنا اقترن اسمه باسم السديق ، فحبل ( أبو بكر  
يوم الردة وابن حنبل في المحنة ) .

ويرى المستشرق باتون في دراسته عن المحنة ان الامام أحمد ابقى  
بموقفه على السنة ودعم أصولها ، ويذهب الى أبعد من ذلك فيذكر أن  
الإسلام ، اذا كان يبغى المحافظة على جوهره وطابعه ، ليظل اسلاما ، فما  
من سبيل يبلغ به هذه الغاية افضل من سبيل المحافظة على السنة  
والاستمسك بعراها (٣٣) .

وما يوضح لنا منهجه ، ما نقل لنا من كلامه المأثور في قوله ( اصول  
الاسلام اربعة دال ودليل ومبين والمستدل ، هم اولو العلم واولو الالباب  
الذين اجمع المسلمون على هدايتهم ودرابتهم (٣٤) .  
وظل الامام أحمد معظما عند أهل السنة والجماعة .

يقول شارح عقيدة السفاريني في نسبة المذهب السلفي الى الامام أحمد  
: وانما نسب لامانا الامام أحمد لانه انتهى اليه من السنة . قال بعض شيوخ  
المغاربة : المذهب لملك والشاعري وغيرهما من الائمة والظهور للامام أحمد  
بن حنبل (٣٦) .

### منهجه مع المتكلمين :

ضمن الامام أحمد كتابه ( الرد على الزنادقة والجهمية ) آراءه في الرد  
على المتكلمين فريمهم بأنهم يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم،  
يتكلمون بالمشابهة ، ويخدمون جهال النسل بما يشبهون عليهم . ومضى في  
كتابه سالكا طريق تفسير الكتاب بالكتاب فيما أثاروه من شبهات ، ففندها  
جميعا ، مبينا التفسير الصحيح .

وسنعتد على هذا الكتاب في ايراد المسائل التي خاض فيها المعتزلة

(٣٣) ولتريبتون - ابن حنبل والمحنة ص ٢٥ .

(٣٤) ابن تيمية - النبوات ص ٤٢ .

(٣٦) شرح عقيدة السفاريني ص ٦ ط المنار سنة ١٣٢٢ هـ .

بخاصة . من ذلك انكارهم رؤية الله تعالى في الآخرة ، غيب ابن حنبل أن تفسر الآية ( وجوه يومئذ ناضرة ) يعنى الحسن والبياض ( الى ربها ناضرة ) يعنى تعالين ربها في الجنة . ومضى شارحا تفسير الآية الاخرى ( لا تدركه الابصار ) بأنها تعنى في الدنيا والآخرة ، وذلك أن اليهود قالوا لموسى ( ارنا الله جهرة ماخضتهم الصاعقة وقد سألت مشركو قريش النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ( او نأتى بالله والملائكة قبيلا ) ، فنزل قوله تعالى ( أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى . من قبل ) واوحى الله الى رسوله انه لا تدركه الابصار ، أى لا يراه أحد في الدنيا ، دون الآخرة .

ولا نعرض بين الآية الاولى التى تخبر برؤية المؤمنين لربهم عز وجل فى الجنة ، والآية الثانية التى تعنى استحالة رؤية الله سبحانه وتعالى فى الدنيا (٣٥) .

ويغند الامام احمد دعوى الجهمية فى نفي الصفات عن الله تعالى ، ويوضح لنا جذور المسألة ، وعللة اتخاذهم لهذا الموقف ، فيذكر لنا ما بلغه من أمر الجهم وينسب نفسه للصفات الالهية ، فتسد كان الجهم من أهل خراسان ، صاحب خصومات وكلام ، فلقى اناسا من المشركين يقال لهم السمنية ( نسبة الى سومنات بلدة بالهند وهم البوذية ) فعرفوا الجهم ، فناقشوه ، مطالبين اياه بتقديم الحجة على صحة دينه . وسأله :

— السمعت تزعم ان لك الهسا ؟ قال الجهم . نعم ، فسالوا له فهل رايت الهك ، قائلا ، لا ، قالوا — فهل سمعت كلامه .

سأله — هل رأى ربه اوسمعه ، او وجد له حسا ، ومضوا فى هذه الاسئلة المشبهة لله عز وجل بصفات المخلوقين ، فتحمر الجهم فلم يدر من يعبد اربعين يوما ، ثم استدرك حجة مثل حجة النصرى فى زعمهم أن الروح الذى فى عيسى هو روح الله ، فاستدرك حجة مثل هذه الحجة فقال للسمنى .

— السمعت تزعم ان نيك روحا ؟ قال نعم فقال هل رايت روحك ، . . واستمر فى توجيه نفس الاسئلة وكان جواب السمنى بالنفى ، فظن أن هذا



انحام ، اذ ختم اسئلته بقوله ( فكذلك الله لا يرى له وجه ولا يسمع له صوت ولا يشم له رائحة ، وهو غائب عن الابصار ، ولا يكون في مكان دون مكان ، ويرى الامام احمد ان الجهم يعتمد في حججه على ثلاث من المتشابه . قوله ( ليس كمثله شيء ) ( وهو الله في السموات والارض ) و ( لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ) ، فتأول القرآن على غير تأويله ، وكذب باحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزعم ان من وصف الله بشيء مما وصف به نفسه في كتابه او حدث عنه رسوله ، كان كافرا ، وكان من المشبهة ، وتبعه قوم ، منهم اصحاب عمرو بن عبيدة بالبصرة ، سألهم الناس عن قول الله ( ليس كمثله شيء ) اجابوا ( ليس كمثله شيء من الاثسياء ، وهو تحت الارضين السبع ، كما هو على العرش ، ولا يخلو منه مكان ، ولا يكون في مكان دون مكان ، ولم يتكلم ولا يتكلم ، ولا ينقلر اليه احد في الدنيا ، ولا في الآخرة ، ولا يوصف ، ولا يعرف . . ولا يدرك بعقل ، وهو وجه كله ، وهو علم كله ، وهو سميع كله ، وهو بصير كله ، وهو نور كله ، وهو تدبره كله . . ويرى الامام احمد ان الزامات مذهبهم تؤدي الى انهم لا يؤمنون بشيء . ويوجه اليهم بدوره الاسئلة لاستدراجهم للاقرار .

ويسألهم : —

— من تعبدون ؟ ماذا قالوا انهم يعبدون من يدبر امر هذا الخلق ، قيل لهم ( هذا الذي يدبر امر هذا الخلق هو مجسول لا يعرف بصفة . قالوا — نعم — فقلنا — قد عرف المسلمون انكم لا تؤمنون بشيء ، لان هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى . قالوا لم يتكلم ولا يكلم ، لان الكلام لا يكون الا بجارحة والجوارح عن الله منفية .

وهكذا يوهبون البعض بانهم من اشد الناس تعظيما لله . بينما يعود قولهم الى ضلالة وكفر ( ٣٧ ) .

ويمضي الامام في بيان تفصيل ما جسدته الجهمية ، شارحا ممسلى الآيات القرآنية التي يستندون اليها ، في الرؤية ، وصفة الاستواء ، وعلو الله تعالى على خلقه : —

تألوا في تفسير الآية ( وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة ) ، انما تنظر الثواب من ربها ومسحتها انها مع ما تنتظر الثواب ترى ربها ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ( انكم سترون ربكم ) ويؤيد ذلك تفسير قوله تعالى ( للذين احسنوا الحسنى وزيادة ) ان الزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى . وعلى عكس ذلك فان الكفار سيحجبون عن الله في قوله تعالى ( انهم عن ربهم يومئذ محجبون ) . فاذا كان الكافر يحجب عن الله ، والمؤمن يحجب عن الله ، فما فضل المؤمن على الكافر ؟

ويستند ابن حنبل الى الآيات القرآنية المثبتة بان الله تعالى على العرش كقوله ( الرحمن على العرش استوى ) و ( خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش ) بينهما يزعم الجهمية انه سبحانه على العرش وفي السموات وفي الارض وفي كل مكان ولا يخلو منه مكان استنادا الى الآية : وهو الله في السموات وفي الارض . فيتساءل ( قد عرف المسلمون امكان كثيرة ليس فيها من عظم الرب شيء ) ويشرب الامثلة على ذلك . اجسام البشر واجوانهم واجواف الخنازير والامكن القفرة ، بينما أخبرنا الله انه في السماء فقال ( الماتم من في السماء ان يخسف بكم الارض ) ، ( ام ائتم من السماء ان يرسل عليكم حاصبا ) وقال ( اليه يصعد الكلم الطيب ) ، وقال ( انى متوفيك ورافعك الى ) وقال ( بل رفعه الله اليه ) وغيرها من الآيات ، بينما وجدنا كل شيء اسفل منه مذهباً . كقوله جل ثناؤه ( ان المناسقين في الحرك الاسفل من النار ) . وقال الذين كفروا ربنا ارننا اللذين اضلانا من الجنس والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونوا من الاسفلين ) .

اما معنى الآية ( وهو الله في السموات وفي الارض ) التي اخطأ في تفسيرها الجهمية ، فهي تعنى انه اله من في السموات واله من في الارض . وهو على العرش احاط علمه بما دون العرش ، ولا يخلو من علم الله مكان ولا يكون علم الله في مكان دون مكان . لذلك قوله ( لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علماً ) .

وواضح من منهج الامام احمد انه يقرب الدليل الشرعى بالنظر العقلى : فيقدم الآية القرآنية ، مقتربة بالتفسير الصحيح للنظر الى التفسير بتدبر في شموله ( غنى هذا دلالة وبيان بان عقل عن الله . فرحم الله من فكر . ورجع عن القول الذى يخالف الكتاب والسنة ) ( ٣٨ ) .

ويلجأ الى الحجج العقلية لاثبات الصفات الالهية مع توحيد الله عز وجل ، ماذا قلنا ان الله لم يزل بصفاته كلها ، اليس انما نصف الهسا واحدا بجميع صفاته ؟ **ومثال ذلك النخلة** ، لهسا جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجحار واسمها اسم شيء واحد وسميت نخلة بجميع صفاتها .  
نذلك الله وله المثل الاعلى بجميع صفاته اله واحد (٣٩) .

وما اوقع الجهمية في الخطا ، تفسيرهم لآيات المعية الالهية ، فراوا ان الله سبحانه وتعالى بذاته معهم في كل مكان ، مؤيدين ذلك بمثل قوله تعالى ( ألم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ، ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ، ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا ثم يثيبهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم ) .

ولكن ابن حنبل يسلك معهم طريقين لاثبات خطأ تفسيرهم — الاول ، لغت نظرم الى ان الآيات السالفة الذكر بدأت بعلم الله وختم بعلمه ، فالمعية ان مع العباد ليست بالذات ولكن بالعلم ، فالله تعالى مع عباده بعلمه اينما كانوا ، هذا هو التفسير الصحيح .

ويسلك الطريق الثاني بالحجاج العقلي ، فينجم الخصم بوضع الاسئلة المتعددة التي تضطره الى اختيار احدى الاجابات ، فيلزمه بالخطا او يفتحها فيغير رايه .

ونترك الامام يتكلم هنا بأسلوبه الجدلي في نقاشه مع احد الجهمية :

— اذا اردت ان تعلم ان الجهمي كاذب على الله حين زعم ان الله في كل مكان ، ولا يكون في مكان دون . كان نقل : اليس الله كان ولا شيء فقبول نعم . نقل له : حين خلق الشيء خلقه في نفسه او خارجا من نفسه فانه معسر الى ثلاثة احوال لا بد له من واحد منها . ان زعم ان الله خلق الخلق في نفسه ككر ، حين زعم ان الجن والانس والشياطين في نفسه .

وان قال : خلقهم خارجا من نفسه ثم دخل فيهم . كان هذا تكرا اينسا حين زعم انه دخل في مكان وحش قدر ردى .

وأن قال خلقهم خارجا عن نفسه ثم لم يدخل فيهم رجس عن قوله جمع . وهو قول أهل السنة .

ومثل هذا النص يعطينا صورة عن طريقة الجدل عند الإمام ، بل أن كثر أجزاء كتابه تمضى على هذا النحو القائم على نظر عقلى محض . ويجعلنا نرك أنه تصدى للمعتزلة بالمنهج العقلى قبل ظهور المذهب الأشعرى بزمن طويل .

وها نحن أمام نموذج ثانى من نماذج الاستدلالات العقلية المؤدية الى نحم الخضم واقتراره بخطئه ، واضطراره الى التنازل عن رأيه . ففى نائمه لاثبات علم الله تعالى ، يقول — اذا أردت أن تعلم أن الجهى لا يقر علم الله نقل له : الله يقول ( ولا يحيطون بشىء من علمه ) . ويسرد آيات فرى تصف الله عز وجل بالعلم . فان قال الجهى : ليس له علم ، كثر . ان قال لله علم محدث ، كثر ، حين زعم أن الله قد كان فى وقت من الاوقات ' يعلم حتى أحدث له علما فعلم . فان قال : الله علم وليس مخلوقا ولا محدثا : جمع عن قوله كله ، وقال بقول أهل السنة .

لحظة :

فى المعتزلة الصفات الالهية كما بينا فى أصل من أصولهم وهو التوحيد . لكنهم خرجوا على هذا الأصل عندما تطرفوا الى صفة الكلام الالهى ، فلم نولوا بلئه متكلم وكلامه ذاته خشية أن يتساوى كلام الله عز وجل مع ذاته يكون هناك تقديمان مما يؤدي الى الشرك ، ولهذا فانهم يرون أن كلام الله . أى أن القرآن — مخلوق محدث وغير قديم . فيحدثه وقت الحاجة الى كلام ، مفسرين تكليم الله موسى بأن الله خلق الكلام فى شجرة سمعه وسى عليه السلام (٤٠) .

وأصدر المأمون سنة ٢١٨ رسالة الى والى بغداد يأمره فيها بجمع

القضاة وامتحنهم في مقيدة خلق القرآن وعزل من لا يقوله بذلك منهم واسقاط شهادة من لا يراها من الشهود ، وأمره بأن يجمع الفقهاء وشيوخ الحديث في داره وينحهم بهذه المقيدة فلجأوا ، ثم ضيق الأمر وأمر بالتوسع في امتحان الناس ، فاحضر كبار العلماء ورؤس الناس وامتحنهم ، وانتهى الأمر بعد مكاتبات وأوامر مشددة من المأمون للوالى الى الاقرار من الجميع بأن القرآن مخلوق الا أربعة — أحمد بن حنبل ، وسجادة ، والقواريرى ، ومحمد بن نوح .

وتنقل لنا معظم المصادر التاريخية النقائس الدائر بين الامام احمد بن حنبل وامتحنه ، وكان يرفض القول بالايجاب أو السلب عندهما يسأل هل القرآن مخلوق ؟ ، فمن اجاباته ( ليست بصاحب كلام ، ولا ارى الكلام في شيء من هنا الا ما كان في كتاب أو حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن اصحابه ، فأما غير ذلك فان الكلام فيه غير محدود ) .

كان المحرك للمناقشات القاضى ابن ابي دؤاد المعتزلى الذى يتعجب من اجابة الامام لانه لا يستند الا لكتاب الله أو سنة رسول الله صلوات الله عليه !!

### أحمد بن ابي دؤاد :

أحمد بن ابي دؤاد ( على وزن دؤاد ) بن على ابو سليمان ، يكثر ذكره اذا ما تطرق الحديث الى محنة القرآن . كان قاضيا ، ثم أصبح وزيرا فلقد الكلية عند الخلفاء الثلاثة : المأمون ( ٢١٨ هـ ) والمعتصم ( ٢٢٧ هـ ) والواثق ( ٢٢٢ هـ ) ، لاسيما الثانى منهم حتى قيل انه ما رأى أحد قط اطوع لأحد من المعتصم لابن دؤاد . وتشير المصادر الى اهتزاز هذه المكانة لدى الواثق ، لم انهارت تماما امام المتوكل ، اذ رفع المحنة بخلق القرآن وأظهر السنة وأمر بنشر الآثار النبوية وأكرم الامام أحمد بن حنبل وقدمه . ويقال ان الواثق قبله قد ترك الاشتغال بالمحنة بعد أن أفحم أحد الشيوخ القاضى ابن ابي دؤاد في جدال دار امام الواثق — كما سيأتى .

وابن ابي دؤاد أحد القضاة المشهورين من المعتزلة ، نشأ بدمشق ومنها رحل الى بغداد ، وهو أول من انتصح الكلام مع الخلفاء . كان بليغا ، جوادا ، عارفا بالاخبار والانساب ، ولكه اثر اهل السنة عليه بموقفه في المحنة . يقول الخطيب البغدادي ( لولا ما وضع من نفسه من محبة المحنة لاجتمعت

ثم يدور الحوار بأسلوب جدلي إذ يتعرض التساؤى لبعضى الآيات القرآنية لاستخراج معنى الخلق — كتوله تعالى ( ما يأتيهم من فكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ) ، ومن صيغة السؤال الموجه للإمام أحمد ، حاول ابن أبى ذؤاد الوصول الى اجابة ملزمة ، فقال ( أفىكون مصدق الا مخلوق ) ؟ فتأجاب ابن حنبل ( قال الله تعالى « من ، والقرآن ذى الذكر ) فالذكر هو القرآن ، ويحتسب أن يكون ذكرا آخر غير القرآن ، وهو ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو وعظه إياهم .

عليه السلام ) ، وذلك لأنه اتسم بكريم الخصال ، فقد كان موصوفا بالجود والسخاء وحسن الخلق ووفور الادب .  
أصيب بالفالج قبل موته بأربع سنين ، ونكب وأهين ، وظلت عداوة أهل السنة ثابتة فى منحات الكتب عند الحديث عنه . وظهريت عداوة الغالبية له فى مرضه الذى مات فيه ، وكثما كان مناسبة لظهار الحنق عليه والأزدراء به . وربما كان ذلك دليلا على ما أثاره من السخط فى النفوس : فقد دخل عليه بعضهم فقال له مخاطبا ( واللله ما جئت عائدا وإنما جئتك لأعزيك فى نفسك وأحمد الله الذى سجنك فى جسدك الذى هو أشد عليك عقوبة من كل سجن ) .

وإد حوالى ١٦٠ هـ ومات سنة ٢٢٠ هـ .

وقد عنيت معظم كتب تاريخ المسلمين — كالتبرى والبغدادي وابن الأثير وابن خلكان اليعقوبى — وكتب التراجم أيضا بمحنة خلق القرآن وسجلت تفاصيلها من حيث آراء المتنازعين فيها بدقائقها وأسماء الشيوخ الذين أجابوا بخلق القرآن ، والذين رفضوا الإذعان بالرغم من صنوف التعذيب والتنكيل — وفى مقدمتهم الإمام أحمد بن حنبل — ومن ثانيا المحاكمات التى أجريت للإمام أحمد — وكان على رأسها ابن أبى ذؤاد — والمناقشات التى جرت بين المتناظرين ، يمكن أن نستخلص آراء ابن أبى ذؤاد من حيث منهجه الكلامى ، ونفس الصفات الإلهية ، ونفس الرؤية ، وهى الموضوعات الرئيسية التى أثارها الجدل حينذاك . وقد احتضن القضاى ابن أبى ذؤاد عقيدة المعتزلة فى هذه المسائل ، وكان المحرك الحقيقى للمناظرات الدائرة حولها ، والتى اتخذت من محنة خلق القرآن المحور الاساسى لها .  
والمحنة لغويا ما يمتحن به الإنسان من بلية وشدائد ، واصطلاحا ترتبط بما اتفق عليه المؤرخون من اتخاذ موضوع خلق القرآن موضوعا لها ، وكان أول من عقدها الخليفة المأمون وتابعه المعتصم والواثق . وفكرة خلق القرآن تنمى الى قضية نفى الصفات عبويا ، والتى تستند الى مبدأ التوحيد المعتزلى

نَسأل القاضى : — أليس الله قال : ( الله خالق كل شيء ) ؟  
فاجاب ابن حنبل : — قد قال ( تدمر كل شيء ) فدمرت الا ما اراد الله .

ومن ثم القول بأن القرآن مخلوق . يقول القاضى عبد الجبار ( وليس هذا  
يعنى ان الله أحدث الكلام في ذاته ولكنه أحدثه في محل ) وقد اشترط المعتزلة  
ان يكون ( المحل ) جmada حتى لا يكون هو المتكلم دون الله ، لاعتقادهم بأن  
حقيقة المتكلم من أحدث الكلام وخلقها لا من قام الكلام به .

ويذهب المعتزلة الى ان كلام الله عز وجل من جنس الكلام المعقول في  
الشاهد وهو حروف منظومة وصوات مقطعة . وهو عرض يخلقها الله  
سبحانه وتعالى في الاجسام على وجه يسبح ويفهم معناه . فالقرآن اذا  
مخلوق محدث مفعول ، لم يكن ثم كان ، وانه غير الله عز وجل ، وانه أحدث  
بحسب مصالح العباد .

وتنسب المشكلة الى اول من اثارها وهو الجعد بن درهم ( ٣٢٤ هـ )  
وتذكر مصادر اهل السنة ان مصدر المشكلة يهودى ، فيروى ابن عسسكر  
ان الجعد أخذ مصادر بدعته من بيان بن سمران ، وأخذها بيان عن طالوت  
ابن أخت ليبيد بن اعصم وأخذها ليبيد ابن اعصم الساجر الذي سحر رسول  
الله صلى الله عليه وسلم من يهودى باليمن . وأخذ عن الجعد الجهم  
بن صفوان ثم أخذ بشر المريسي عن الجهم ، وأخذ بن أبى دؤاد عن بشر .

وعن امتحان العلماء والفقهاء في هذه المحنة اجابوا جميعا بأن القرآن  
مخلوق ما عدا اربعة وهم : احمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح ، وعبد الله  
بن عمر القواريرى والحسن بن حماد . ثم اجاب عبيد الله بن عمر والحسن  
بن حماد ، وبقي الامام احمد بن حنبل ومحمد بن نوح في السجن لرفضها  
الاجابة .

أهم المصادر عنه :

— القاضى ابو الحسن عبد الجبار ( المغنى في ابواب التوحيد والمدل )  
الجزء السابع : خلق القرآن — وزارة الثقافة والارشاد . ١٣٨ هـ — ١٩٦٠ م  
— الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد — الجزء السابع ط الخستجى  
١٣٤٩ هـ — ١٩٣١ م .

— الخياط : الانتصار والرد على ابن الرواندى الملحد ط دار الكتب ١٣٤٤ هـ

١٩٢٥ م .

— الذهبى : كتاب دول الاسلام ط حيدر آباد ١٣٤٦ هـ .  
— ابن خلكان : وفيات الاعيان الجزء الاول ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م .  
— ابن كثير : البداية والنهاية الجزء العاشر — مطبعة السعادة بمصر .  
— ابن الجوزى : مناقب الامام احمد بن حنبل ط الخانجى ١٣٤٩ هـ .

وعندما سئل مرة أخرى ( لتقول ان القرآن مخلوق ) ؟ قال ابن حنبل  
( القرآن كلام الله لا يزيد على هذا ) ، فعاد تسأله ( ما تقول في كلام الله ) ؟  
فأعاد اليه الامام أحمد السؤال بصيغة أخرى ( ما تقول في علم الله ) ؟

وكانت هذه الحجة مفحمة لابن ابي ذؤاد ، لأن الاقرار بأن القرآن علم  
الله يعادل في نظره أن القرآن جزء لا يتصل من علم الله تعالى ، فإذا قالوا  
بأن هذا العلم غير مخلوق ، فالقرآن تبعاً لذلك ينبغي أن يكون غير مخلوق .  
ودفع عبد الرحمن بن اسحق القاضي المناقشة الى نقطة أبعد من ذلك  
وهي ( أكان الله ولا قرآن ؟ ) فرد الامام بحجة مماثلة ( أكان الله ولا علم ؟ ) .

ويعبر لنا ابن اسحاق عن رأى المعتزلة بسؤاله ابن حنبل ( ما تقول في  
هذه الرقعة ) ؟ فقال ( ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ) وقد لاحظت  
عقدئذ الفرصة لانتقال الامتحان الى مسألة جديدة وهي المتصلة بصفات الله  
سبحانه — وعلى رأى المعتزلة غير منفصلة عن الذات الالهية — — أى أنهم  
يقولون بأن الله تعالى حى بذاته ، قادر بذاته ، وهكذا في سائر الصفات ،  
أى أنها ليست زائدة على الذات . وهنا سأل اسحق الامام أحمد ( ما أردت  
يقولك سميع بصير ) ؟ وربما أراد أن يستخرج منه اجابة يلزمه بها بالتشبيه  
أو التجسيم ، ولكن ابن حنبل أجاب بقوله ( أردت منها ما أراد الله منها ،  
وهو كما وصف نفسه ، ولا يزيد على ذلك ) .

ويبدو ان هذه المناقشات قد ضربت الى الجماهير الغفيرة من  
المسلمين ، فضلاً عن علمائهم ، فتصد كانت القلوب تحيط بالامام ، مشتقة  
عليه تخشى عليه من الوان الاذى التى اصيب بها . ولم يستطع السلطان  
الكبير المأموم واتباعه ان ينالوا من مكانة الشيخ في قلوب المسلمين الذين  
اتخذوه اماماً لهم . ونعثر في هذا الصدد على عبارة قالها احد اولئك الذين  
حاولوا شد ازره في المحنة ، قال له ( وانك رأس الناس اليوم ، غايك ان  
تجيبهم الى يدعونك ) (٤١) .

وقد ترددت حجج الامام أحمد على الالسنه ، وأخذت مكنها في الرد  
على اهل الاعتزال .



ونقل لنا كتب التاريخ المناظرة بين الاذرى شيخ ابي داود والنسائي ،  
وبين ابن ابي دؤاد محامى المعتزلة ، امام الخليفة الواثق .  
وقد تمت المناظرة على النحو التالى :

وجه الامام مبد الله الاذرى الاسئلة الثلاثة الاتية الى ابن ابي دؤاد :  
الاول : هل ستر الرسول صلى الله عليه وسلم شيئا مما امره الله  
عز وجل في امر دينهم ؟

الثانى : حين انزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول  
الله تعالى ( اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام  
دينا ) .

هل كان الله تعالى الصادق في اكمال دينه او انت الصادق في نقصانه  
حتى يقال فيه بمقاتك هذه ؟  
وقد قوبل السؤالين بالصمت بلا اجابة .

الثالث : اخبرنى عن مقاتلى هذه ، علمها رسول الله ام جهلها ؟  
ابن ابي دؤاد: علمها قتل الامام احمد: فمدما الناس ؟ فسكت ، وهنا علق الاذرى  
قائلا ( فكيف وسعه صلى الله عليه وسلم ان ترك الناس ولم يدعم اليه  
وانتم لا يسعكم ؟ ) .

نبهت الحاضرون وامر الواثق بفلاص الامام الاذرى وقد علق الذهبي  
على هذا الاتهام بقوله : انه الزام صحيح وبحث لازم للمعتزلة (١٢١) .

ومن هذا يتضح كيف اعتبر المعتزلة الاعتقاد بخلق القران المحصور  
الاساسى في العقيدة حتى امتحنوا بها الاسرى المسلمين . فكانهم اضلوا  
للاسلام املا جديدا بعد كماله . ومن هنا اثار الشيخ الاذرى الاية القرآنية  
الآتية .

---

(٢٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى .  
( واسم الامام كاملا ابو عبد الرحمن عبد الله بن محمد الاذرى شيخ  
ابى داود والنسائى ) .

والسؤالان الثانی والثالث یوضحان هذا الفرض .

وتنتهی المحنة ، وتسند الستار عن مأساة كادت تطیح بالمنهج الاسلامی المتوارث من السلف ، وخلقت لنا مغزى بالغ الاهمية ، یتبشّل فی النزاع بین طرفین : احدهما المأمون الذی جعل من الاعتزال مذهباً رسمياً ، یحبیه ویدعمو الیه بالقوة ، ینیدین به اصحاب المناصب والجاه والنفوذ ، وجعل من عقيدة الاعتزال التفسیر الوحید للاسلام ، نکات محنة عظيمة علی الامة ، ومفكرة فلسفية ضاق عنها تفكير العامة وضائق بها نفوس (٤٣) .

وتظهر مآثرة الامام احمد الکبرى اللى اکتسبته مكانة التجديد ، فی وقوفه سداً مبنیاً فی اتجاه الامة الی التفكير الفلسفی الذی لو سيطر علی هذه الامة لاتقطعت صلتها بالتدریج من منابع الدین الاولى وعن النبوة المحمدية وخضعت للفلسفات واصبحت عرضة للاراء والقیاسات ، فحفظ الدین من ان یعبث به العابثون أو تتحكم فیهِ السلطة والاهواء (٤٤) .

واذا توقفنا برهة لتتساءل من سر هذا الاهتمام الکبیر بالمحنة من وجهة نظر السلف ، ولم یتبشّلوا عشرات الكتب فی الدفاع عن القرآن واثبتت انه کلام الله تعالى ، فلن نفتقد الاجابة بین طيات الصفحات . انهم خشوا من الآثار المرتبة علی اعتقاد ان القرآن مخلوق ، ففضلاً من ضیاع الهيبة من القلوب ، وافتقاد الخشية والخوف من کلام الله ، فان التسائل ( ان هذا القرآن مخلوق ) او ( ان القرآن المنزل مخلوق ) كان بمنزلة المعتقد ان هذا الکلام لیس هو کلام الله (٤٥) .

---

(٤٣) أبو الحسن الندوی : رجال الفكر والدموة من ١٢٣ .

(٤٤) نفس المصدر من ١٤٤ .

(٤٥) ابن تیمیة موافقة ج١ ص ١٥٧ تحقیق الفقی .

### المنهج :

حرص عبد المكي على بيان المنهج اولا . فقال ( ولنا نؤصل بيننا اصلا  
فاذا اختلفنا في شيء من الفروع رددناه الى الاصل . فان وجدناه فيه والا ربنا  
به ولم نلتفت اليه . ثم وجه الحديث الى المأمون عندما سألته عن الاصل بينه  
وبين بشر الريسي ( ٢١٨ هـ ) قال ( يا امير المؤمنين بيني وبينه ما امرنا الله  
عز وجل وأختاره لنا وعلماه وادبنا به في التنارع والاختلاف . ولم يكننا الى  
غيره ، ولا الى انفسنا واختيارنا فنعجز ) .

يطالبه المأمون بأصل ذلك في كتاب الله تعالى قول الله تعالى  
( يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم  
فان تنازعتكم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم  
الآخر ذلك خير واحسن تاويلا ) فهذا تعلم من الله وتأديبه واختياره لعباده  
المؤمنين ما اصله المتنازعون بينهم . وقد تنازعت انا وبشر يا امير المؤمنين  
وبيننا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كما امر الله عز وجل .  
فاذا اختلفنا في شيء من الفروع رددناه الى كتاب الله . فان وجدناه فيه والا  
الى سنة نبيه صلى الله عليه وسلم . فان وجدناه فيها والا نربناء في الحائط  
ولم نلتفت اليه ) .

وقد اقر المأمون هذا المنهج ، فقال ( نفعلنا واصلا بينكما هذا واتقنا  
عليه ، وانا الشاهد عليكما ، والحافظ لما يجرى بينكما ) (١٦) .

وسنعرض في الصفحات التالية لأبرز المسائل التي دار حولها الحوار  
وهي عن صفات الله تعالى وقضية القران الكريم .

### صفات الله عز وجل :

حاول بشر الريسي اولا جعل عبد العزيز المكي بقر بين القران شيء :

فان كان المراد بأنه شيء اثباتا للوجود ونفيا للعدم ، فانه شيء ، وان كان المراد ان الشيء اسم له وانه كالأشياء فليس كذلك .

وقد اقام عبد العزيز الدليل على ذلك بقول الله تعالى ( وما تدبروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا ) ، ثم الله من نفى ان يكون كلامه الذي انزله على رسوله شيئا ، ولكنه في آية اخرى اخبرنا تعالى بأنه لا كالأشياء حتى لا يدخله الملحدون في جملة الاشياء ، فظهره باسم الكتاب والنور والهدى فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ( قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس ) .

وازاء اصرار قول بشر بأن القرآن شيء كالأشياء ليدعم عقيدته في خلق القرآن ، وطالب باتيان الدليل بنص التنزيل ، فاحتج عبد العزيز بآيات كثيرة من القرآن كتقوله تعالى ( انما قولنا لشيء اذا اردنا ان نقول له كن فيكون ) وقوله عز وجل ( اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ) فدل سبحانه وتعالى بهذا الاخبار واتسباه لها في القرآن كثير على ان كلامه ليس كالأشياء وانه غير الاشياء وانه خارج عن الاشياء وانه يكون الاشياء ، ثم انزل الله عز وجل خبرا مفردا ذكر فيه حق الاشياء كلها ، فلم يدع منها شيئا الا ذكره واخذله في خلقه واخرج كلامه وأمره من جملة الخلق وفصله منها ليدل على ان كلامه غير الاشياء المخلوقة وخارج عنها فقال ( ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يخشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات باره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ) .

فجمع سبحانه وتعالى في قوله ( الا له الخلق ) جميع ما خلق فلم يدع منه شيئا ثم قال ( والامر ) يعنى والامر الذى كان به الخلق خلقا ، ففرق بين خلقه وأمره فجعل الخلق خلقا والامر أمرا ، وجعل هذا غير هذا وقال ( وما أمرا الا واحدة كليح بالبصر ) ، وقال ( لله الامر من قبل ومن بعد ) .

ومن هذه الآيات وآيات اخرى سردها عبد العزيز المكي حتى طلب منه المليون الاختصار ، فوضح بعد ذلك ان الله تعالى قد أخبر عن خلق

السموات والأرض وما بينهما فلم يدع شيئا من الخلق الا ذكره فأخبر عن خلقه أنه ما خلقه الا بالحق ، وان الحق قوله وكلامه الذى به خلق الخلق كله ، وأنه غير الخلق وأنه خارج عن الخلق ، وغير داخل في الخلق وهذا نص التنزيل (٤٦) .

ولكن بشر لم يوافق على هذا الذى ذهب اليه ، ورأى ان عبد العزيز جاء بأشياء متباينات متفرقات مدعيا ان الله خلق بها الاشياء .

قال عبد العزيز : ان الله تعالى خلق الاشياء بقوله وكلامه وأمره وبالحق فاعترض بشر على قوله لأنه جاء بأشياء متباينات متفرقات مدعيا ان الله تعالى خلق بها الاشياء . فأخذ المكي في بيان كلامه وشرحه بأن بين ان هذه اربعة اشياء لشيء واحد ، لان كلام الله هو قوله وقول الله هو كلامه وأمر الله هو كلامه وكلام الله هو أمره وكلام الله هو الحق والحق هو كلام الله فهذه اربعة أسماء لكلام الله ، وأوضح ان الله تعالى سمي كلامه نورا وهدى وشفاة ورحمة وقرآنا وفرقان وبرهانا وسماه الحق ، وهذه اشياء شتى لشيء واحد وهو كلام الله كما سمي نفسه بأسماء كثيرة وهو واحد صمد فرد . وانما ينكر بشر هذا ويستعظمه لقلة معرفته بلغة العرب .

وهنا ظن بشر ان عبد العزيز يستخدم التلويل لا التنزيل ويخالف المنهج الذى امله منذ البداية . ولكن عبد العزيز اعاد الى سمعه الآيات للدالة على ما ذكره ، كقول الله تعالى ( وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ) ، وانما يسمعه من قرآنه وانما عنى القران لا خلاف بين اهل العلم واللغة في ذلك . وقال تعالى ( سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لناخنوها فزونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن سبونا كذلك قال الله من قبل ) . وقال الله عز وجل ( واذا قيل لهم بما انزل الله قالوا تؤمن بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم ) : وآيات أخرى ، بل قوله تعالى ( أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك ) وقال ( واذا سمعوا ما انزل الله برسول ترى اعيينهم تبيض من الذبح مما عرفوا من الحق ) .

وهذه الآيات وغيرها يتضح منها ان الله تعالى اخبر عن القرآن انه الحق كما اخبر ان الحق قوله ( قال فالحق والحق اقول ) فلخبر انه الحق وان الحق قوله وقال ، ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس لجمعين ) وقال ( حتى اذا نزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق ) (٤٧) .

كما اخبر الله تعالى ان امره هو القرآن وهو كلامه ، فقال ( حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين نبيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا انا كنا مرسلين ) يعنى القرآن . وقال ( ذلك امر الله انزله اليكم ) (٤٨) .

وثبت بذلك ان القرآن امر الله تعالى وكلامه وان امره هو القرآن وهنا قال عبد العزيز المكي ، وهذا تعليم الله لخلقه وتثنييه لهم فقلت كما قال الله ان القرآن كلام الله . وانه امر الله . وانه الحق . وان هذه اسماؤه لشيء واحد وهو الكلام الذى به خلقت الاشياء وهو غير الاشياء وخرج عن الاشياء وليس هو كالاشياء فهذا بنص التنزيل لا بتأويل ولا بتفسير ) .  
فقال المأمون ( احسنت يا عبد العزيز ) (٤٩) .

### اثبات ان كلام الله تعالى ليس مخلوقا

وبعد اخذ ورد طويل ومناقشات حول معانى القرآن وطرق قراءته بالانصاف والوصل مما اثبت به عبد العزيز المكي جهل بشر الميرسي بلسرار اللغة العربية . عاد الميرسي ليقول ان قول الله تعالى ( خالق كل شيء ) لا تخرج عنها شيء لان ملك كلمة تجمع الاشياء كلها فلا تدع شيئا يخرج عنها وكل ذلك داخل فيها .

وعنا اخذ عبد العزيز يسترسل في ذكر آيات من القرآن الحكيم ، مثل قوله تعالى ( واصطنعتك لنفسى ) ( وبخبركم الله نفسه ) وقوله عز وجل ( كتب ربكم على نفسه الرحمة ) وقال ( تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك ) فلخبرنا الله عز وجل ان له نفسا ، وطلب من بشر الميرسي الاقرار

(٤٧) (١٨) الحيدة س١٩ — ٢٠ .

(٤٩) عبد العزيز المكي — الحيدة س٢٠ .

بذلك ، ناقر ، وأشهد الملمون هذا الاقرار . وهنا تلى قوله تعالى ( كل نفس ذائقة الموت ) ، ثم سأل بشر ( فتقول يا بشر ان نفس الله عز وجل داخله في هذه النفوس التي تذوق الموت ) ؟ فصاح الملمون بأعلى صوته — وكان جهسورى الصوت — معاذ الله ، معاذ الله !! فقال عبد العزيز ( معاذ الله ان يكون كلام الله داخلا في الاشياء المخلوقة كما ان نفسه ليست بداخلة في الاشياء الميتة ) .

وقد اعترف الملمون عندئذ بان حجة عبد العزيز قد وضحت وانكسر قول بشر ، وطالب عبد العزيز بالمزيد من هذه الاخبار في القرآن الكريم .  
قال عبد العزيز :

يا امير المؤمنين ان الله عز وجل شرف العرب وكرمهم وانزل القرآن بلسانهم فقال ( انا انزلناه قرآنا عربيا ) وقال ( غانما يسرناه بلسانك ) فخص الله عز وجل العرب بفهمه ومعرفته وفضلهم على غيرهم بعلم اخباره ومعاني الفاظه وخصوصه وعمومه ومحكمه ومبهمه وخاطبهم بما عقلوه وعلموه ولم يجهلوه ، اذ كانوا قبل نزوله عليهم يتعاملون بمنزل ذلك في خطابهم فانزل الله عز وجل القرآن على اربعة اخبار خاصة وعامة (٥٠) .  
فيها :

١ — خبر مخرجه مخرج الخصوص ومعناه معنى الخصوص وهو قوله تعالى ( انى خالق بشرى من طين ) وقوله ( ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ) قال ( يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ، والناس اسم يجمع آدم وعيسى وما بينهما وما بعدهما فعقل المؤمنون عن الله عز وجل انه لم يعن آدم وعيسى لانه تدم خبر خلقهما .

٢ — خبر مخرجه العموم ومعناه معنى الخصوص وهو قوله تعالى ( ورحمتى وسعت كل شيء ) فعقل عن الله انه لم يعن ابليس فيمن سمه الرحمة لما تقدم فيه من الخبر الخاص قبل ذلك وهو قوله ( لا ملان جهنم منك ومن تبعك منهم اجمعين ) فصار معنى ذلك الخبر العلم خاصا لخروج ابليس ومن تبعه من سعة رحمة الله التي وسعت كل شيء .

- ٢ — خبر مخرجه مخرج الخصوم ومعناه معنى العموم وهو قوله  
( وانه هو رب الشعري ) فكان مخرجه خاصا ومعناه عاما .  
١ — خبر مخرجه العموم ومعناه العموم .

لهذه الاربعة الاخبار خص الله العرب بفهمها ومعرفة معانيها والفاظها  
وخصوصها ومهوبها والخطاب بها ثم لم يدعها اشتباها على خلقه وفيها بيان  
ظاهر لا يخفى على من تدبره من غير العرب ممن يعرف الخاص والعام ؛  
فلما قدم الينا عز وجل في نفسه خبرا خاصا انه حي لا يموت بقوله ( وتوكل  
على الحي الذي لا يموت ) ثم انزل خبرا مخرجه مخرج العموم ومعناه  
الخصوص فقال ( كل نفس ذائقة الموت ) فعقل المؤمنون عن الله عز وجل  
انه لم يعن نفسه مع هذه النفوس لما قدم اليهم من الخبر الخاص ؛ وكذلك  
وقدم الينا في كتابه خبرا خاصا ( انا قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له  
كن فيكون ) . فدل على قوله باسم مفرد فقال اذا اردناه — ولم يقل اذا  
اردناها — ففرق بين القول والشيء المخلوق الذي يكون بالقول مخلوقا ثم قال  
عز وجل ( خالق كل شيء ) . فعقل المؤمنون عن الله عز وجل انه لم يعن  
كلامه وقوله في الاشياء المخلوقة لما قدم من الخبر الخاص (٥١) .

### الفرق بين الجمل والخلق

ولكن بشرا عاد الى موطنه الاول مصعبا على ان قوله مؤيد بنص  
الانجيل . واستخرج من القرآن الكريم آية يدل بها على رايه بقول الله تعالى  
( انا جعلناه قرآنا عربيا ) . ذاعبا الى ان معنى جعلناه خلقناه .

وفي مقدمة رد عبد العزيز المكي على بشر الميرسي ارجع خطاه الى انه  
رجل من ابناء المعجم يتاول كتاب الله تعالى على غير ما أنزل ، ويحرفه عن  
مواضعه ويبدل معانيه ويقول ما تنكره العرب وكلامها ولغاتها ؛ ويكثر بشر  
الناس ويستبيح دماءهم يتأويل لا بتفزييل .

واخذ عبد العزيز المكي يستقريء آيات القرآن التي يثبت فيها ان  
( جعل ) ليست بمعنى ( خلق ) مثل قوله :



( واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كميلا ) . فاذا كان ( جعلتم ) هنا بمعنى خلقتم الله عليكم كميلا ، ومن قال هذا فقد اعظم الفرية على الله عز وجل وكفر به .

وقال عز وجل ( ولا تجعلوا الله عرضة لايديكم ) وقال سبحانه : ويجعلون لله البنات سبحانه ) ، وقوله ( فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما ) ، وقال ( قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس يدنونها وتخفون كثيرا ) .

وازاء هذه الحجة المحمية لما يترتب على تلويل معنى ( جعل ) بـ ( خلق ) من مقالات ، اعترف الملمون بصحة ما ذهب اليه عبد العزيز المكي فتلقى ( ما اقبح هذه المقالة واعظمها واشنعها نحسبك يا عبد العزيز فقد صبح قولك واقر بشر بما حكيت عنه وكفر نفسه من حيث لم يدرك ) ( ٥٢ ) .

### اقامة الحجة بالتنزيل

وعندما ضيق الخناق على بشر المريسي . قال للمؤمنين ( يا امير المؤمنين هذا يريد نص القرآن لكل شيء يتكلم به ، وهذا مما لا يقدر عليه لانه ليس كل ما يتكلم به الناس بها يحتاجون اليه من علم اديانهم يوجد في كتاب الله بنص التنزيل ، وانما يوجد فيه بالتأويل ) . اى انه عاد بطالب بالتأويل بعد ان انحبه عبد العزيز المكي بالتنزيل .

وظن انه بهذه الطريقة سيمجز عبد العزيز عن انبيات صالحة ما ذهب اليه ، فاخذ يتحدى مطالبها بايات تدل على شمولها لكل المخلوقات .

واخذ يطالب عبد العزيز بالاثيان ببراهينه . فقال ( اوجدنى ان هذا الحصر مخلوق بنص القرآن ) .

ولكن عبد العزيز لم يعجز عن اثبات ذلك ، فطالب بشر المريسي اولاً بالاقرار بأن الحصر من سعف النخل وجلود الانعام بالاشسلفة الى صناعة الانسان الذى يعمل حتى صار حصيراً ، ثم اخذ يردد ابنت الله تعالى في هذا

الصدد قال تعالى في النخيل ( انتم انشأتم شجرتها لم نحن المنتشئون ) فهو نص بخلق النخل والسعف . واما الجلود فقال الله تعالى ( والانعام خلقها لكم فيها نفع ومنتفع ) وهذا خلق الجلود . واما الصانع فقال الله عز وجل ( ولقد خلقنا الانسان ) فهذا خلق الصانع ، فصار الحصر مخلوقا بنص التنزيل لا بتأويل ولا بتفسير . وسأل بشر ( فهل عندك مثل هذا لخلق القرآن ما تذكره او تحتج به والا نقد بطل ما تدعونه من خلقه وصح ولم يزل صحبا ان القرآن كلام الله غير مخلوق من كل جهة وعلى اى جهة تصرمت ) (٥٣) .

ثم دارت المحالوة على النحو التالى :

— قال بشر : يا امير المؤمنين ، عندي اشياء كثيرة الا انه يقول بنص التنزيل ، وانا اتول بالنظر والقياس . فليدع مناظرتي بنص التنزيل وليألتزمني بغيره .

فتمتعجب المأبون من طريقة بشر في المناظرة وسأله في دهشة ( تسول لرجل يناظر بالكتاب والسنة دعهمسا وأخرج الى النظر والقياس ؟ هذا ما لا يجوز ) (٥٤) !!

### اقامة الحجة بالنظر والقياس

ولكن عبد العزيز المكي فلجا المأبون والحاضرين وأبدى تلم استعداده للمناظرة بالنظر والقياس دون الاحتجاج بأية من كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسأل بشر المريسي ( تسألني ام أسالك ؟ قال أسأل انت ) وقال مستطردا ( وطمع في هو وأصحابه وظننوا انى ان خرجت عن الكتاب والسنة لم احسن ان اتكلم بغيرهما ) !!

قال عبد العزيز لبشر المريسي ( يلزمك في تولك بخلق التوراة واحدة من ثلاث :

(٥٣) الحيدة ص ٤٩ — ٥٠ .

(٥٤) الحيدة ص ٥٠ .

١ - أن الله خلق كلامه في نفسه .

٢ - أو خلقه في غيره .

٣ - أو خلقه قائما بذاته أي شيئاً منفصلاً قائماً بنفسه .

فقل ما عندك يا بشر .

فاجاب بشر ( انا اتول انه مخلوق وانه خلقه كما خلق الاشياء كلها )  
فصاح عبد العزيز في وجهه ليثبت عليه الحيدة عن جوابه (٥٥) قائلا ( تركنا  
الكتاب والسنة عند هرب بشر عنهما ، ونظارته بالقياس والنظير لما ادعاه  
وذكر انه يحسنه ويقم على الحجة ولكنه مال الى الحيدة ونقض ما شرط  
على نفسه ، فان بشرا انها يحسن ان يناظر من لا ينهم ولا يدري ما يقول .  
وهنا نهره المأمون وأمره بان يجب عبد العزيز المكي ، فقال معترفا بمجزه عن  
الاجابة ( ما عندي جواب غير ما اجبته به ) (٥٦) .

(٥٥) والتصود بالحيدة الانصراف عن السؤال والهروب من اجابته .  
وقد استند عبد العزيز المكي الى واتعتين احدهما في القران  
الكريم والاخرى في تاريخ المسلمين . فاما في القران . فقد قال الله  
تعالى في قصة ابراهيم حين قال لقومه هل يسمعونكم ان تدعون  
او ينفعونكم او يضرون ، وانما قال لهم ابراهيم هذا ليذمهم ويعيب  
آلهتهم ويسفهم احلامهم فعنوا ما اراد بهم فصاروا بين امرين  
يقولوا نعم يسمعونا حين ندعوا وينفعونا او يضروننا فيشهد عليهم  
بلغة قومهم انهم كذبوا ويقولوا لا يسمعونا حين ندعو ولا ينفعونا  
ولا يضروننا فيننوا عن آلهتهم القدرة ، وعلما ان الحجة عليهم  
لابراهيم لانهم في اي القولين اجابوه فهو عليهم ، فعادوا عن جوابه  
واجتلبوا كلاما من غير ما سألهم عنه فقالوا بل وجدنا آباءنا كذلك  
يفعلون ، فلم يكن هذا جواب مسألته . كتاب الحيدة ص ٢٣ .

(٥٦) الحيدة ٥٢ .

فاتقبل المأمون على عبد العزيز فقال ( قد حاد بشر عن جوابك فتكلم أنت يا عبد العزيز في شرح المسألة ) .

وهنا اعاد عبد العزيز المكي الالتزامات الثلاثة التي ذكرها في بداية سؤاله ، وفصلها حسب البيان الاتي :

١ — ان قال بشر ان الله خلق كلامه في نفسه ، فهذا محال باطل لا يجد للسبيل الى القول به من قياس ولا نظر ولا معقول . لان الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا — لا يكون مكانا للحوادث ولا يكون فيه شيء مخلوق ولا يكون ناقصا بشيء اذا خلقه .

٢ — وان قال خلق كلامه في غيره فهذا ايضا محال باطل لا يجد للسبيل الى القول به من قياس ولا نظر ولا معقول . لظهور الشناعة من قبله لانه يلزم قائل هذه المقالة في القياس والنظر والمعقول ان يجعل كل كلام خلقه في غيره هو كلام الله . فيجعل الشعر وقول الزور والفحش والخفا وكل كلام فيه الله ودم تامله من كلام الكفر والسحر وغيره لله تعالى عن ذلك .

٣ — وان قال خلق كلامه قلنا بذاته . فهذا هو المحال الباطل الذي لا يجد للسبيل الى القول به من قياس ولا نظر ولا معقول ؛ لانه لا يكون الكلام الا من متكلم . كما لا تكون الارادة الا من يريد . ولا العلم الا من عالم ؛ ولا القدرة الا من قادر . ولا رؤى ولا يرى ابدا كلام تسلم بذاته متكلم بنفسه . وهذا ما لا يعقل . ولا يعترف ولا يثبت من قياس ولا نظر ؛ ولا غيره .

فلما استحال القرآن ان يكون مخلوقا من هذه الجهات ، ثبت انه صفة لله عز وجل وصفات الله عز وجل غير مخلوقة ، فيبطل قول بشر من جهة النظر والقياس . كما يبطل من الكتاب والسنة .

وهنا قال المأمون ( احسنت يا عبد العزيز ) . ولكن بشرا انتقل الى موضوع آخر فقال ( دع هذه المسألة واسأل من غيرها ) ( ٥٧ ) .

وانتقلا من الحديث عن كلام الله تعالى الى صفاته عز وجل وقد بدا  
بالعلم ثم الحديث عن القدرة والفعل ، واختتما المحاوره بالبرهنة بالمنهج  
القياسى على أن كلام الله تعالى غير مخلوق ، وسنرى كيف التزم عبد العزيز  
طرقا ثلاثة في محاورته : اى التنزيل والنظر والقياس :

### اثبات علم الله تعالى بنص التنزيل

انتقل الحديث الى الصفات الالهية التى اثبتها لله لنفسه ومنها العلم ،  
وقد تدخل المأمون في هذا الجزء من المحاوره ، فسأل عبد العزيز ( اتقول  
يا عبد العزيز ان الله عالم ) ؟ فأجابه ( نعم يا امير المؤمنين ) ، فسأله ثانيا  
( اتقول ان الله علما ) ؟ فأجاب بالإيجاب .

وذهب المأمون بعد ذلك الى ما هو ادق من هذه القضية في النهج  
والنظر ، فسأله عبد العزيز ( اتقول ان الله سميع بصير ؟ قلت — نعم يا امير  
المؤمنين ، قال — اتقول ان الله سمعا وبصرا ؟ قلت : لا يا امير المؤمنين ) .

وكان عبد العزيز واعيا لاجابته ، مدعما عقيدته بالمنهج الثابت المنقول  
من السلف الصالح وما فهمه المسلمون قبله ، فقال :

( يا امير المؤمنين ، وقد قدمت اليك فيما احتججت به ان على الناس جميعا  
أن يثبتوا ما اثبت الله ، وينفوا ما نفى الله ، ويمسكوا عما امسك الله عنه ،  
فأخبرنا الله عز وجل ان له علما ، فقلت ان له علما كما أخبرنا انه عالم  
بقوله ( عالم الغيب والشهادة ) فقلت انه عالم كما أخبرنا انه سميع بصير ،  
فقلت انه سميع بصير كما أخبر في كتابه ، ولم يخبر ان له سمعا ولا بصرا ) .

فقال المأمون لبشر واصحابه ( ما هو بمشبهه فلا تكلموا عليه ) ( ٥٨ ) .

وهنا أراد بشر احراج عبد العزيز فسأله ( قد زعمت يا عبد العزيز ان  
الله علما ، فأى شيء هو علم الله ؟ وما معنى علم الله ؟ ) .

وأجاب عبد العزيز بشيء من التفصيل ، مستشهدا بآيات من القرآن

الكريم فقال ( هذا مما تفرّد الله بعلمه ومعرفته ، فلم يخبر به ملكا مقربا ولا نبيا مرسلًا ، بل احتجبه من الخلق جميعهم فلم يعلمه احد قبلى ولن يعلمه احد بعدى ، لأن علمه أكثر وأعظم من أن يعلمه احد من خلقه ) .

واخذ يذكره بقوله تعالى ( ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ) ، وقوله ( عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول ) ، وقوله ( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر ) ، وقوله عز وجل ( ولو ان ما فى الارض من شجرة اتلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفذت كلمات الله ان الله عزيز حكيم ) .

وسأل بشرا ( اتدرى يا بشر ما معنى هذا ؟ واى شيء مما نحن فيه ؟ ) .

فطلبه المأمون بالاجابة بنفسه على هذا السؤال شرحا وتفسيرا ، فاستكمل ذلك بقوله ( يا امير المؤمنين يعنى بقوله هذا ولو ان ما فى الارض من جميع الشجر والخشب والقصب اتلام يكتب بها والبحر مداد يمده من بعده سبعة ابحر ، والخلائق كلهم يكتبون بهذه الاتلام من هذا البحر ، ما نفذت كلمات الله ، فمن بلغ عقله وفهمه ونكره كنه عظمة الله وسعة علمه ؟ !! )

وقال سبحانه وتعالى ( لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفذ البحر قبل ان تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ) فمن يحسد هذا او يصفه او يدعى عليه ، وقد عجزت الملائكة المتربون من علم ذلك واعترفوا بالمعجز عنه فقالوا ( سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ) ؟

وقال تعالى ( ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى ارض تموت ان الله عليم خبير ) .

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن علم الساعة فقال ( علمها عند ربي فى خيس لا يعلمها الا هو وتلا ) ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام ) فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الخيس مما تفرّد الله بعلمها ، فلا يعلمها الا هو ، ماذا كان النبي صلى الله عليه وسلم

لا يعلم من علم الله الا ما علمه ، فكيف يجوز لاحد من امته ان يتكلف علمسا  
او يدعى معرفة ( ٥٩ ) .

ويبدو من تعليق عبد العزيز انه غضب بسبب هذا السؤال الذى  
لا محل للاجابة عنه واضطر الى انحابه بنصوص التنزيل لبيان ان مثل هذا  
السؤال منهى عنه من قبل الله تعالى ، ففسال عبد العزيز ( انك لتأمرنى بما  
نهائى الله عنه وحرم على القول به ، وتأمرنى بما امرنى به الشيطان ،  
ولست اعصى ربهى وارتكب نهيه واطيع الشيطان واتبع امره و امرك اذ كنتما  
قد امرتماى بخلاف ما امرنى به ربهى ، بل نهائى ) !

وكان الملمون يراقب الموقف منصتا باهتمام ، ودهش من رد عبد العزيز  
واراد شرحا له ، فقال ( يا عبد العزيز امرك بشر بما نهاك الله عنه وحرم  
عليك القول به وامرك به الشيطان !!! ) فلما اجاب عبد العزيز بالاجاب -  
طلبه بايات من كتاب الله بنص التنزيل .

قال عبد العزيز ( قال الله عز وجل لنبيه عليه السلام : قل انما حرم  
ربهى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحسق وان تشركوا  
بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ) . وامرهم  
الشيطان بضد ذلك ، فقال الله عز وجل ( يا ايها الناس كلوا مما فى الارض  
حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يامركم  
بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ) فآخبر الله عز وجل ان  
الشيطان يامر الناس بان يقولوا على الله ما لا يعلمون . منهاهم عن اتباعه  
وقبول قوله ، فهذا تحريم الله ونهيه لنا بها يا امر المؤمنين ان نقول عليه  
ما لا نعلم ، وهذا امر الشيطان لنا ان نقول على الله ما لا نعلم . وقد اتبع  
بشر يا امر المؤمنين سبيل الشيطان الذى نهاه الله عن اتباعها ووامته على  
قوله وامرنى بمثل ما امرنى به الشيطان ان اقول على الله ما لا اعلم ) .

ويصف عبد العزيز انعكاسات هذه الاجسابة على الملمون بقوله : فكثر

تبسم المأمون حتى غطى بيده على فيه وأطرق يكتب في الأرض بيده على  
السريير (١٦٠) .

ويدهشنا أن تصل المجادلة إلى هذا الحد مع استمرار بشر الميرسي على  
موقفه بالرغم من حجج عبد العزيز القوية الواضحة ، ومنها يتضح أن  
الميرسي قد أفلس بعناده وعجزه عن مجابهة أدلة عبد العزيز .

كما تعجب من تصرف المأمون لاتخاذ القضية البالغة الأهمية خريصة  
للتضييق على الناس وكبت آرائهم ، ثم وقفه بنفسه على الأدلة وإقراره  
بصحتها في أكثر من موضع بقوله ( أحسنت يا عبد العزيز ) ، بينما في مجالسه  
الخاصة تكون مدعاة لابتنسابة وربما ضحكة ! !

### البيات الفصل والقسرة بالنظر والقياس

#### أولا — بالنظر والمعقول :

استهل عبد العزيز المكي المسالمة في هذه القضية بسؤاله لبشر  
الميرسي فسأله ( يا بشر . تقسول أن الله كان ولا شيء ، وكان ولم يفعل  
شيء ، وكان ولم يخلق شيء ، فلما أقر بشر بهذه المسئلة ، استخرج منها  
الإقرار بأن الله تعالى هو الذي أحدث الأشياء — أي خلقها — بقدرته  
سبحانه .

ولكنهما اختلفا بعد الاتفاق على هذه المسئلة ، ويعبران عن وجهتي  
النظر المتعارضتين . إذ أن المعتزلة ينتمون صفات الله تعالى بينما يثبت علماء  
أهل السنة والجماعة هذه الصفات كما اتضح لنا فيما تقدم من هذا البحث .

أقر بشر بأن الله عز وجل لم يزل قائما . ولكنه لم يقر بأن الله سبحانه  
لم يزل يفعل . فتبرى إليه عبد العزيز المكي ( سلا ان تقسول أنه خلق  
بالفعل الذي كان عن القدرة ، وليس الفعل هو القدرة : لأن القدرة صفة  
من صفات الله ، ولا يقال لصفات الله هي الله ، ولا هي غير الله ، وهذا  
بلازمك القول به ) .



فلما اعترض بشر على هذا التفسير قائلا لعبد العزيز ( ويلزمك أيضا ان تقول انه لم يزل يفعل ويخلق ، واذا قلت ذلك تبينا ان المخلوق لم يزل مع الخلق ) ، هنا اضاف عبد العزيز ايضا كما اكبر ، متوسعا في شرح المسئلة بين الخالق والمخلوقات ، ليصل اثبات صفة الفعل لله تعالى مع القدرة ، وبذلك يضع البرهان العقلي لصفات الله تعالى وتغايرها .

قال عبد العزيز ( انى لم اقل هذا وليس لك ان تحكم على وتحكى عنى ما لم اقل وتلزمى ما لم يلزمى ، انى لم اقل انه لم يزل الخالق يخلق ، ولم يزل الدامل يفعل فللزمى ما قلت ، وانما قلت لم يزل الدامل سيفعل ، ولم يزل الخالق سيخلق لان الفعل صفة الله يقدر عليها ولا يمنعه منها متع (٦١) .

وكان عبد العزيز حريصا في اختيار الفاظه ان يستخدم الفعل بصيغة المستقبل ، لكي يتضح امام السامع ان الله تعالى هو الاول بالاطلاق وانه سبحانه متقدم قبل الخلق ، كان ولا شيء قبله ولا شيء معه .

ولكن بشرا اصرا على موقفه بالاعتقاد ان الله تعالى احدث الاشياء بقدرته ولم يقر بالفعل الذى كان من القدرة .

وهنا اضطر عبد العزيز لاشراك المأمون في المحاورة ، فقال :

يا امير المؤمنين ، قد قال بشر ان الله كان ولا شيء ، وانه احدث الاشياء بعد ان لم تكن شيئا بقدرته ، نقلت انا احدثها بلهيه وقوله عن قدرته .

فقال المأمون : قد حفظت عليكما قولكما .

فقال عبد العزيز : يا امير المؤمنين ان يخلو ان يكون اول خلق خلقه الله بقوله قاله ، وبإرادة ارادها ، وقدرة قدرها .

واستمر في شرح معتقده ، اذ ترتب على المقدمة السابقة ان ههنا ارادة ومريدا ، وقولا وقائلا ومقولا له ، وقدرة وقديرا ومقدورا عليه ، وذلك

كله متقدم قبل الخلق : وما كان متقدما قبل الخلق فليس هو من الخلق في شيء .

وكان سكوت بشر يدل على أنه أمم فلم يجر جوابا فقال عبد العزيز : وقد كسرت والله قول بشر ودحضت حجته بإقراره بلسانه بالنظر والمعقول ، ولم يبق إلا التماس ، وأنا اكسره بالقياس ان شاء الله تعالى ، فقال المأمون : هات وأوجز قبل خروج وقت الصلاة (١٢) .

**ثانياً ... اثبات أن القرآن كلام الله بفهم القياس :**

واستخدم عبد العزيز المكي المنهج القياسي في اثبات أن القرآن الكريم كلام الله تعالى وليس شيئاً مخلوقاً ، وكانت دواعيه للعودة مرة أخرى إلى هذا الموضوع أن يثبت صفة الكلام ، فإذا تم ذلك أثبت باقي صفات الله تعالى قياساً عليه .

وبدا عبد العزيز بتوجيه كلامه إلى المأمون ، فقال :

يا أمير المؤمنين ، لو كان لبشر فلامان وأنا لا أجد لهما خيراً من أحد من الناس إلا من بشر ، ويقتل لأحدهما خالد ، وللآخر يزيد ، وكان بشر فأثابا عنى بحيك لا آراه فكتب إلى بشر ثمانية عشر كتاباً يقول في كل كتاب منها ( ادفع إلى خالد غلامى هذا الكتاب ) . وكتب إلى أربعة وخمسين كتاباً يقول ( ادفع إلى يزيد هذا الكتاب ولم يقل غلامى ) .

وبعد هذه البداية ، التي سنفهم بعدها سبب اختيار عبد العزيز لهذه الأعداد بالذات حالا ، استكمل حديثه بقوله : ثم قدم بشر من سفره فغسل لى : ألسنت تعلم أن يزيد غلامى ، فقلت : قد كتبت إلى أربعة وخمسين كتاباً وقلت ادفع هذا الكتاب إلى يزيد ولم تقل غلامى ، وكتبت ولم أسمك تقول غلامى — وأنا لا أجد ذلك إلا منك ولا أعرف خبره من أحد غيرك . وكتبت إلى ثمانية عشر كتاباً ادفع إلى خالد غلامى هذا الكتاب ، فعلمت بكتابتك أنه غلامك . ثم كتبت إلى كتاباً جمعتهما فيه فقلت ( ادفع هذا الكتاب إلى

خالد غلامى والى يزيد — ولم تقل غلامى ، فمن اين اعلم ان يزيد غلامك  
ولست اعلم خبرهما من احد غيرك ؟ ) .

وسياتا لهذه الواقعة ، وما يترتب على حدوثها من نتائج ، اراد عبد  
العزيز الوصل الى انها لو حدثت بهذه الكيفية ، سسيتمه بشر بانه فسرط  
حيث لم يعلم ان يزيد غلامه من كتبه ولكن عبد العزيز يلتقى المسئولية من  
كامله ويرى ان بشرا هو المفراط ، واشرك المأمون في الشهادة فساله ( فلينا  
المفراط يا امير المؤمنين ) ؟ فامر المأمون بلن بشرا هو المفراط (٦٣) .  
ومع غرابة هذه الواقعة التى يريد عبد العزيز القياس عليها ، ظهرت  
دهشة بشر المريسي من غرضه فقال ( وايش هذا مما نحن فيه نريد ان تثبت  
بهذا السؤال على ما لم يكن منى كانت هذه المكاتب وهذا الكلام ؟ ! )

وحيث انك حسم عبد العزيز الموقف مستخدما القياس فى البرهنة على  
ما ذهب اليه ، فقال ( اسمع حتى تقف على ما اردت ) ثم اردف قائلا ( يا امير  
المؤمنين ان الله عز وجل اخبرنا فى كتابه بخلق الانسان فى ثمانية عشر  
موضعا ، ما ذكره فى موضع منها الا اخبر عن خلقه . وذكر القرآن فى اربعة  
مخمسين موضعا فلم يخبر عن خلقه فى موضع منها ولا اشار اليه بشيء من  
صفات الخلق ، ثم جمع بين القرآن والانسان فى آية من كتابه فآخبر عن الخلق  
للانسان ونفى الخلق عن القرآن ، فقال الله عز وجل « الرحمن علم القرآن  
خلق الانسان عليه البيان » ( ففرق بين القرآن والانسان فزعم بشر يا امير  
المؤمنين ان الله فرط فى الكتاب من شيء . فهذا كسر قول بشر بالقياس ) .  
فقال المأمون ( احسنت يا عبد العزيز ) (٦٤) .

الى جانب تناول الجدل حول باقى صفات الله سبحانه وتعالى من  
وجهتى النظر المتعارضتين : راي المعتزلة الذى يعبر عنه بشر المريسي ورأى  
علماء السنة الذى يعبر عنه عبد العزيز المكي (٦٥) .

(٦٣) الحيدة ص ٥٤ .

(٦٤) الحيدة ص ٥٥ .

(٦٥) وقد استخلصناه من ابن تيمية نقلا عن « الحيدة » اذ لاحظنا ان  
الكتاب المتداول والذى استندنا اليه جاء خلوا من هذه المسألة .

### الاستواء على العرش :

من محاورات عبد العزيز المكي مع بشر المريسي في بيان استواء الله عز وجل على عرشه :

فسر الجهمية قوله تعالى ( الرحمن على العرش استوى ) بأن المعنى استولى كقول العرب استوى فلان على مصر وعلى الشام . ويسأل عبيد العزيز المكي عدة أسئلة ليستخلص منها الاجابات الملزمة لها ، فيسأل أولا ( ايكون خلق من خلق الله انت عليه مدة ليس الله بمسئول عليه ؟ ) فالاجابة الصحيحة بالنفي ، ومن زعم غير ذلك فهو كافر . ويلاحظ الى آيات اخرى تتناول العرش ، يلزم المريسي بان العرش قد ائتت عليه مدة ليس الله بمسئول عليه ، فقد قال تعالى الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش ، الرحمن فاسأل به خبيرا ) وقوله ( الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ) وقوله ( ثم استولى الى السماء وهي نخان ) ويستطرد المكي بعد هذا قائلا ( فيلزمك ان تقول : المدة الذى كان العرش فيها قبل خلق السموات والارض ليس الله بمسئول عليه ، اذ كان ( استوى على العرش ) معناه عندك استولى ، فانما استولى بزعمك و ذلك الوقت لا قبله ) .

وبقيت الصعوبة التى يثيرها الجهمية في كيفية الاستواء ، اذ يستفسر المريسي عنه ، اهو كما يقول ( استوى فلان على السرير ) فيكون السرير قد حوى فلانا وحده اذا كان عليه ؟ ويلزم من ذلك القول ان العرش قد حوى الله وحده اذا كان عليه ، لانا لا نعقل الشيء الا هكذا .

ويوضح عبد العزيز المكي اجابته على هذا التساؤل ، فيؤكد أولا ان الله تعالى لا يجرى عليه كيف ، فلا مجال اذن للتساؤل ( كيف استوى ؟ ) ، فقد اخبرنا بانه استوى على العرش ولم يخبرنا كيف استوى ، اذ لم تره المييون فى الدنيا فتصفه بما رأت ، وحرم عليهم ان يقولوا عليه ما لا يعلمون فآمنوا بخبره عن الاستواء ، ثم ردوا علم كيف استوى الى الله تعالى .

بقى بعد هذه الاجابة ان يلزم الجهمى بالزامين يستخرجهما من وصفه

لله تعالى بأنه في كل مكان ، أولهما فقد زعم ان الله تعالى محدود وقد حوته  
الامكان ، لأنه لا يعقل شيء في مكان الا والمكان قد حواه . ويلزمه ثانياً تقليد  
النصارى في الاعتقاد بأن الله عز وجل في عيسى وعيسى بدن انسان واحد ،  
فكفروا بذلك ، ولكن قول الجهمية أشنع اذ يلزمهم القول انه في ابدان الناس  
كلهم ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وفي ختام المحاوره يضطر المريسي الى الوقوع في التناقض اذ يصف الله  
عز وجل بأنه في كل مكان ، لا كالشيء في الشيء ، ولا كالشيء على الشيء ،  
ولا كالشيء خارجاً عن الشيء ، ولا بمائناً للشيء . ويسخر المكي من هذا  
الاعتقاد ، لان المريسي يدعى انه يستند الى القياس والمعقول ، ولكنه دل  
بالقياس والمعقول على انه لا يعبد شيئاً ، لان ما لا يكون داخل في الشيء  
ولا خارجاً عنه فانه لا يكون شيئاً ، وان ذلك صفة المعدوم لا وجود له (٦٦) .

وتلقف ابن تيمية بقراءاته المتشعبة مثل هذا الدليل العقلي ، وزاده  
ايضاحاً ، تبين أولاً أن الالفاظ التي لم تنطق الرسل فيها بنفى ولا اثبات  
كلفظ الجهة والحيز ونحو ذلك لا يطلق نفيًا ولا اثباتًا الا بعد بيان المراد ، ثم  
لحشى الأدلة المستمدة من القرآن والسنة فراهها تقرب الف ، مع تطابق  
الانبياء كلهم على ان الله سبحانه وتعالى في العلو .

ولكن ماذا يعتد بالعلو ؟

يقدم كمادته الآيات القرآنية ، مثل قوله تعالى ( ألمنتم من في السماء  
ان يخسف بكم الارض ) . ، ( ام امنتم من في السموات ان يرسل عليكم  
حاصيا ) ، فهو سبحانه العلى الاعلى لا يعلوه شيء من خلقه ، كما اخبر  
الرسل بأن الله تعالى فوق العالم بمبارات متنوعة ولكن ليس مرادهم ان  
الله في جوف السموات او ان الله يحصره شيء من المخلوقات ، بل كلام  
الرسل كله يصدق بعضه بعضاً ، كما قال تعالى ( سبحانه ربك رب العزة  
عما يسنون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ) وثبت في الصحيح  
من النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ( انت الظاهر فليس فوقك شيء

(٦٦) ابن تيمية — مجموع فتاوى جده ص ٣١٦ — ٣١٧ ط السعودية .

وَأنت الباطن فليس دوتك شيء ) . ويناقش شيخ الإسلام كافة التصورات  
المحتملة فيثبثها ، ويثبت الصحيح ، فمن التصورات الخاطئة اعتقاد أن يكون  
الرب محصوراً في شيء من المخلوقات أملاً سواء سمي ذلك المخلوق جهة  
أو لم يسم جهة ، ويخطئ أيضاً من يظن أنه ليس فوق السموات رب ،  
ولا على العرش ، ومحمدصلوات الله عليه لم يعرج إلى ربه ، ولا تصعد  
الملائكة إليه ، ولا تنزل الكتب منه ، ولا يقرب منه شيء ، ولا يدنو إلى شيء .  
الاعتقاد الصحيح أنن أنه ليس موجوداً إلا الخالق والمخلوق ، والخالق  
بأن عن مخلوقاته ، عال عليها ، فمن سمي ما فوق العالم جهة وجعل العدم  
المحض جهة وقال هو في جهة بهذا المعنى أي هو نفسه فوق كل شيء فهذا  
معنى صحيح (٦٧) .

---

(٦٧) ابن تيمية ... الجوال الصحيح لمن بدل دين المسيح ج٢ ص ٨٢ .



### الفصل الثالث :

#### صلة العقل بالشرع

- صلة العقل بالشرع .
- أدلة الشرع عقلية .
- تعقيب .





### صلة العقل بالشرع :

ولعل أبرز نقاط الخلاف بين شيوخ الحديث والسنة ، والمتكلمين بعامة والمعتزلة بخاصة هي نقطة صلة العقل بالشرع ، فبينما زعم المتكلمون أن يوسعهم استحداث أدلة مستوحاة من العقل ومزوجة بمصطلحات الفلاسفة والاستناد إليها في الدفاع عن الإسلام . يرى أهل الحديث والسنة أن الأدلة الشرعية بذاتها كافية لأنها تتفق مع أحكام العقل وتوائمه .

وهناك أيضاً مترادفات فيقال النقل والعقل أو الرواية والحراية السمع والعقل وكان منار الخلافات الحادثة بين المسلمين أن أهل الكلام ظنوا أن الأدلة الواردة بالوحي لا صلة لها بالعقل ، ولهذا حاولوا التوفيق بين أدلة الشرع وأدلة العقل ظانين أنهم بهذا المنهج يستطيعون الدفاع عن الإسلام وتقريب أصوله إلى الأذهان .

وتوطئه لتحليل هذه القضية الهسبية التي تعتبر جوهر الخلاف بين المتكلمين والمحدثين نستعرض لبعض المصطلحات التي حددها أحد علماء الحديث والسنة يمكننا التمييز بين مناهج علماء الحديث ومناهج المتكلمين من المعتزلة والاشاعرة وأصحاب النور الأخرى .

### الشرع :

وهو ينقسم إلى : —

١ — الشرع المنزل : فالشرع يطلق تارة على ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة . هذا هو الشرع المنزل ، وهو الحق الذي ليس لأحد خلافه .

٢ — الشرع المبديل : ويطلق على ما يضيفه بعض الناس إلى الشرع . إما بالكتف والافتراء وإما بالتساويل والغلط ، وهذا شرع مبديل لا منزل ، ولا يجب ، بل لا يجوز اتباعه .

ويضع شيخ الإسلام ابن تيمية في دائرة الشرع المبديل هؤلاء الذين

يناقضونه في خبره ، فينتفون ما اثبتته أو يثبتون ما نفاه ، كإتباع جهنم بن صفوان الذين ينفون ما اثبتته من صفات الله سبحانه وتعالى . والقدرية النفاة الذين ينفون ما اثبتته من قدر الله تعالى ومشيئته وخلقه وقدرته — والقدرية المجبرة الذين ينفون ما اثبتته من عدل الله تعالى وحكمته ورحمته ، ويثبتون ما نفاه من الظلم والعبث والبخل ونحو ذلك عنه (٦٨) .

**العقل :**

مدح اله تعالى مسمى العقل في القرآن الكريم في غير آية . كذلك رويت احاديث نبويه كثيرة عن فضل العقل الانساني . منها رسول النبي صلى الله عليه وسلم ( ان الرجل ليكون من اهل الصيام واهل الصلاة واهل الحج واهل الجهاد فما يجزى يوم القيامة الا بقدر عقله ) .

ومن على قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( والله لقد سبق الى جنات عدن اقوام ما كثروا بكثر الناس صلاة ولا صياما ولا حججا ولا اعتسارا ، ولكنهم عقلوا عن الله تعالى مواعظه فوجلت منه قلوبهم واطمأنت اليه النفوس وخشعت منه الجوارح ففاقوا الخليفة بطيب المنزلة وحسن الدرجة عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة(٦٩) .

ويقرر شيخ الاسلام ابن تيمية ان القرآن الحكيم مملوء من ذكر الايات العقلية اى التى يستدل بها العقل ، وهى شرعية دل عليها وارشد اليها . ولكن كثيرا من الناس لا يسمى دليلا شرعيا الا ما دل بمجرد خبر الرسول — صلى الله عليه وسلم — وهو اصطلاح قاصر (٧٠) .

ويذهب الشيخ/الدكتور دراز الى اننا نستطيع دراسة القرآن الكريم من زوايا جد مختلفة ، ولكنها جميعا يمكن ان تنتهى الى قطبين اساسيين هما اللغسة والفكر ، فالقرآن كتاب ادبى وعقيدى في نفس الوقت وينفس الدرجة(٧١) .

- 
- (٦٨) ابن تيمية — النبوات ص ٦٣ — ٦٤ .  
(٦٩) ابن تيمية : بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والتسرامطة والباطنية ص ٦٠ .  
(٧٠) ابن تيمية — النبوات ص ٥٢ ط المكتبة السلفية ١٢٨٦ هـ .  
(٧١) دكتور محمد عبد الله دراز : مقدمة الكتاب (مدخل الى القرآن الكريم) .

لكن ما أحدثه المتكلمون من الكلام المبتدع والمخالف للكتاب والسنة بل هو في نفس الامر مخالف للمعتول . ومرد ذلك الى ادخال مصطلحات الفيلسفة اليونانية والتعبير بها عن عقائد الاسلام .

والاصل ان المرجحة من اللغات الاخرى جائزة بل احسن وقد يجب احيانا كما امر النبي صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت ان يتعلم كتاب اليهود لان المعرفة بلغات الناس وامطلاحاتهم نافعة في معرفة مقاصدهم ، ولكن المحذور هو عدم الدقة في فهم المصروف بين الكلمات والمعاني من لغة الى اخرى .

وعلى سبيل المثال فان لفظ ( العقل ) عند فلاسفة اليونان يعسد به جوهر قائما بنفسه . وليس الامر كذلك في اللغة العربية ، كذلك العقل في الكتاب والسنة وكلام الصحابة والائمة لا يراد به جوهر قائم بنفسه باتفاق المسلمين وانما يراد به العقل الذي في الانسان .

وبسبب الخلط بين اللفتين نسر بعض الفلاسفة المسلمين — نغلا عن اليونان — الخلق بنظرية المدور . فتصوروا خلق العالم وكأنه صدر عن العقول العشرة والنفوس التسعة الى ان انتهى بالعقل الفعال .

عندما رفض المحدثون ان منهج المتكلمين وردوه ، لم يفعلوا ذلك انكارا لاحكام العقل وقوانينه . ولا رفضا للجسد المبنى على اساس منطقيية برهانية ، ولكن لان الاصول التي استند اليها علماء الكلام ، اما انها تلبس المعاني الاسلامية ثيابا ليست لها كمصطلحات الجوهر والعرض والتقديم والحادث ومنها من التعبيرات النابعة من الفيلسفة اليونانية والتي لا تعبر عن مخلوقات مشابهة في الاسلام ، او انها تشوه الفكرة وتخلط بين التصورات لان سلة الفكر باللغة صلبة وثيقة ، . وقد وضع المتكلمون هذه المصطلحات اولا ثم ارادوا انزال كلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم على ما وضعوه من اللغة والاصطلاح ( ١٧٢ ) .

---

(١٧٢) ابن زبيبة — بغية المرتاد في السرر على الفيلسفة والقرائنة والباطنية ص. ٢٠ لها الحديث المنسوب الى النبي صلى الله عليه وسلم

السبب الثاني انهم اتهموا حججهم على ادلة مخالفة للمعتول  
ولا نستقيم مع الادلة العقلية بينما يزعمون انها كذلك .

ونضرب على ذلك مثالين : —

أولا — فكرة نظرية الجواهر الفردة التي يفسرونها بها الخلق ،  
وتتلخص أن الاجسام مركبة من الجواهر الصغار التي قد بلغت من الصغر  
الى حد لا يتميز منها جانب من جانب وتلك الجواهر باقية تتقلب عليها  
الامراض — أو الصفات الحادثة .

وبناء عليه يرى هؤلاء المتكلمون أن الله تعالى أحدث اعراضا كجسم  
الجواهر وتثريتها بالمادة التي هي الجواهر المنفردة باقية باعيانها ، ولكن  
أحدث صوراً هي اعراض قائمة بهذه الجواهر (٧٢) .

ويترتب على هذه النظرية انسداد النتائج انحرافاً لأنه لا يختلف عن  
مذاهب الفلاسفة القائلين بقدم العالم ، فتهسارت بذلك الحجج العقلية  
للمتكلمين الذين ظنوا أنهم باطلتهم يدافعون عن الاسلام . واصبحوا ( كما اراد  
أن يغزو العدو بغير طريق شرعي فلا نتج بلادهم ولا حفظ بلاده . بل سلطهم  
حتى صاروا يحاربونه بعد أن كانوا عاجزين عنه ) (٧٤) .

أما الحقيقة المألفة للأذهان ، واطهر ما تكون في خلق الانسان نفسه .  
انه خلق من تراب وحوله الله تعالى ( الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق  
الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ) السجدة .

---

== وسلم أنه قال ( لما خلق الله العقل قال له تمهتنام ثم قال له ادبر فادبر  
ثم قال له أقعد فاقعد فقال ما خلقت خلقاً هو خير منك ولا اكرم على منك  
ولا احسن منك آخذ وبك اعطى وبك اعرف وبك الثواب وعليستك  
العقاب ) فقد اجمع علماء الحديث — ومنهم ابن الجوزي — أن هذا  
الحديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفس المصدر  
ص ٢٢ .

(٧٢) ابن تيمية — التبوات ص ٥٢ ط المنيرية ١٣٤٦ هـ .

(٧٤) ابن تيمية — شرح العقيدة الاصمغانية ص ٦٣ .

فقد خلق الله الانسان ولم يك شيئا ( وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا )  
ولا تعنى الآية الاخيرة انه خلق من لا شيء لانه قال تعالى ( وجعلنا من الماء  
كل شيء حي ) وهذه هي القدرة التي تبهر العقول وتذهلها ، وهو ان يخلق  
الحياتق الموجودة فيحيل الاول ويفنيه ويلاشييه ويحدث شيئا آخر فاصس  
الانسان التراب ونصله الماء المهيمن . فاذا خلق الله الانسان من المني ،  
فالمني استحالت وصار علقة والعلقة استحوالت وصارت مضفة والمضفة  
استحوالت الي عظام وغير عظام . فالانسان مخلوق خلق الله جواهره  
واعراضه كلها من المني — اي من مادة استحوالت : فليست باقية بعد خلقه  
ويحدث الله ليها صوراً عرضية كما يزعم المتكلمون .

وعند انهاء الانسان اذا مات وصار تراباً منى وعدم وكذلك سائر ما على  
الارض كما قال تعالى اكل من علبها فان ، ثم يعيده من التراب كما خلقه  
ابتداء من التراب وبخلقه خلقا جديدا . ولكن النشأة الثانية احكام وصفات  
للاولى . فمعرفة الانسان بالخلق الاول وما يخلقه من بنى آدم وغيرهم من  
الحيوانات وما يخلقه من الشجر والنبات والثمار . وما يخلقه من المسحاب  
والطر وغيرهما من المخلوقات : هو اصل لمعرفته بالخلق : بالمبدأ والمعاد .  
وهكذا تنهار الاسول العقلية التي استحدثها المتكلمون .

المثال الثاني : طريقة المتكلمين في اثبات المسامع .

وهي الطريقة التي ابتدعها اهل الكلام زاعمين انها طريقة عقلية  
صحيحة وخلصتها ان الله تعالى لا يعرف الا بالنظر والاستدلال المنصى الى  
العلم باثبات المسامع ولا طريق الى ذلك باثبات حدوث العالم . وطريقتهم في  
اثبات حدوث العالم مبينة على الاستدلال بالاعراض او ببعض الاعراض  
كالحركة والمسكون او الاجتماع والافتراق وهي الاكوان فان الجسم لا يخلو  
منها وهي حادثه . وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث : فاضطرهم ذلك الى  
القول بحدوث كل موصف فنقوا عن الله تعالى الصفات وقلوا بان القرآن  
مخلوق وانه لا يرى في الاخرة ١٧٥١ .

وأدى ذلك الى نتائج مشابهة الى الفلاسفة الدهرية القائلين بقسوم العالم ، اذ اتروا الفلاسفة عليهم مقالوا (هذه الطريقة تستلزم كون الصانع كان معطلا عن الكلام والفعل دائما الى ان أحدث كلاما ونفعلا بلا سبب أصلا ، وهذا مما يعلم بطلانه بصريح العقل (٧٦) .

وبعد فأتنا نرى من وجهة نظر الباحثين في نظرية المعرفة ، كيف حددها القرآن الكريم مفصلا الحديث عن الاحساس والعقل والشعور مثيرا في الانسان كواهن الفطرة الموحدة بآية الميثاق ، مندل على صدق النبوه والرسالة والتوحيد وعالم الغيب بأدلة تمتزج بها والخطاب موجه الى الانسان على الحقيقة بفطرته وروحه وقلبه ووجدانه وأحاسيسه وشعوره وعقله ، فكان التوجيه الإلهي للانسان بهذا المفهوم والتكوين الذي خلقه به الله تعالى ، وفي الوصية ننبهه حض القرآن على التفكير والتعقل والتدبر في غير آية .

ومن غير المتصور وغير المنطقي والحقيقي ان يأتي الشرع بأدلة مخالفة للقوانين العقلية الفطرية كالتأمل والاختلاف فاتها الميزان الذي يزن بها الانسان المعلومات الواردة اليه . وهذا ما يقصده شيوخ الاسلام من وصفهم لحقيقة الآيات السبعية والقولية والميانية والعقلية .

ولهذا فإن التنازع الموهوم بين العقل والنقل أو الأدلة العقلية والأدلة الشرعية أو أصحاب الرواية وأصحاب الدراية لا محل لها في تراثنا بالصورة التي ظهرت في تراث أهل الكتاب . كل ما هنالك أن (عالم الغيب) بما يحتسبه من أمجيب تذهل المؤلف ما يراه الانسان ويشاهده ويحسسه ويستقله ، جعل البعض يحاول إخضاعه للمقاييس العقلية الانسانية ، فحدث الاضطراب بين المتكلمين والفلاسفة (ابن خلدون وميزان الذهب) .

وتصبح القضية غير ذات موضوع لاسيما في عمسورنا الحديثة التي كشف العلم فيها عما يحير العقل ويذهله في عالم المخلوقات كالانلاك والحيوان والنبات .

---

(٧٦) ابن تيمية — الصغدية ج١ ص ٢٧٥ تحقيق د . محمد رشاد سالم .

مطابع حنيفة — الرياض ١٣٦٦ هـ — ١٩٧٦ م .

### ادلة الشرع عقلية :

اثبت علماء السلف ان ادلة الشرع عقلية ايضا وليست نقلية بحسب ،  
من القرآن الكريم جاء بالادلة العقلية على احسن بيان واقومه ، واستخلصوا  
منه الطرق المبينة على البراهين المنطقية التي تخاطب الانسان اينما كان  
وحيثما وجد . وكلها دل عليها القرآن الذي وصفه الله تعالى بأنه يهدي  
للتي هو اقوم :

ومن هذه الطرق دلالات الانفس والاماني التي يدعو القرآن الحكيم  
للنظر فيها والاعتبار بها والتفكر في نظمها .

اما الاولى فهي دلالة الانفس - قال الله تعالى ( قتل الانسان ما اكفره  
من اى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ) .

وقال تعالى ( وفي انفسكم اثلا تبصرون ) .

وقال عز وجل ( يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك  
مسواك فعنك في اى سورة ما شاء ربك ) وقال ( كيف تكفرون بالله وكنتم  
امواتا فاحياكم ثم يبئتم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون ) وقال سبحانه ( اولم ير  
الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه  
قال من يحيى العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة .

اما دلالة الاماني فان القرآن الكريم يحثنا على تدبر ما يحدث حولنا و  
عالمنا الذي نعيش فيه وما يطرا من تغيرات تتعاقب فيه في اوقات محددة  
وازمنة معروفة كطلوع الشمس والقمر والكواكب وغروبها ودوران الاملاك  
والنجوم والسفن الجارية في البحار والرياح ونغير احوال الهواء بالغيوم  
والمساعق والبروق وانزال الامطار فتسقي الزرع وشبت الاشجار والنواكس  
والازهار والثلج وتمتد الابحار والانهار والابار ، وما في اختلاف الليل والنهار  
والنصول - وقد جمع الله تعالى ذلك في قوله : ان في خلق السموات والارض  
واختلاف الليل والنهار والملك المنى نجوى في البحر بما ينفع الناس وما انزل



الله من السماء من ماء نوحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح والسحاب  
المسفر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون (٧٧) .

وقد جمع الله تعالى دلالتى النفوس والاماق فى قوله تعالى ( سنريهم  
آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ) وذلك اننا نعظم  
بالضرورة وجودنا احياء قادرين عالين ناطقين سامعين مبصرين مخركين بعد  
ان لم تكن شيئا وان اول وجودنا كان نطفة نطفة مستوية الاجزاء والطبيعة  
غاية الاستواء بحيث يمتنع فى عقل كل عاقل ان يكون منها بغير صانع حكيم  
ما يختلف اجناسا واتواعا واشخاصا .

اما الاجناس فكما نبه عليه قوله تعالى ( والله خلق كل دابة من ماء  
منهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على  
اربع ) .

واما الاتواع فنبه عليها بقوله سبحانه ( الم يكن نطفة من منى يمنى ثم  
كان حلقة فخلق نسوى تجعل منه الزوجين الذكر والانثى ) ومنه ( ثم سواك  
رجلا ) .

واما الاشخاص فيقوله تعالى ( قتل الانسان ما اكفره من اى شىء خلقه  
من نطفة خلقه مقدره ثم السبيل يسره ) .

بهذا هو الفكر المأمور به ، وهو اى النظر فى هذه الامور وهى طريقة  
السلف التى اتبعوها مستنديين الى كتاب الله عز وجل (٧٨) .

وقد تلى هذا المنهج موحدا بين علماء الحديث والسنة على مر  
الاعصار ، فنجد الامام عبد الحميد بن باديس رحمة الله عليه — ينبهنا فى  
العصر الحديث الى ضرورة اتباع هذا المنهج دون غيره لانه الصالح من  
الزلات فيقول ( ونحن — معشر المسلمين — قد كان منا للقرآن العظيم هجر  
كثير فى الزمان الطويل وان كنا به مؤمنين . بسط القرآن عقائد الايمان كلها

(٧٧) ابن الوزير اليماني — ايثار الحق على الخلق ص٢ — ٢٩ — ٥٠ .

(٧٨) ابن الوزير اليماني — ايثار الحق على الخلق ص٤٤ .

بلاغتها العقلية القريبة الطائفة مهجرناها وقلنا تلك أدلة سمعية لا تحصل  
اليقين وأخذنا في الطرائق الكلامية الممقدة واشكالاتها المتعددة واصطلاحاتها  
المحدثة .

ويرى الإمام بن باديس أن الاقيسة العقلية في القرآن كافية للرد على  
المخالفين ، فقد قال تعالى ( ولا يتونك بمثل الا جثناك بالحق واحسن  
تسيرا ) ٢٥ الفرقان .

وتفسر ذلك ( ولا يأتيك يا محمد هؤلاء المشركون وامثالهم بكلام  
يصفونهم ويزخرفونه ويصورون به باطلا او اعتراضا فاسدا الا جثناك بالكلام  
الحق الذي يدفع باطلهم ويدحض شبهتهم ويتقضى اعتراضهم ويكون احسن  
بيانا واكمل تفصيلا ) (٧٩) .

وفي قوله تعالى ا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا ،  
٢٥ الفرقان .

يرى في هذه الآية نصا صريحا في أن الجهاد في الدعوة الى الله تعالى  
واحتياق الحق من الدين وابطل الباطل من شبه المشبهين وضلالات الضالين  
وانكار الجاحدين هو بالقرآن العظيم ، وفيه بيان العقائد وادلتها ورد  
التبهي عنها (٨٠) .

تعقيب :

بعد دراستنا لبعض المشكلات الكلامية التي اثيرت في العالم الاسلامي  
على سعيد العقيدة والفكر ، انتهت الى الاقتناع بأن طريقة القرآن الحكيم  
تسبو ببراهينها على كافة الطرق ، وان منهج الاقتداء مع الوعى والنهم  
والتدبر يوصل الى الحق من اقصر طريق لانه الطريق المستقيم .

وعلينا هاهنا ان نقف لنستطلع بنظرة عامة معارضة ، ما كان عليه  
السلف وما طرا على المسلمين من تغييرات — واذا اكتفينا بدليل واحد وهو

(٧٩) تفسير الامام عبد الحميد بن باديس ج١ ص ٤٢١ .

(٨٠) نفس المصدر ص ٤٢٩ .

الموقف من القرآن الكريم ، فما أشد المفارقة والنباهين بين الصحابة وتابعيهم الذين آمنوا بأن القرآن كلام الله ، فخشعت له قلوبهم وخضعت جوارحهم لاحكامه ، فاستغفرتهم التدبر في آياته وتنفيذ احكامه ، وبين القسوى التي اهدرت في المناقشات والمحاورات والابتلاءات .

ان الموازنة بين الانجاهين توضح لنا الآثار التي خلفها علم الكلام بحجة استخدام النظر في الدفاع عن العقيدة الذي نشأ عن أيدي المعتزلة — والنظر في اصطلاحهم هو الفكر الذي يطلب من تلم به علما أو غلبة الظن (٨١) — وليس اليقين . فما الذي أدى اليه هذا الفكر ؟

كان الصحابة رضى الله عنهم — وهم صدور هذه الامة — يعترفون حق القرآن الكريم عليهم ، فوصفهم ابن عمر رضى الله عنهما بقوله ( كان القرآن ثقيلًا عليهم — أي يقدرونه حق قدره — ورزقوا علما به وعملا ، وإن آخر هذه الامة يخف عليهم القرآن حتى يقرأه الصبي والعجمي لا يعلمون منه شيئا ) .

ومما يكن من أمر في تفسير ظهور المشكلة وآثارها ، فانها لا شك خلفت مظاهر لا تخفى على عين قارئ التاريخ الباحث عن الحقيقة متجردا من الهوى فقد ارتفع نصيب المناقشات الجدلية على حساب الايمان ، فنقص هذا وزاد ذلك . يقول الاتصاري في كتاب ( نم الكلام ) ( وأوجبوا النظر في الكلام واضطروا اليه الذين بزعمهم ، تكفروا السلف وسموا الاتيسات تشبيها ... فلا يكاد يرى منهم رجلا ورعا ، ولا للشريعة معظما ولا للقرآن محترما ولا لحدث موثرا ، سلبوا القسوى ورقة القلب وبركة التعبد ووقار الخشوع ) ( ٨٢ ) .

وبإيجاز شديد ، تبين كيف كان الدارسي في حكمه صادقنا ومصيبا في تحليل ما حدث بالردة ، فبعد أن كان القرآن قد اطلق العرب — بل والناس جميعا — من عقل الجاهلية ، وارتقى بهم الى آفاق حضارة رائعة في مجال العقيدة والفكر والعلم والاخلاق بفضل الوحي الالهي لانه يفوق طور العقل الانساني القاصر — عانوا ليصفدوا انفسهم بالافلال .. داخل أسوار عقولهم !!

(٨١) فتاوى ابن تيمية ج٥ ص ٢٢٢ تحقيق مخلوف .

(٨٢) نفس المصدر ص ٣٣٠ — ٣٣٢ .

## الباب الخامس

### علم الكلام على مفسر الطسوق

- السلف والاشاعرة .
- محنة القرآن ونتائجها المنهجية .
- التعريف بابن كلاب .
- اثبات صفة الطو لله تعالى شرعا ومقلا .
- الامام أبو الحسن الأشعري والمنهج السلفي

### التمييز بين الأشاعرة والسلف عقيدة ومنهجيا :

- صفات الله سبحانه وتعالى .
- نظرية الكسب الأشعرية وتفسير أفعال الانسان .
- عدل الله وحكمته .
- نظرية الجوهر وتفسير الخلق والبحث .
- توافق أدلة الكتاب والسنة مع الواقع المشاهد .
- صعوبات امام النظرية في تفسير البحث .

### ظهور الحقيقة لأئمة الأشاعرة :

- تحول أئمة الأشعرية الى طريقة السلف .
- تقييم ابن تيمية لشيوخ الأشاعرة .
- طريقة السلف أعلم وأحكم .



## علم الكلام على مفرق الطرق

### السلف والاشاعة :

تبين لنا مما تقدم ان علماء الحديث والسنة وقفوا طويلا امام علم الكلام فابنوا اصحابه ، مبتعدين عن الخوض فيه ، ثم دخلوا الميدان حينما توفيت شوكة المعتزلة ، فاضطروا اضطرارا الى مجابتهم — لاسيما عند محنة القرآن — ولكن بمنهج مخالف ، فكانت طريقتهم في الدفاع عن اصول الدين اتباع منهج السلف اى مراعاة المعنى الصحيحة والالفاظ الشرعية ، والرد على من تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقا وباطلا ، ومثال ذلك ما مر بنا من طريقة الامام احمد في المحنة ، فقد دأب على الامتناع عن التلغظ بالنسب لم ترد بالشرع ، فلما حاول الزامه القول بالجسمية ، امتنع واجاب ( هو احد صيد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ) (١) .

ورأى المحدثون بعده ان طريقة الامام ابن حنبل هي كفيلة وحدها بالرد على اهل السنة من المتكلمين وغيرهم ، ومن ثم لم ينكروا جنس النظر والاستدلال فيما يتعلق باصول الدين ، ولكنهم أنكروا الاصطلاحات التي اوردتها اهل الكلام وخالفوا بها الاصول الشرعية ، ومنذ ذلك للحين ، يمكن التمييز بين نوعين من الكلام : احدهما كما يذكر السفاريني — هو العلم المشحون بالفلسفة والتأويل والالحاد والباطل ومصرف الايات القرآنية عن معانيها الظاهرة والاحبار النبوية عن حقائقها الباهرة ، والثاني : علم السلف ومذهب الاثر وما جاء في الذكر الحكيم ومسحج الخبر (٢) ويعنى ذلك الاستدلال بالآيات والاحاديث .

وكانت حجة علماء الحديث ان الشارع — صلى الله عليه وسلم — لم يترك شيئا من اصول الدين ولم يروعه الا واوضحه ، فكيف تترك آثاره ويستند الى آراء غيره ؟ ومن هذه الوجة لخص الامام احمد موقف علماء الحديث جميعا ، اذ لما سئل عن الكوابيس ( ٢٢٤٥ ) — وهو احد زعماء

(١) ابن تيمية — موافقة مسحج المنقول مع صريح المعقول ج١ ص ١٥٢

(٢) شرح عقيدة السفاريني ج١ ص ٩٤ .

المتكلمين — اجاب ( انما جاء بلاؤهم من هذه الكتب التي وضعوها تركوا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ، واقتبلوا على هذه الكتب (٣) .

كذلك اکتفى علماء السنة والحديث واتباعهم بالحديث النبوی حيث أوضح أصول الدين أفضل توضیح ، وبينها احسن بيان بحيث يغنى عن الالتجاء الى غيره مصدرا أو طريقا . يقول الخطيب البغدادي في كتابه ( شرف اصحاب الحديث ) : ( ولو ان صاحب الرأي المذموم شغل نفسه من العلوم ، وطلب سنن رسول رب العالمين ، واقتفى آثار الفقهاء والمحدثين ، لوجد ذلك ما يغنيه عما سواه ، واكتفى بالآثر عن رايه الذي رآه ، لأن الحديث يشتمل على معرفة أصول التوحيد ، وبيان ما جاء من وجوه الوعد والوعيد ، وصفات رب العالمين تعالى من مقالات الملحدين ، والاخبار عن صفات الجنة والنار ، وما أعد الله تعالى ليهنسا للمتقين والفجار ، وما خلق الله في الارضين والسموات من صنوف المعائب وعظيم الآيات ، وذكر الملائكة المقربين ، ونعت الصائين والمسبحين .

وفي الحديث تصص الانبياء ، واخبار الزهاد والاولياء ومواعظ البلغاء وكلام الفقهاء وسير ملوك العرب والعجم ، واقاصيص المتقدمين من الامم ، وشرح مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم وسراياه ، وجمل احكامه وقضاياه ، وخطبه وعظاته واعلامه ومعجزاته ، وعدة ازواجه واولاده واصهاره واصحابه ، وذكر فضائلهم ومآثرهم . وشرح اخبارهم ومناقبهم ، وبلغ اعمالهم ، وبيان انسابهم (٤) .

اما المنهج الكلاسي المعتزلي ، فكانت أبرز معالمه — فضلا عما تقدم من التزامهم بالاصول الخمسة — مخاصمة اهل الحديث والظعن في الاحاديث النبوية ، اذ تحامل المعتزلة على المحدثين ، واتخذوا من الجدل اسلحا للظعن في النصوص ، واولوا المتسلسله من آي القرآن الكريم تأويلا لم

(٤٣) الخطيب البغدادي — شرف اصحاب الحديث ص ٦ ، ٧ — ٨ .  
تحقيق د . محمد سعيد خطيب أوغلي طبع في انبساط الحياة النبوية  
— انقره ١٩٧٢ م .

يغرمهم أهل السلف عليه ، وكانت مسألة الصفات الإلهية من أهم مسائل النزاع بينهما ، حتى أصبحت علما مميذا بين الطائفتين — أو بين المثبتين والمنافين لها ، يقول الشهرستاني ( اعلم ان جماعة كبيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات ازلية من العلم والقدرة والحياة والارادة والسبع والبصر والكلام والجلال والاكرام والجود والانعالم والمعزة والمعطة . ولا يفرقون بين صفات الذات وصفات الفعل ، بل يسوقون الكلام سوقا واحدا(٥) .

ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات ، والسلف يثبتون ، سمي السلف « صفاتية » والمعتزلة « معطلة » .

وبلغت نروة الخلاف بين الاتجاهين عند محضه خلق القرآن التي عرضنا تفاصيلها في الباب السابق ثم تفجر الموقف بعدها عن اتجسأ آخر جديد ، سنعرض له فيما يلي :

### محنة خلق القرآن ونتائجها المتهجية :

كانت محنة خلق القرآن بحق — كما يرى استاذنا الدكتور ابراهيم مذكور — نقطة تحول واضحة في تاريخ الحياة الفكرية والمقاتنية في تاريخ المسلمين ، ذلك لانها اثارَت في نفوس المسلمين ما اثارَت من سخط وغضب ، وعززت النزعة السلفية لمواجهة تيار العقليين الغلاة (٦) .

ومنذ ذلك الوقت تميزت المواقف ازاء اصول الدين فكانت الغالبية العظمى من أهل الحديث والسنة في موقف المعارضة للمقول بخلق القرآن بخاصة ونفى الصفات الإلهية بعامة الذي تبناه المأمون والخليفةان من بعده وبالتالي لقانون الفعل ورد الفعل ، كان أظهر ردود الفعل على يد احد ائمة المتكلمين المتصبيين للسنة وهو عبد الله بن سعيد بن كلاب(٧) ( وقاته بعد

(٥) الشهرستاني — الملل والنحل ج١ ص٩٥ ط صبيح ١٣٤٧ هـ .

(٦) د . ابراهيم مذكور — في الفلسفة الإسلامية — منهج وتطبيق

ج٢ ص١١٢ .

(٧) كخطاف لفظا ومعنى كما في ( طبقات الشافعية لابن السبكي ) .



٥٢٤٠) ، وأصبح التابعون لآرائه ينسبون إليه باسم ( الكلابية ) .

وسار على طريقته أبو الحسن الأشعري ( ٣٢٤هـ أو ٣٣١هـ ) الذي كان منتسبا إلى المعتزلة نحو أربعين سنة ثم أعلن خروجه عليهم ونبذ عقائدهم وتبنى عقائد الإمام أحمد بن حنبل .

وينسب الأشعري إلى ابن كلاب لاعتقاده بعض عقائده — كما سنرى — ثم صارت الشهرة بعد ذلك لابن الحسن الأشعري ، وسار على نهجه كبار الأئمة المنتسبين إليه كالباقلائي ٤٠٢هـ والجويني ٤٧٨هـ والغزالي ٥٠٥هـ والشهرستاني ٥٤٨هـ والرازي ٦٠٦هـ وغيرهم .

ومنذ قيام الأشعري والأشعرية بعده بالرد على المعتزلة ومعارضتهم ، أصبح هناك تياران يعيشان جنبا إلى جنب ، كل منهما ينتهج منهجا متميزا وإن كان الاثنان يرتبطان بالسنة والجماعة تميزهما عن الفرق الخارجة من الجماعة الخوارج والشيعة والمعتزلة والقدرية والجهمية .

والمنهجان ينتسبان إلى السنة ويعلمان انهما يتمسكان بها ، ولكن المحننين يرون أن منهجهم وحده الذي يلتزم بالتباع طريقة السلف .

وكانت الضربة القاضية للمعتزلة على يد واحد كان منهم — ونعني بذلك أبا الحسن الأشعري ، وتاريخه الذي يعبر تعبيرا صادقا عن الأزمة النفسية والاضطرابات التي لاقاها بعد أن عاش سنة على الامتزال متطهرا على أبي علي وولده ابن هاشم الجبائي ٣٠٣ ، ٣٢١هـ ولكنه عندما عرف طريقة الإمام أحمد ومنهجه وعقيدة أهل السنة والجماعة التي امتحن وأبلى بسببها ، عندما عرف ذلك كان شجاعا في التصريح بنبذ منهج المعتزلة ومقائدهم ، وأخذ يؤلف كتبه للرد عليه ونقض آرائهم ، وتابعه الأئمة المنتهون إليه بعده كالباقلائي والجويني والغزالي وغيرهم .

ولم يكن طعن المنهج الاعتزالي وتأويلاته بالتفهر والتفسر كما فعل المأمون وخلفاؤه في قضية خلق القرآن ، ولكن بمناقرة الحجة بالحجة ، واستخدام المنهج العتلي سواء بطريقة أبي الحسن الأشعري واتباعه ،

أو بالمنهج الذي أصله علماء الحديث والسنة الذي درسنا فكرة منه ، على لسان الامام احمد بن حنبل ومجد العزيز المكي وغيرهما .

ولكن الصحيح أيضا أنه قلمت موجة علمية بواسطة علماء الحديث لصد موجة الاعتزال ، ولكنها مهما أخذت شكل العنف أحيانا أو الالتجاء الى أولى الامر ، فانها لم تصل الى ما وصلت اليه على يد الملبون ، الذي شأن ( أن يجعل من تعاليمهم عقيدة رسمية . واتخذ موضوع ( خلق القرآن ، شعرا لذلك . وجراه في هذا الخليفتان الثالثان المعتمسم والواثق ، وقضى المسلمون ما يقرب من نصف قرن في قلق وكربى ، وجدل متواصل ، وامتحان لبعض الائمة وقادة الراى ، لم يسلم فيه بعضهم من السجن والتصليب والقتل (٨) .

وقد أثبت استاذنا الدكتور ابراهيم مذكور في دراسته عن المحنة ان يطلها بلا منازع كان الامام احمد بن حنبل أبى ان يجارى الحكم فيما ذهبوا اليه ، او ان يجارى الحكم فيما ذهبوا اليه ، او ان يأخذ بالتقية في امر يمس العقيدة ، لأنه كان يرى انه ( اذا اجلب العالم تقية ، والجاهل بجهل ، فمضى يتبين الحق ) — ولم تسكن هذه العاصمة الا يوم أنتولى المتوكل سنة ٢٣٢ هجرية وأخذ يعالج الموقف في حذر وحكمة ، واستطاع في عام ٢٣٧ ان يامر بوقف هذا الصراع ، مهددت ثائرة ، وسكنت جماهير متحركة ، واحس انصار السلف بتأييد رسمي لهم ، الى جانب تأييد الراى العالم . ولم يلبث هؤلاء ان غلوا بدورهم في الجبود والمحافظة غلوا ربما زاد على غلو المعتزلة ، فمتطرفوا في آرائهم ، واستمسكوا بحرفية النصوص ، وانتقلنا من غلو عقلى الى غلو آخر نقلى ، وعلى رأس هؤلاء الغلاة جماعة الضاللة الذين اصبح لهم نفوذ عظيم ببغداد في آخريات القرن الثالث للهجرة حتى أصبح يهتد الامن والنظام ، وقد امتد بعض الوقت (٩) .

اضف الى ذلك ان موقف الضاللة لم يكن طارئا جديدا على مسرح الاحداث ، بل كان امتدادا لمنهج علماء الحديث والفتهاء قبلهم بزمان طويل .

(٩٨) د . مذكور — في الفلسفة الاسلامية — منهج وتطبيقه ج٢

وكان اضطهاد الملمون لمعارضيه شاملا الحنابلة وغيرهم من أممته السنة والحديث .

ولكننا نرى أن مهما كان نفوذ الحنابلة في ذلك الحين ، أنه لم يبلغ نفس النفوذ المروض بالقوة الذي بداه بها الملمون واتباعه امثال بشير الرئيسي وابن أبي ذؤاد . أضف الى ذلك أنه لم يظهر دور الحنابلة المميز في ذلك الوقت المبكر لان الفقهاء والمحدثين واتباعهم كانوا مجتمعين تحت لواء واحدة ولم تظهر الفرقة بين الحنابلة والاشاعرة بشكل مؤثر الا في عصر متأخر عندما قامت فتنة القشيري عام ٤٦٩هـ أي بعد المحنة بها يتسرب من قرنين ونصف قرن بين الحنابلة والاشاعرة .

وتخبرتنا كتب التاريخ عن حوادث عارضة حيث تنازع الفريقان واتباعهم ، مثل ما حدث بين الامام ابن خزيمة واتباعه وابن كلاب واتباعه ، وكان اثبات صفات الله تعالى هو المعروف عند أهل السنة والحديث كالبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم ومحمد بن يحيى الذهلي وغيرهم من العلماء الذين أدركهم ابن خزيمة واتباعهم في العقيدة حيث استقرت على الايمان بلئ الله تعالى لم يزل متكلمها اذا شاء ، وأنه يتكلم بالكلام الواحد مرة بعد مرة . وترتب على ذلك أن صار الناس حينذاك حزبيين ، منهم من وافق ابن خزيمة كالحساكم والسلمي والشهرستاني وابن منده ، ومنهم من وافق ابن كلاب كابي ذر الهروي وأبي بكر البيهقي (٩ب) .

ولكن سدى هذا الخلاف لم يتعد ان امر ابن خزيمة — في رواية — ولاية الامر بتلبيهم لمخالفتهم له وكانوا من اتباعه . وفي رواية اخرى — أنه هب مناقشا لآراء الكلابية ( فلم يزل يصيح بتشويهاها ، ولقن في الكتائب ونقش في الحاريب ، ان الله تعالى متكلم . . . ان شاء الله تكلم وان شاء سكت . . ) (١٠) .

وهناك حادثة ثانية كانت بمثابة فصل الخطاب في النزاع بين الاشعرية

(٩ب) ابن تيمية — مؤانعة ج ٢ ص ٦ — ٧ .

(١٠) نفس المصدر ص ٤٢ .

والحنابلة ، ولكنها لم تخرج ايضا عن خلاف بين الفريقين واسفر — كما  
يذكر ابن كثير في تاريخه — عن مقتل رجل واحد .

وتسمى هذه الحادثة بفتنة القشيري ، من حوادث عام ٤٦٩ هـ بسبب  
أن ابن القشيري قدم بغداد فجلس يتكلم في المدرسة النظامية واخذ يزم  
الحنابلة وينسبهم الى التجسيم ، وكتب الى نظام الملك يشكو الله الحنابلة  
ويساله المعونة عليه ، كما ارسل بعض مؤيديه الى الشريف ابن جعفر شيخ  
الحنابلة وهو في مسجده للاعتداء عليه فدافع عنه أتباعه ، واقتل الناس  
بسبب ذلك وقتل رجل خياط وجرح آخرون ثم انتهت الفتنة بالمصالحة بين  
شيوخ الطرفين ، واستدعى الخليفة أبو جعفر شيخ الحنابلة الى دار  
الخلافة للسلام عليه والتبرك بدمائه .

ولكن يفهم من سياق الحادثة أن البسادي هم أتباع الأشعرية  
لا الحنابلة ، كما يستخلص منها أيضا أن الأشعرية كانوا أقوى شوكة  
وانهم استندوا الى قوة الوزير في إثارة الناس على الحنابلة . وجاء هذا  
على لسان شيخ الحنابلة الى الشيخ أبي اسحق ( . . الا انك لما كنت بقرا  
لم تظهر لنا ما في نفسك ، فلما جاء الاعوان والسلطان . . ونظام الملك —  
اي الوزير — وشبعت ، ابديت ما كان مختفيا في نفسك ) (١١) .

وتضطر للتساؤل ، أين مثل هذه الحوادث بحجبتها ونتائجها مع  
ضراوة الاساليب التي اتخذها المأمون والجليفتان من بعده ١٢ .

ويغير استطراد في سرد ألوان الاضطهاد والتمذيب مما تحثده كتب  
التاريخ من المحنة — حتى أصبح اللفظ مصطلحا معبرا عن محنة خلق  
القرآن وحدها !! — سنكتفي بالواقعة المشهورة المذهلة التي تلخص في  
اختبار اسرى المسلمين بقضية خلق القرآن ونفس رؤية الله عز وجل في  
الجنة ، فان أجابوا بالإيجاب فك أسرهم وان لم يفعلوا أعيدوا الى الأعداء

---

(١١) ابن كثير — البداية والنهاية ج١٢ ص ١١٥ .

مرة أخرى (١٢) .

قال المسعودى يصف هذه الملتصاة ( وحضر هذا القداء رجل يكنى  
أبا رملة من قبل أحمد بن أبى ذؤاد ناضى الغضاة . يمتحن الاسارى وقت  
المفاداة فمن ثال منهم بخلق التلاوة وعلى الرؤية ونهى الرؤية فودى به ،  
وأحسن اليه . ومن أبى ترك بلرض الروم . فاختار جماعة من الاسارى  
الرجوع الى ارض النصرانية على القول بذلك . وأبى أن يسلم الانتقياد الى  
ذلك ، فنالته محن ومهانة الى أن تخلص (١٣) .

فان ذلك المنهج لم يكن قاصرا على الخنابلة وحدهم اما عن الفسكرة  
الشائعة من الغلو في التمسك بالنصوص ، وسنحاول توضيحه في الصفحات  
القادمة ، عندما ندرس آراء ابن كلاب والاشعري في ضوء مؤلفات لعلماء  
الحديث والسنة تتضمن المنهج العقلى حيث برهنوا به على أن طريقة  
المتكلمين لم تخل من ثغرات كبيرة لا يمكن سدها الا بالنسؤول الصحيح  
لنصوص التزويل .

وبذلك فان وصلهم به ( التصيين ) لا ينطبق بالمعنى الحرفى عليهم ؛  
وإذا كانت طريقتهم مبنية على تفصيل أدلة الشرع فانهم ما فعلوا ذلك  
الا بناء على فهمهم لتفسيرها الصحيح ، ومعرفتهم لاساليب اللغة واسرارها  
واسباب النزول ، واستدلالات الاوائل بها ، ولذلك مضى علماء السنة  
يستدلون بآيات القرآن والاحاديث بناء على ادراكهم العميق لها ، واملاكهم  
لنواصى منهج البحث العلمى كاملا في قضايا أمور الدين واصوله مما جعلهم  
مرساتنا في هذا الميدان لا يحاربهم فيه احد فلم يقتصروا على تظاهر النصوص  
كالظاهرة مثلا .

---

(١٢) ومع هذا يؤسفنا أن نجد باحثا جادا كالدكتور محمد عمارة في  
كتاب ( تيارات في الفكر الإسلامى ) يغض الطرف عن هذه الحقيقة  
ويقصر وصف الحقنة على ما حدث لبعض المعتزلة نتيجة خروجهم  
(١٣) وقد عدد الاسرى حينذاك بلرمة آلاف وثلاثمائة واثنين وستين  
من ذكر وانثى وقيل اربعة آلاف وسبعة وأربعين ( المسعودى —  
التنبية والاشراف ط القاهرة ١٣٥٧ هـ ص ١٦١ — ١٦٢ .

وللتعريف بهم وبمنهجهم في البحث العلمي ، نورد طرفا من وصف ائمة  
الحرمين أبو الحسن الكرجي ( ٥٢٢ ) لهم ووصف قدراتهم وعلومهم  
واسباب تفضيلهم على غيرهم (١٤) ، قال :

لانهم لجمع لشرائط ( القدوة والامامة من غيرهم وأكثر لتحصيل اسبابها  
وادواتها — مع جودة الحفظ والبصرة ، والفظنة والمعرفة بالكتب  
والسنة ، والاجماع والسند والرجال والاحوال ، ولغات العرب ومواضعها  
والتاريخ والناسخ والمنسوخ ، والمنقول والمعقول ، والصحيح والمدخول ،  
في الصدق والصلابة ، وظهور الامانة والديانة من سواهم ) . واذا نرض  
ولم يستكمل احدهم هذه الشرائط جميعا جبر تقصيره قرب عصره من  
الصحابة والتابعين لهم باحسان ، بما بنوا هؤلاء بهذا المعنى من سواهم فان  
غيرهم من الائمة — وان كتوا في منصب الامامة — لكن اخلوا ببعض  
ما اشترت اليه مجلا من شرائطها (١٥) .

اسفرت المحنة اذن عن التمييز بين منهجين معارضين للمعتزلة :

احدهما : منهج علماء الحديث المتصل بسلسلة طويلة من الائمة .

---

(١٤) ويتصد بهم ائمة اهل السنة في انحاء العالم الاسلامي كالشافعي

ومالك والثوري والبخاري وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك

والاوزاعي والليث بن سعد واسحق بن راهويه وغيرهم .

(١٥) ابن تيمية — نقض المنطق ص ١٤٢ — ١٤٤ نقلنا من شيخ

الحرمين أبو الحسن الكرجي ( ٥٢٢ هـ ) بكتابه ( في الاصول من

الائمة الفحول ) .

ويرى الكرجي انه يلزم كل من يتبع احدا من الائمة في الفروع

ان يتبعه في الاصول ايضا ، فانتهال مذهبه — مع مخالفته له في

العقيدة — مستفكر شرعا وطبعيا . فمن قال : انا شافعي الشرح .

اشعري الاعتقاد ، قلنا له : هذا من الاضداد ، لا بل من

الارتداد !! اذ لم يكن الشافعي اشعري الاعتقاد . ومن قال :

انا حنبلي في الفروع معتزلي في الاصول ، قلنا : قد ضللت اذا من

سسوء السبيل فيما تزعمه ، اذ لم يكن احد معتزلي الدين

والاجتهاد !! .

بإدانة بعصر الصحابة والتابعين ، ولكن أصبح الامام ابن حنبل علما له واشتهر باسمه بسبب ملاقاه وحده في المحنة من عذاب وابتلاء ، به ينما كان موقفه في الحقيقة معبرا عن طريقة العلماء من معاصريه والسابقين عليه السائرين على طريق السنة .

الثاني : موقف جديد معرض للمعتزلة أيضا ، ولكن استخدم طريقة علماء الكلام مع محاولة التوفيق — في رأيهم — بين المنقول والمعقول وقد بدأه ابو الحسن الاشعري ، موافقا مذهب السنة والحديث في أصولهم العامة كانت صفات الله تعالى خلافا للنفاة ، وإثبات القدر وأن أعمال الناس وغيرهم بمشيئة الله وقدرته ، خلافا لنفاة القدر ، وإثباته لفضائل الصحابة لاسيما الخلفاء الاربعة ، وموافقة لاهل السنة في عقباتهم في الشفاعة والصراط والميزان . كما قام بالرد على المعتزلة والشيعة والجهمية بيننا تناقضهم (١٦) .

ولما كان الاشعري بعد رجوعه عن الاعتزال قد سلك طريقه ابن كلاب ، ففنا سنعرض أولا لعقيدة ابن كلاب ، قبل الحديث عن الشيخ الاشعري لمعرفة الصلة بينهما ، لاسيما في موقفهما من موضوع كلام الله تعالى .

#### التعريف بابن كلاب :

تروى كتب الفرق أن ابا الحسن الاشعري لما رجع عن الاعتزال سلك طريقة ابي محمد بن كلاب ، الذي قام مدافعا عن عقيدة اهل السنة في مواجهة المعتزلة بيننا فساد قولهم بنفى علو الله تعالى ، ونفى صفاته وصنف كتبا كثيرة في اصل التوحيد والصفات ، وبين ادلة كثيرة عقلية على فساد قول الجهمية ، وبين فيها أن علو الله على خلقه ، ومباينته لهم من

---

(١٦) ابن تيمية : مجموع فتاوى ج١ ص ١٣ ط الرياض ١٣٨١ هـ وفي موضع آخر يدافع عن الاشعري بحرارة مقررا أنه بين من تناقض اقوال المعتزلة ونسبها ما لم يبينه غيره حتى جعلهم في تمسح السميعة !! ( شرح حديث النزول ص ١٧٢ ) .

المعلوم بالفطرة والادلة العقلية القياسية ، كما دل على ذلك الكسب والسنة ، اذ كان الجهمية النفاة المعطلة للصفات في عصره يقولون : ان الله لا يرى ولا له علم ولا قدرة وأنه ليس فوق العرش رب . ولا على السموات اله ، وان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يصرح به الى ربه . وقد اتصفه ابن تيمية فآقر بما كان له من فضل وعلم ودين ودافع عنه ازاء من يجهونه بأنه ابتدع ما ابتدعه ليطهر دين النصارى في المسلمين وراى انه تنصب عليه (١٧) ، وانما افترى هذا عليه المعتزلة والجهمية الذين رد عليهم لانهم يزعمون ان من اثبت الصفات فقد قال بقول النصارى ، بينما كلن ابن كلاب اقرب الى السنة من الجهمية والمعتزلة (١٨) .

ولكن وجه الخطأ في تلويل ابن كلاب ومن وافقه ظنه انه لا يمكن رد قول الجهمية في القرآن الا اذا قيل ان الله تعالى لم يتكلم بمشيئته وقدرته ، ولا كلم موسى حين اتاه ، ولا قال للملائكة اسجدوا لادم بعد ان خلقه . ولا يقضب على احد بعد ان يكره به ، ولا يرضى عنه بعد ان يطيمه .

(١٧) شرح حديث النزول ص ١٧١ .

(١٨) وبذلك طعن ابن تيمية في الرواية التي يحكيها خصوم ابن كلاب . وتتلخص في الادعاء بأنه كان نصرانيا فأسلم وبارق قومه . وكنت له أخت أكبر منه عائلة بدين النصرانية ، لها عندهم قدر عظيم فهجرته حين أسلم وأبعدته من المحلة ، لأنها كانت رابعة للنصارى مقبولة القول عندهم ، يصدرون عن رأيها فتحيل عليها كل احد من المسلمين والنصارى من الجيران ، في أن تمكنه من الدخول اليها فلم تعمل فاحتال حتى تسلق عليها من بعض بيوت الجيران . فلما رآه صاحت فقال لها : يا سيدتى اسمى منى كلمة واحدة . ثم انطى ما بدا لك . فقالت : هات . فقال : اعلمى انى وجدت هذا الاسلام ينشر ويزداد كل يوم ظهورا ، والنصرانية تضحل آثارها ، فوضعت نمولا وعملت مسائل — فكرها لها — اودعتها بمعنى النصرانية ، واسسها في الاسلام ، وشوشعت عليهم اصولهم . فلما سمعت ذلك منه طابت نفسها .

عبد ( عيساس بن منصور السكسكى الحنبلى ( متوفى ٥٦٨٢ هـ ) — البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص ١٩ تحقيق خليل أحمد إبراهيم الحاج ، دار التراث العربى ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م ) .



ولا يحبه بعد أن يتقرب إليه بالتواضع ، ولا يتكلم بكلام بعد كلام فتكون  
كلماته لا نهاية لها .

وكانت هذه العقيدة التي اتخذها ابن كلاب واتباعه بمثابة رد فعل  
لما زعمه الجهمية بأن القرآن مخلوق ، فظنوا أن دفع هذا القول والرد  
عليه يقتضى الاعتقاد بأن كلام الله تعالى معنى واحد قائم بذاته ، وبذلك  
خالقوا سلف الأمة وجهورها الغائلين بأن كلام الله بعضه أفضل من  
بعض ، كما بين ذلك الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين من غير  
خلاف يعرف في ذلك عنهم (١٩) .

لذلك أنكر بعض أصحاب مالك والشافعي على ابن كلاب هذا الأصل  
وأمر أحمد بن حنبل وغيره بهجر الكلابية ، حتى هجر الحارث المحاسبى  
لأنه كان صاحب ابن كلاب ، وكان قد وافقه على هذا الأصل ، ثم روى  
عنه أنه رجع عن ذلك ، وكان الإمام أحمد يحذر من الكلابية (٢٠) .

والصحيح في رأى ابن تيمية أن القرآن الكريم — وأن كان كله كلام  
الله تعالى وكذلك التوراة والإنجيل والاحاديث القدسية ( أو الإلهية ) التي  
يحكيها الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى كقوله  
( يا عبادى ، اتى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا )  
— وكقوله ( من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ) وأمثال ذلك ، فهى وان  
اشتركت فى كونها كلام إلا أن بعضها أفضل من بعض ، وشرح ذلك يحتاج  
الى بيان أن الكلام له نسبتان :

نسبة المتكلم به ، ونسبة الى المتكلم فيه . فهو يتفاضل باعتبار  
النسبتين وباعتبار نفسه أيضا ، فان ( قل هو الله احد ) و ( تبت يدا ابي  
لهب ) كلاهما كلام الله تعالى ، وهما مشتركان من هذه الجهة ، لكنهما  
يتفاضلان من جهة المتكلم فيه ، المخبر عنه ، فالآيات الأولى كلام الله وخبره  
الذى يخبر به عن نفسه ، وصفته التي يصف بها نفسه ، وكلامه الذى

(١٩) ابن تيمية — جواب اهل العلم والايان ص ٥٢ — ٥٣ .

(٢٠) نفس المصدر ص ٥٥ .

يتكلم به عن نفسه تعالى . والآيات الثانية كلام الله الذي يتكلم به عن بعض خلقه ، ويخبر به ويصف به حاله ، وهما في هذه الجهة متناقضان بحسب تفاصيل المعنى المقصود بالكلامين (٢١) .

ولكن ، لا ينكر ابن تيمية فضل ابن كلاب عندما قام في وجه المعتزلة بثبوت صفات الله تعالى ، ومنها صفة العلو ، وهي بإيجاز تتلخص فيما يلي :

### **الاثبات صفة العلو لله تعالى شرعا وعقلا :**

نقد ابن كلاب بشدة رأي المعتزلة القائل بأن الله سبحانه وتعالى لا هو في العالم ولا خارج منه لأن هذا النص يتساوى مع وصف العدم . وعلى هذا فإن دعواهم هي النفي الخالص بدعوى التوحيد الخالص ، مع أنهم مقلدون قياسييون وعرض آرائهم على العقل تكثف أخطأهم . وفيما يلي رأي ابن كلاب بإيجاز :

يستند ابن كلاب في إيراد حجته لاثبات استواء الله على العرش إلى حجج عقلية وشرعية ، فمن الحجج العقلية ، أن المعتزلة إذا وصفوا الله عز وجل بأنه ليس فوق ولا تحت ، فأنهم بذلك يصفون العدم . وهم يعتقدون أن الله في الإمكانة كلها ، فيتساءل ابن كلاب متعجبا ( وان كنتم تذهبون إلى خلوه من استوائه عليها كما استوى على العرش ، فنحن لا نحتمس أن نقول استوى الله على العرش ونحتمس أن نقول استوى على الأرض واستوى على الجدار ، وفي صدر البيت ) .

وأيضا يلزمهم بالفوتية ، لأنهم يعنون بها القدرة والعزة ، وليس هذا إجابة عن سؤاله لهم ، لأنهم من ناحية أخرى يصفونه بأنه ليس هو فوق وليس هو تحت — ويلزمهم بالتناقض — لأن ما كان لا تحت ولا فوق فعدم ، ويتناقضون أيضا بقولهم هو تحت وهو فوق ، تساوا بين الجهتين ، وهذا تناقض .

أما التفسير فهو في جانب اثبات صفة العلو لله تعالى ، فإذا تعمقنا في غور الفطرة الانسانية ، لوجدنا من المفروض فيها معرفة ربها في السماء ، ومعارف الآسميين هنا لا شيء أبين منه ولا أوكد ، فلا تسأل احدا من الناس عرييسا ولا عجميسا ولا مؤمنا ولا وكافرا — أين ربك ؟ لأجاب بأنه في السماء ، ولا رأينا احدا اذا دعا الا رافعا يديه الى السماء ، فكيف يفضل الناس جميعا ويهتدى بهم وأتباعه ، ويدعون أنهم أفضل الناس كلهم ؟ !!

ويضيف ابن كلاب الى ذلك الدليل الشرعي في الحديث النبوي عن سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم جارية ( أين الله ) ؟ فأجابت ( في السماء ) ، فأجاز اجابتها الرسول ، وأنه صواب ، ومن أجله شهد لها بالايمن (٢٢) .

وبعد فإن وقوف ابن كلاب في وجه المعتزلة واثباته للصفات الالهية كان بمثابة تهديد لآراء أبي الحسن الأشعري بعده ، ولهذا عدة مساهب ( الفهرست ) من الكلائية (٢٣) .

ويرى الأشاعرة بعامة — حينما يفكر ابن عساكر المتكلم بلسانهم — في ظهور آراء أمامهم أبي الحسن الأشعري حسما للمشاكل الكلائية المثارة حينذاك على مسرح الفكر الاسلامي من الوجهين المنهجي والموضوعي ، نقد استطاع منهجيا استخدام نفس أسلوب المعتزلة لدحض آرائهم مستخدما المنهج الكلامي الجدلي ، كما استطاع موضوعيا ايجاد الحلول للمسائل المتنازع عليها بين طائفتي أهل الحديث والسنة والمعتزلة ، واهبها الصفات الالهية والقدر ورؤية الله عز وجل في الآخرة . يقول حمودة غراب ( وعلى يديه وحده امت هزيمة المعتزلة بعد ان نازلهم بنفس سلاحهم وناقشهم

---

(٢٢) ابن تيمية — مجموع فتاوى جده ص ٢١٨ — ٢٢٠ . ط السمرودية

(٢٣) ابن النديم : الفهرست ص ١٨١ ط بلوجل ليك ١٨٧١م .

بأسلوب يعتد على العقل والمنطق (٢٤) .

ويقرر ابن عساكر أن الأشعري لم يكن أول من تكلم بللسان أهل السنة ، ولكنه جرى على سنة غيره ، مناصرا المذهب فزاد حجة وبيانا ( ولم يبتدع مقالة اخترعها ولا مذهبا انفرد به .. وليس له في المذاهب أكثر من بسطه وشرحه وتأليفه في نصرته (٢٥) .

وسنعرض فيما يلي لأهم القضايا الكلامية من وجهة نظر الإمام الأشعري ، ثم نتبعها بأراء شيخ الإسلام ابن تيمية باعتباره ممثلا للمذهب السلفي ومدانها عنه .

### الإمام أبو الحسن الأشعري والتهج السلفي :

هو أبو الحسن علي بن اسماعيل أبي بشر الأشعري ، من أهل البصرة ، وكان معتزلي النشأة والعقيدة ، ثم رجع عن التسول بأرائهم . وأعلن في المسجد الجامع بالبصرة في يوم الجمعة منانيا بأعلى صوته ( من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا أعرفه نفسي .. أنا فلان بن فلان .. كنت أقول بخلق القرآن ، وأن الله لا يرى بالإبصار ، وأن أعمال الشر أنا أصلها ، وأنا نائب مخلص ) (٢٦) .

ولن نخوض في الدراسة التفصيلية لأراء الأشعري وأئمة المذهب

---

(٢٤) د . حمود غراب : أبو الحسن الأشعري ص ٥٩ من مطبوعات

مجمع البحوث الإسلامية ١٣٩٣ هـ — ١٣٧٣ م .

(٢٥) ابن عساكر — تبين كذب المفتري على الإمام أبي الحسن

الأشعري ص ١١٨ .

(٢٦) ابن النديم — الفهرست ص ١٨١ ليبسك ١٨٧١م تحقيق ملوجل

وكان الأشعري شديد المعارضة للمعتزلة بعد خروجه عن

صفونهم ومن مظاهر ذلك أنه كتب مدخلا على فكر النظام — مروى

البغدادي في كتابه ( الفرق بين الفرق ) ذلك بقوله ( ولشبخنا أبي

الحسن الأشعري رحمه الله في تكفير النظام ثلاثة كتب ) ص ١٣٣

بتحقيق محمد مهدي الدين عبد الحميد ط مكتبة محمد علي صبيح

بالأزهر .

بعده ، فان المؤلفات العديدة قديما وحديثا قد كفتنا مؤونة ذلك ، ولكننا سنسفل أنفسنا ببيان اهم الموضوعات التي كانت مثار مناقشة بين الاتجاهين البارزين في دائرة علم الكلام عبر قرون طويلة ممتدة حتى عصرنا الحاضر ، وهو السبيل لتوضيح المنهج عند كل منهما — ونعنى بذلك الاتجاهين :

المذهب الاشعري بألمة ابي الحسن الاشعري ، والسلفي بألمة شيخ الاسلام ابن تيمية ، وبالرغم من انها ليسا بمتصامرين ، الا انها استاثرا بجذب علماء المسلمين وعامةهم منهجيا ومقائديا ، ولكن الفرق بينهما ان الاول كما قلنا نشأ في بيئة الفكر الاعتزالي ثم خرج عليه متمسلا بالتأويل في اغلب آرائه — ثم روى انه رجع في نهاية حياته الى اعتناق مذهب الامام أحمد بن حنبل — ولكن الثاني ، اي ابن تيمية ، وان عاش في العصور المتأخرة — خلال القرن السابع — الثامن الهجري ( مولده ٦٦١ هـ ووفاته ٧٢٨ هـ ) ، الا انه استمسك بمنهج الاوائل منذ الصحابة والتابعين — فضلا عن أدلة الكتاب والسنة — مدافعا عن الاسلام بعامة وأصوله بخاصة بأسلوب الحجاج العتلي ، مؤكدا اتفاق الأدلة العقلية مع الأدلة الشرعية ، وظهر اثره الايجابي في كثير من رجال الفكر والدموة في العصر الحديث كمحمد بن عبد الوهاب والامغانى ومحمد عبده وابن باديس ومحمد اقبال وغيرهم .

اما منهج الاشعري ، فقد كان نتاجا للنزاع العميق الذي تفجر بين المعتزلة وعلماء الحديث والسنة في عصره ، وبدا محولاته الجبلية الكلامية بعد انفصاله من صفوف المعتزلة ، وكان يظن بحكم ثقافته ونشأته وتكوينه بانفراق طريقي العقل والنقل ، وان دوره يقتضى الجمع بينهما ، وكان حريصا على الارتباط بأهل السنة والحديث في شخص امامهم أحمد بن حنبل ولذلك ذبل مقالهم في كتابه ( مقالات الاسلاميين ) بقوله ( وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول ، واليه نذهب ، وما توفيقنا الا بالله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، وبه نستعين ، وعليه نتوكل ، واليه المصير ) ( ٢٧ ) .

وظل المذهب الأشعري ينتقل من طور إلى آخر بواسطة شيوخ المدرسة ، كالباقلي والجويني والشهرستاني والغزالي والاهدي والرازي : وما زال يلقي قبولا وتأييدا لدى الغالبية العظمى من المسلمين ، فليسنا بآراء قضايا تاريخية انقطعت صلتنا بها ، بل ما زالت تلقي اهتماما في دوائر الفكر الاسلامي المعاصر ايضا . ويقابلها الاتجاه السلفي المنصل بابن تيمية .

ويقول الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق :

( اما النهضة الحديثة لعلم الكلام تقوم على نوع من التماس بين مذهب الأشعرية ومذهب ابن تيمية .

وانا لنشهد تسابقا في نشر كتب الأشعرية وكتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، ويسمى انصار هذا المذهب الاخير انفسهم بالسلفية ، ولعل الغلبة في بلاد الاسلام لا تزال الى اليوم لمذاهب الاشاعرة (٢٨) .

ومع تقديرنا البالغ لعلمائنا الذين بذلوا الجهد الكبير وافنوا اعمارهم في خدمة الاسلام عقيدة وشريعة ، ورغبنا في التوحيد والتآلف بين الصوف ، نرى ان اسهامنا في توضيح مذهب اهل السنة والحديث — وابن تيمية واحد من ابرزهم — يعبر عن اقتناع بتفضيل منهج السلف لاتصاله الوثيق بالقرآن والكشف عن الطرق العقلية بها ، وهما لا شك بلقيان ابدا . وينبغي ان يكونا دائما جامعين للمسلمين .

ولعل الدور الذي قام به شيخ الاسلام ابن تيمية يوضح اكثر من الامام الأشعري التقاء المقبول ، بل التحامها ، وذلك بسبب بينته الثقافية وتكوينه العلمي ومواهبه الذهنية والقضايا المثارة في عصره . فقد عاش في زمن انقسمت فيه الفسوق الاسلامية انقساما كبيرا وتضخمت المشكلات

---

(٢٨) الشيخ مصطفى عبد الرازق — تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٢٩٥ ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٣٦٣ هـ — ١٩٤٤ م .

الكلامية والفلسفية ، وتوقفت الاجتهادات الفقهية فشاغ التقليد والتعصب للمذهبية الضيقة ، كذلك عانى المسلمون الاميرين بسبب آثار حروب طاحنة متوالية بسبب الحروب الصليبية وغزوات القنار ، فقتله الشيخ السلفى الى صلة العقيدة بالواقع الثقافي والاجتماعى والسياسى ، بل أرجع هذه الحروب الى تراخى العلاقة بين المسلمين وعقيدتهم ، وبسبب تفرقهم وتنازعهم .

وكان نفوذ الاشعرية هو السائد آنذاك ، فثاروا مع ابن تيمية عدة مناقشات تتعلق بأصول الدين ، واجتاز بسببها المحن ثلو المحن ، وكانت دوافعه تنبيه المسلمين الى منهج السلف ، بعد أن قام بدراسة نتاج شيوخ الاشاعرة ، وماله أن يجد اختلاط الكلام بالفلسفة اليونانية ، واستخدام الحدود والاقبيسة المنطقية الارسططالية ، فوقف ابن تيمية ليدافع بشسدة عن قضية موافقة الشرع للعقل ، ولم يدع لنفسه تجديدا — مع أنه كذلك — وعكف على قراءة واستيعاب مئات المؤلفات لعلماء الحديث والسنة قبله ، وأخذ يدعم منهجهم ويشرحه لمعاصريه ، مستخدما اصطلاحات المتكلمين والفلاسفة ايضا ، معالجا لكافة القضايا المثارة ، فأها بعسق للمنهج السلفى ومدافعا عنه بكافة الاساليب المتاحة ، فضلا عن ابرازه لأحد سمات الاسلام البارزة بشموله وسعة دائرته لامور الدين والدنيا ، ولا بأس هنا من الإشارة بصفة عاجلة لاهم القواعد التى استند اليها ، قبل أن ننتقل لعرض منهجه بالتفصيل ، وهى :

أولا — أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول صلى الله عليه وسلم .

ثانيا — أصحاب القرون الاولى هم الافضل مستندا الى قول الله تعالى ( والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ) التوبة . ١٠٠ ، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ( خير القرون الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ) ، وتفسر ذلك أنه رضى عن السابقين مطلقا ورضى عن اتبعهم باحسان ، وذلك متناول لكل من اتبعهم الى يوم القيامة (٢٩) .

ثالثا — ان الاولى استخدام طرق القرآن في الحججاج والجسد .  
والتعبير عن حقائق الايمان بكلمات القرآن افضل ، سيما انه اراد اساليب  
الرسول في مناقشة الامم الذين بعثوا اليهم(٣٠) ، والامثلة كثيرة : منها ان  
الله تعالى قد اخبر عن قوم نوح و ابراهيم ومجادلتهم للكافرين ( قالوا يا نوح  
قد جادلنا ماكثر جدالنا ) هود ٣٢ وعن قوم ابراهيم ( وحاجة قومه —  
الى قوله — وتلك حججنا آتيناها ابراهيم على قومه ) الانعام ٨٠ كما نصت  
محااجة ابراهيم عليه السلام للثمروز . وايضا فان الدارس للقرآن المتدبر  
لاياته يلتقى مع مناظرات متعددة للكفار والاحتجاج عليهم بالادلة العقلية  
الكافية الشافية ، وان الله تعالى امر بالجسد بالتي هي احسن فقل  
( ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم )  
العنكبوت ٤٦ وقال سبحانه ( وجادلهم بالتي هي احسن ) النحل ١٢٥ .

رابعا — ان آيات الله السمية والعقلية والعيانية كلها متوافقة .  
فلا تعارض اذن بين ادلة الشرع وادلة العقل(٣١) .

وربما كان اكثر ما اثار شيخ الاسلام ان تسمية هو اعتبار المنهج الذي  
اختلفت فيه الاثمايرة لانفسهم افضل من منهج السلف ، فاعتبروا  
طريقة السلف اسلم وطريقتهم هم اعلم واحكم ، ولا شك ان مثل هذا  
الشعار يؤدي الى تفضيل الخلف على السلف في العلم والبيان والتحقيق  
والعرفان ، ويصف السلف بالنقص في ذلك والتقصير فيه ، او الخلف  
والجهل ، ويؤدي الى الزعم ايضا بان ( اهل القرون المنضولة في الشريعة  
اعلم وانضل من اهل القرون الفاضلة ) (٣٢) .

لذلك بذل ابن تيمية المحاولات تلو الاخرى في كتبه ومناقشاته لاثبات  
ان السلف كانوا اهل نظر ودراية الى جانب كونهم اهل نقل ورواية .  
وانهم آثروا عدم تضييع جهودهم واوقاتهم في محاولات عقبية ، اذ راوا ان  
كتساب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، واتماموا البناء

(٣٠) نفس المصدر ص ١٥٧ .

(٣١) ن . م . ص ٢٠٣ .

(٣٢) ابن تيمية — نقض المنطق ص ١٢٨ .



كاملا في العقيدة والشريعة والعبادات والنظم والاخلاق جميعا ، فاذا ارادت الامة ان تأخذ بزمام امورها من جديد بين الامم ، فعليها باتباع طريقتهم ، وهذا معنى قول عبد الله بن مسعود ( من كان منكم مستقفا فليستن بين تد مات ، فمن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : كانوا ابر هذه الامة قلوبا ، واعمقها علما ، واقلها تكلفا ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه واقامة دينه ، فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بهديهم ، فانهم كانوا على الهدى المستقيم ) وبمضى الشيخ في شرح ذلك فيصنف الصحابة بالمقارنة بغيرهم بانهم كانوا اقل الناس تكلفا ، يصدر عن احدهم الكلية والكلمتان من الحكمة او من المعارف ، ما يهدى الله بها امة : وهذا من منن الله على هذه الامة ، ونجد غيرهم يحشسون الاوراق من التكاليف الفطحات (٣٣) .

ونرى ابن تيمية محقا في نظريته . واذا كان المجال هنسا غير مناسب للكشف عن درايته العميقة بامول التفسير التاريخي ، او ما يسمى بفلسفة التاريخ ، الا انه كثيرا ما كان يعالج في مؤلفاته اسباب هزائم المسلمين وطبع اعدائهم فيهم ويمثلها بسبب التفرق والاختلاف ، وقد اصحاب في تفسيره اذ شغلوا انفسهم بالبحث في حقائق توثيقية مصدرها الوحي ، فانصرفوا عن العمل والتنفيذ ، وكان يوسعهم المضي قدما في مجالات العلوم والمعارف النافعة ، وكان لعلمائهم جهود لا تفكر في هذه الميادين كما اسفرت عنه الدراسات الحديثة المصنفة .

والان ، نتساءل : هل وفق الاشاعرة في التمييز من ائمة السلف عقيدة ومنهاج (٣٤) .

(٣٣) نفس المصدر ص ١١٣ — ١١٤ .

(٣٤) سبقنا الى طرق هذا البحث استاذنا الدكتور محمد علي ابو ريان بكتابه ( تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام ) ، وانتهى الى ان اليون شاسع بين موقف السلف ومذهب الاشاعرة من حيث انه لم يثبت ان السلف قد استخدموا الكلام في شرح العقيدة ، او مالوا الى التأويل في تفسيرها ص ٢٢٣ .

مع العلم بان السلف يرون ان هنسك نوعين من الكلام : مذموم وممدوح ، وقد نقدوا الاول واستخدموا الثاني كما بينا .

تقتضى الاجابة دراسات بتشعبه يضيق عنها نطاق هذا الكتاب مما اضطرنا الى اختيار بعض القضايا التي دار حولها النقاش لكي نصرف بالقرنة مدى التمايز بين المنهجين ، وهي كما يلي :

### اولا - صفات الله سبحانه وتعالى :

نرى الاشاعرة بعامة بين صفات الذات وصفات الانعزال الالهية قال الامدى ( مذهب اهل الحق : ان الواجب بذاته يريد بارادة ، عالم بعلم : قادر بقدره ، حي بحياة ، سميع بسمع ، بصير ببصر ، متكلم بكلام ، وهذه كلها معان وجودية ازلية زائدة على الذات ) (٣٥) .

وقد تعرض هذا الموقف للنقد بواسطة شيخ الاسلام ابن تيمية لانهم اقتصروا على هذه الصفات وحدها ، مؤكدا ان الكتاب تضمن الاسماء والصفات التامة الكاملة لله سبحانه وتعالى ، مثل قوله سبحانه ( والهكم اله واحد ) ، وقوله عز وجل ( رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء ولينذر يوم النفاق يوم هم يبرزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ) وقال تعالى ( الله لا اله الا هو الحي القيوم ) وقوله ( وعنت الوجوه للحى القيوم ) .

ومما يدل على نفاة الشيخ في النقصد انه مع اقراره بالمعنى الصحيح لمنتهى مرید ومتكلم الا انه باحصاء الايات القرآنية يتبين ان هذين الاسمين لم يردوا في القرآن الكريم ولا في الاسماء الحسنى المعروفة ، ولكن معناها حق .

ويقرر ابن تيمية ان صفات الله عز وجل ثابتة بالشرع والعقل ، ويعجب من موقف الاشاعرة وغيرهم من المسلمات الذين اثبتوا الصفات السبع لانها عندهم قد دل عليها العقل ، ويرى ان وجه القصور في هذا النهج يرجع الى انهم لم يفتحوا الى ان هناك من الاسماء والصفات المقدسة

---

(٣٥) سيف الدين الامدى ( ٥٥١ - ٦٢١ هـ ) - غاية المراد في علم الكلام

تحقيق د . حسن عبد اللطيف ص ٢٨ المجلس الاعلى للشئون

الاسلامية بالقاهرة ١٢٩١ هـ - ١٩٧١ م .

ما هو ثابت بالشرع — ولكن يلزم من عدم الدليل المعين عدم الدليل  
فلا يلزم نفس ما سوى هذه الصفات اذ ان السمع قد اثبت صفات اخرى .  
واستطرد بمثبات الاسماء والصفات التي تدل على الرحمة والمحبة وغيرها ،  
ثم ميز بين نوعي الفعل : المتعدي واللازم ، واتخذ من آيات الله تعالى  
ادلة على الجمع بين صفات الانمصال بمثل قوله سبحانه ( هو الذي خلق  
السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ) ، واخذ  
في تدبر الآيات الاخرى واحصائها بمثبات ان هذا الاصل ورد في القرآن في  
أكثر من مائة موضع (٣٦) .

كذلك لا يرى سببا يدعو الى انكار صفات الافعال مستندا الى دليل  
عقلى مقتضاه ( ان دلالة السمع على علم الله تعالى وقدرته وارادته وسمعه  
وبصره ، كدلالة على رضاه ومحبه وغضبه واستوائه على عرشه ونحو  
ذلك ) .

ويصبح التساؤل هنا في موضعه تماما ، اذ لئن الصفات السبعة  
التي اقتصر عليها الاشاعرة من الاسماء والصفات التي اثبتها الله تعالى  
لنفسه لا لقد اخبرنا في كتابه انه حي ، قيوم ، حكيم ، غفور ، رحيم ،  
سميع ، بصير ، عظيم ، خالق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام  
ثم استوى على العرش ، وكلم موسى ، وتجلى للجبل فجعله نكبا ، يرضى  
عن المؤمنين ، ويغضب على الكافرين ، الى امثال ذلك من الاسماء  
والصفات .

هذا من حيث اثبات الصفات والافعال .

لما من حيث النفي ، فان الله تعالى يصف نفسه بأنه ( ليس كمثل  
شيء ) ( ولم يكن له كفوا احد ) ( هل تعلم له سببا ) لا ( فلا تجعلوا لله  
اندادا ) فنفي بذلك ان تكون صفاته كصفات المخلوقين .

وبعد هذه المقارنة التي عقدها الشيخ ، لفت نظرة اختلاف طريقتي

---

(٣٦) ابن تيمية — شرح العقيدة الاصفهانية ص ٢ — ٤ ، ٨ ، ٢٢ .

الانبياء والرسل وطريقة المتكلمين في التحدث عن صفات الله تعالى وبينها .  
فإن الغارىء للقرآن يتضح له أن الله سبحانه وتعالى بعث أنبياءه ورسله  
بأثبات متصل لاسمائهم وصفاته . ونفى مجمل لهما أى نفوا عنه بقرائن  
المخلوقات كقوله تعالى ( ليس كمثل شيء ) . ولكن جاء النظار ( أى أهل  
النظر من المتكلمين النفاة والفلاسفة وغيرهم ) فمكسوا القضية مجابوا بمنى  
مفصل وأثبات مجمل ، أى يقولون ( ليس كذا . . ليس كذا ) . والغارىء  
الذى يراجع هذا الحكم يجده صحيحا تماما ، وخير شاهد على ذلك عقده  
المعتزلة في صفات الله تعالى ( ٣٩ ) .

أما الرسل صلوات الله عليهم ، فطريقتهم طريقة القرآن . ومبرهنه  
القرآن النفى المجمل والأثبات المفصل ، وقد رد الله تعالى على كل المخالفين  
لهذه الطريقة بقوله ( سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على  
المرسلين والحمد لله رب العالمين ( ٣٨ ) .

ويلح ابن تيمية دائما في مؤلفاته على قاعدة أصلية يجب الاستناد اليها  
في توضيح أصول الدين ، وهى أن الاولى بيان الحق الذى جاء به الرسول  
صلى الله عليه وسلم مستخدما الاقبيسة العقلية والامثال المشروبه ، لانهما  
طريقة الكتاب والسنة وسلف الامة .

والآيات القرآنية كثيرة تدل على ضرب الامثال كما قال تعالى  
( ولا ياتونك بمثل الا جئتاك بالحق واحسن تفسيراً ) ، كما بين سبحانه  
بالبراهين العقلية توحيدة وصدق رساله والبعث وغيرها من قضايا اصول  
الدين مجيبا بها على معارضة المشركين . اذ لما سئل النبي صلى الله عليه  
وسلم عن احياء الموتى ضرب له المثل باحياء الثبلت كما في سورة : يس .  
وشيرها .

---

( ٣٧ ) ينظر مقالات الاسلاميين ج ١ ص ٢٢٥ — ٢٣٦ وكلها تتضمن النفى

في وصف الله تعالى .

( ٣٨ ) ابن تيمية — اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة لسحاب الجحيم

ص ٢٦٦ — ٢٦٧ .

والاحاديث مملوءة ايضا بذكر صفات الله تعالى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ما منكم من احد الا سيخلو به ربه ، كما يخلوا احدكم بالقر ليلة البدر ) ، فسأله ابو زين العقيلي : كيف يا رسول الله وهو ونحن كثير ؟ فلجابه الرسول صلى الله عليه وسلم ضاربا المثل ، قال ( سائيتك بمثل ذلك في آلاء الله ، هذا القمر من آيات الله كلكم يراه مخطيا به ، نالته اعظم ) .

ولكن التشبيه هنا تشبيه للرؤية لا للمرئى بالمرئى !! فان الله تعالى ليس كمثله شيء .

وكانت طريقة الصحابة ايضا ، فقد روى عن ابن عباس انه لما اخبر بالرؤية عارضه السائل بقوله ( لا تدركه الابصار ) ، فقال له ( الست ترى السماء ؟ ) فقال : بلى فسأله مرة ثانية : اترأها كلها ؟ اجاب : لا ، وبهذا بين ابن عباس للسائل ان نفي الادراك لا يقتضى نفي الرؤية (٤٠) .

ومضى ائمة الحديث والسنة على نفس الطريقة ، اذ عندما اثرت صفات الله تعالى ايلم المحنة ، ومنها صفة العلو لله عز وجل ، بين الامام احمد دلالة القرآن على علوه تعالى واستوائه على عرشه ، وانه مع ذلك عالم بكل شيء ، كما دل على ذلك قوله تعالى ( هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم واللله بما تعملون بصير ) ٥٧ — ٤ ، وفسر الامام ابن حنبل المراد بذكر المعية فى الآية انه عالم بهم ، وكما افترض الآية بالعلم واختصاصها بالعلم ، وانه سبحانه بين انه مع علوه على العرش يعلم ما الخلق عاملون ، كما فى حديث العباس بن عبد المطلب الذى رواه ابو داود وغيره ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيه ( والله فوق عرشه وهو يعلم ما اتم عليه ) .

---

(٤٠) ابن تيمية — موافقة صحيح المنقول ج١ ص١٤٢ ، ص١٥٢ .

وقد شرح الامام احمد هذا الحديث بالقياس العقلى وضرب مثلي .  
ولله المثل الاعلى ، فقال ( لو ان رجلا في يده قوارير فيها ماء صاف . فذان  
بصره قد احاط بما فيها ، مع بباينته له ، فآله — وله المثل الاعلى — قد  
احاط بصره بخلقه ، وهو مستو على عرشه ) . والمنال الثاني : لو ان رجلا  
بنى دارا لكان مع خروجه عنها ، يعلم ما فيها . فآله الذى خلق العالم بعينه  
مع علوه عليه ، كما قال تعالى ( الا يعلم من خلق وهو الغنى  
الخبير ) ٦٧ ٤ — ١٤ (٤١) .

### ثانياً — نظرية الكسب الاشعرية وتفسير اعمال الانسان :

نشأ الاشعري كما علمنا في بيئة الاعتزال ، ومن اصولهم العدل  
ومؤداه ان العدل الالهي في رايهم يقتضى ان الله سبحانه وتعالى لم يخلق  
اعمال العباد ، فالارادة الانسانية حرة ، والانسان نفسه هو خالق اعماله ،  
ومن ثم يستحق الثواب والعقاب (٤٢) وكان موقفهم هذا بمثابة رد فعلى  
للجبرية القائلين بعدم قدرة العبد على احداث الفعل .

ومن هنا وصف المعتزلة أنفسهم بأنهم اهل العدل . لانهم بهتفون  
بإثبات الفعل للانسان ، نفى الظلم عن الله سبحانه الذى بنجه اعماله نحو  
تصد وغاية ، وتتفق مع ما يقتضيه العقل من التمييز بين الحسن والقيح  
والخير والشر ، فاجمعوا — كما يفكر الشهرستاني على ان العبد قادر  
على الاعمال خيرها وشرها ، مستحق على كل ما يفعله ثوابا وعقابا في  
الدار الآخرة والرب تعالى منزه ان يضاف اليه شر وظلم . وفعل هو كسر  
ومعصية (٤٣) .

واستدل المعتزلة ببعض الآيات القرآنية التى تثبت نفى الظلم والشر  
والقيح عن الله سبحانه وتعالى ، مثل قوله ( وما الله يريد ظلما للعباد )  
وقوله ( وما انا بظلام للعبيد ) وقوله ( ان الله يامر بالعدل والاحسان وابتاء

(٤١) ابن تيمية — مؤانعة صحيح المنقول ج١ ص١٤٢ .

(٤٢) د . ابو ريان — تلويح الفكر ص١٦٧ .

(٤٣) الشهرستاني — الملل والنحل ج١ ص٣٦ — ٤٠ ط بخران .

ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون )  
وغيرها من الآيات الدالة على أن الله لم يجبر أحد على الخير أو الشر  
أو الحسن أو القبيح ، بل ترك لكل إنسان حرية الاختيار فيما يفعل (٤٤) .

ثم جاء الأشعري ناخبط طريقا وسطا بين فكرة المعتزلة ورأى  
الجبرية ، ثابت الحرية الالهية الغير خاضعة للمعيار الانساني ، فليس  
لأحد أن يوجب عليه سبحانه فعل الصالح أو الإصالح لعباده ، كما أراد  
أثبت حرية الإنسان وقدرته على الفعل فميز في الإنسان بين حركات الرعدة  
والرعشة ، وبين حركات الاختيار والإرادة ، الذي يجد الإنسان في نفسه  
تبيضا واضحا بينهما ، فالتفرقة راجعة إلى أن الحركات الاختيارية حاصلة  
تحت القدرة ، متوقفة على اختيار القادر ، ويسمى هذا الفعل « كسبا »  
فيكون خلقا من الله تعالى ، أبدأها وأحدأنا وكسبا من العبد ، حصولا تحت  
قدرته (٤٥) .

فإذا عدنا للنظرية الجبرية عن الفعل الانساني ، لما وجدناها تختلف عن  
فكرة الكسب الأشعرية ، فالجبرية ينون الفعل حقيقة عن العبد ويضفونه  
إلى الله تعالى ، ولا يختلف ذلك في جوهره عن قول أبي الحسن الأشعري  
إن الفعل الحاصل إذا أراده العبد وتجرد له سمي هذا الفعل كسبا ، فيكون

---

(٤٤) يذكر الأشعري المقالات المختلفة في فكرة ( الكسب ) فيقول :

عند المعتزلة الإنسان فاعل محدث ومخترع ومنشئ على  
الحقيقة دون الجزأ . وكثير من أهل الإثبات يقولون : إن الإنسان  
فاعل في الحقيقة بمعنى مكتسب ويمنعون أنه محدث . مقاسلات  
الإسلاميين ج٢ ص ٢١٩ .

ثم يذكر رأيه ( والحق عندي أن معنى الاكتساب هو أن يفسح  
الشيء بقدرة محدثة ، فيكون كسبا لمن وقع بقدرته ) ( نفس المصدر  
ص ٢٢١ ) .

والحق أن مؤدى الفكرة يتفق مع الجبرية المحضة بطريقة غير مباشرة ،  
(٤٥) الملل والنحل ج١ ص ٨٨ — ٨٩ .

خلقنا من الله تعالى — وابداعا واحداثا — وكسبا من العبد — حصولا تحت قدرته (٤٦) .

وربما أحس الشهرستاني نفسه — باعتباره اشعريا — بهذا المأزق .  
فتراه عرضه للمذهب الجبري، يفرق بين ما سماه بالجبرية الخالصة التي لا تثبت للعبد تملا او قدرة على الفعل اصلا، والجبرية التي يسميها بالمتوسطة — وهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة ، ثم اضطر الى اصطناع موقف الدفاع عن فكرة الكسب فقال ( فلما من اثبت للقدرة الحادثة اثرا ما في الفعل .  
وسمى ذلك كسبا ، فليس بجبري ) (٤٧) .

ولم يكن ابن تيمية متعسفا ازاء الاشعري ، عندما اظهر تناقضه بين الجبريين والتدريين . وهذا يفضى بنا الى بيان النقد التكميلي الذي يوجهه شيخ الاسلام الى فكرة الكسب الاشعرية . ونقطة البداية في شرح المسألة انه ينفى التمييز في الإرادة الالهية بين نوعين : ارادة تتعلق بالامر المتضمنه للمحبة والرضا وهي الإرادة الدينية ، واردة تتعلق بالخلق وهي المثبته ، أي الإرادة الكونية القدرية (٤٨) لاثبات ان كل الافعال خاضعة لقدرة الله تعالى ، في مثل قوله ( الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين ) وقوله عز وجل ( صنع الله الذي اتقن كل شيء ) . نأذا نظرنا الى اعمال العباد من الطاعات لو جدناها موافقة للامر الالهي ، لا موافقة للإرادة الالهية .

وينتقل الى نقطة اخرى ، فيؤكد ان الله سبحانه وتعالى خالق اعمال العباد بإرادته ، ولكنه لم يأمر بالكر والفسوق والعصيان ، كما لا يصح

---

(٤٦) ن . م . - الصفحة ( ٨٩ ) .  
وينظر أيضا نشأة الفكر للدكتور النشار من ٧٨ حيث يحكم على هذا المذهب بأنه جبري خالص ط مكتبة النهضة لسنة ١٩٥٤م

(٤٧) ن . م . - ص ٧٩ .

(٤٨) ابن تيمية — منهاج ج ٢ من ٢٨ — ٢٩ .  
واستند ابن تيمية الى قواعد اللغة العربية في شرحه وبين ما قد يفهم ما على البعض فهمه في هذه الفكرة .



الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ، وهذا ما فهمه المصنف الصالح ، كتسول  
أبى بكر وعمر وابن مسعود رضى الله عنهم ( أقول برأى من يكن صواباً  
من الله ، وأن يكون خطأ ممنى ومن الشيطان ) (٤٩) — ففهموا — أى  
المصنف جميعاً — أن الشر مخلوق لحكمة ، ولكنه لا ينسب الى الله تعالى  
مفرداً ، ولكن إما يدخل فى الصوم بقوله تعالى ( خالق كل شيء ) أو يضاف  
الى السبب ( قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ) ، أو يحذف لماعله كقوله  
فيماء حسكاه من الجن ( وأنا لا ندرى أشر أريد بين فى الارض أم أراد بهم  
ربهم رشداً ) .

يشرح ابن تيمية ضمن أبحاثه اللغوية التى يستقيها من البخارى فى  
( خلق أعمال العباد ) ، لكى يؤكد أنه لا تقوم بالله سبحانه وتعالى أعمال  
العباد ولا يتصف بها ولا تعود اليه أحكامها ، ولهذا قال أكثر المثبتة للقدر بأن  
أعمال العباد مخلوقة لله تعالى ، وهى فعل العبد ، فإذا قيل هى فعل الله ،  
فالمراد أنها بمعولة له لا أنها هى الفعل الذى هو مسمى المصدر ، وأكثر  
الائمة يفرقون بين الخلق والمخلوق (٥٠) والمسلمون جميعاً ينزهون الله تعالى  
من الظلم ، فليس كل ما كان ظلماً من العبد يكون ظلماً من الرب ، ولا ما كان  
تقيحاً من العبد يكون تقيحاً من الرب ، فإن الله ليس كبئله شيء ، لا فى ذاته  
ولا فى صفاته ولا فى أعماله .

ويعتمد شيخ الاسلام فى نفي الظلم عن الله تعالى على دليل عقلى ، لان  
من قوانين الفطرة الانسانية الا يعتبر الانسان مقابلة الظالم على ظلمه بمثالة  
الظلم له ، فإله تعالى أولى أن لا ينسب الى الظلم ، فإذا أخذ الله العبيد  
بما فعله ، فلا يتم باختياره . ولكن مرد خطأ المعتزلة ونعاة القدر بمسألة ،  
أنهم قاسوا أعمال الله على أعمال خلقه ، وعدله على عدلهم ، وهو قياس  
ظاهر الفساد — وسنعود لشرح رايه من عدل الله وحكمته . وعلى النقيض  
من ذلك غلاة المثبتة للقدر أى الجبرية ، الذين سلبوا العبد قدرته ، زاعمى  
أن حركته كحركة الاشجار بالبلح ، وأشد الطوائف اقترباً منهم — فى رأى  
ابن تيمية — الأشعري ومن واقفه ، اذ يظهر اضطرابه بين اثباته للعبد

(٤٩) منهاج ج ٢ ص ٢٥ .

(٥٠) نفس المصدر ص ٢٦ .

قدرة محدثة واختيارا ، وان الفعل كسب للعبد ، وبين فيه لتأثير مدرة العبد في ايجاد المقدور ، مخالف بذلك قول **اهل الاثبات** - بان العبد مائل لتعاضد حقيقة ، وله قدرة واختيار ، وقدرته مؤثرة في مقدورها . فما يؤثر السوء الطليبع . لهذا قال من قال ( ان هذا الكسب الذي ائبته الاشمري - معتبول ) (٥١) .

بقيت النقطة المشار اليها في السياق . وهي تتمصل بفنرة العدل والظلم ، ولهذا سنفردها للحديث من وجهة نظر ابن تيمية حيث يرى ان مسكرة الكسب في جوهرها جبرية ، والجبريون لا ينزهون الله عما لا يظلم .

#### عدل الله تعالى وحكمته :

كانت حجة المعتزلة في نفي القدر اثبات العدل الالهي كما رأينا . ولكن اهل الحديث والسنة مع اثباتهم لعدل الله تعالى يؤمنون بالتسدر ايضا . ولا يتناقض هذا مع ذلك ، ولما راوا ان مسكرة ( الكسب ) يؤدي للجبرية . عارضوها موضحين الموقف الصحيح فان الله تعالى منزه عن الظلم . ولا يفعل السوء ولا السيئات - مع انه سبحانه خالق كل شيء : انفعال العبد وغيرها .

وقد يحدث الالتباس في فهم البعض بسبب الخلط بين نسبة الفعل الى العبد ونسبته الى الله تعالى ، فان الانسان اذا فعل القبيح المتبى نفسه اصبح شرا وظلها بالنسبة اليه ، ومع ان الرب قد جعله ناعلا لذلك - بنسبته على اختياره ، الا ان ذلك منه سبحانه عدل وحكمة ووضع للاشياء مواضعها . فهو منه عدل وحكمة وصواب وان كان في المخلوق عيبا .

ويضرب ابن تيمية لذلك مثلا لتقريبه للاذهان . لان مثل هذا يحدث في الفاعلين المخلوقين ، فان الصانع اذا اخذ الخشبة المعوجة . والحجر الردي ، واللينة الناقصة فوضعها في موضع يليق بها ويناسبها . فان ذلك منه عدلا واستقامة وصوابا وهو محمود ، وان كان في تلك عوج وعيب من

به مضمومة ، ومن أخذ الخبائث جعلها في المحل الذي يليق بها كان ذلك حكمة وعدلا ، وإنما السفه والظلم أن يضعها في غير موضعها (٥٢) .

وله المثل الأعلى ، فإنه سبحانه لا يضع شيئا إلا موضعه ، فلا يكون إلا عدلا ولا يفعل إلا خيرا ، وهو سبحانه له الخلق والامر ، فأمر بتحصيل المصالح وتكليفها وتعطيل المناسد وتقليلها ، وإذا تعارض أمران رجح أحسنهما ، وليس في الشريعة أمر بفعل إلا ووجوده للمأمور خير من عدمه ، ولا نهى عن فعل إلا وعدمه خير من وجوده وهو فيما يأمر به قد أراد إرادته دينية شرعية وأحبه ورضيه ، فلا يصب ويرضى شيئا إلا ووجوده خير من عدمه ، ولهذا أمر عباده أن يأخذوا بأحسن ما أنزل إليهم من ربهم فإن الأحسن هو المأمور ، وهو خير من المنهى عنه .

والتاريخ مؤلفات ابن تيمية ، يلحظ أنه كثيرا ما يعالج قضايا متشابهة في مؤلف واحد أو رسالة واحدة ، ولكن وراءها ضابط يمسك بزمامها فإذا ما وجه الباحث عنايته إليها ظهر الحل واضحا جليا .

وقضية كهذه — أي قضية الإيمان بالقضاء والقدر وصلتها بانعزال العباد — من إهم القضايا وأهمها ، وقد حارت فيها العقول والافهام ، ولهذا نجد ابن تيمية يعالجها من مداخل عدة : مدخل الإيمان بأن الله تعالى ربيكل شيء ومليكه ، وأنه سبحانه خالق العباد وأفعالهم ، وأثبت صفات الله تعالى من الحكمة والعدل والرحمة كما يفضل أحيسانا عرض آرائه من خلال التمييز بين الإرادة الكونية القدرية والإرادة الدينية الشرعية .

ويرى ابن تيمية أن سوء الفهم والاعتقاد بين القدرية والجبرية راجع إلى الخلط بين خلق الله تعالى وتقديره ، وأمره وتثريعه ، فإن أمره وتثريعه مقصوده بيان ما ينفع العباد إذا فعلوه ، وما يضرهم ، بمنزلة أمر الطبيب المريض بما ينفعه وحميته مما يضره . فأخبر الله على السن رسله

---

(٥٢) ابن تيمية — رسالة في معنى كون الرب عادلا وفي تنزهه عن الظلم

ص ١٣٠ — ١٣١ بكتاب ( جامع الرسائل ) المجموعة الأولى —

تحقيق الأستاذ الدكتور محمد رشاد سالم مطبعة المدنى ١٣٨٩ هـ —

١٩٦٦ م .

بمسير السعداء والاشقياء ، وأمر بما يوصل الى السعادة ، ونهى عما يوصل الى الشقاوة . وأما خلقه وتقديره فيتعلق به وبجمله المخسوفات ، فيفعل ما له فيه حكمة متعلقة بعموم خلقه ، وإن كان في ضمن ذلك مضرة للبعض . مثال ذلك أنه ينزل الفيث رحمة وحكمة ، وإن كان في ضمن ذلك ضرر للبعض بسقوط منزله أو انقطاعه عن سفره أو تعطيل معيشته . ويرسل الرسل رحمة وحكمة وإن كان في ضمن ذلك أذى قوم وسقوط رياستهم . فإذا قدر على الكافر كفره قدره لما في ذلك من الحكمة والمصلحة العامة ، وعاقبه لاستحقاقه ذلك بفعله الاختياري ولما في عقوبته من الحكمة والمصلحة العامة (٥٣) .

وهناك عاملان آخران يسهمان في سوء الفهم والخلط في هذه المسألة أحدهما — قياس أعمال الله تعالى على أعمالنا وهو خطأ ظاهر . ولزيادة إيضاح ذلك فإن السيد يأمر عبده بأمر لحاجته إليه ولغرضه ، فإذا أثابه على ذلك كان من باب المعارضة ، وليس هو الخالق لفعل العبد المأمور . والله المثل الأعلى فإنه سبحانه غنى عن العباد، أما أمرهم بما ينفعهم ونهاهم عما يضرهم أمر إرشاد وتعليم ، فإن أمرتهم على فعل المأمور فقد تمت نعمته ، وإن خذل ولم يعن العبد حتى فعل الذنب كان له في ذلك حكمة أخرى ، وإن كانت مستلزمة . تألم هذا مما يالأم بأعماله التي من شأنها أن تورثه نعيماً أو عذاباً ، وإن ذلك الأبراث بقضاء الله وقدره ، فلا منافاة بين هذا وهذا .

العامل الثاني — موقف الناس من حكمة الله تعالى الكلية ، فليس على الناس معرفتها وقد تكون فوق مداركهم القاصرة المخلوقة ، ويكتفيهم التسليم إن قد عرفوا وآمنوا بحكمة الله تعالى ورحمته وقدرته . فمن المعلوم ما لو علمه كثير من الناس لضرهم عليه ، فحكيمته سبحانه أكبر من المتقول . لذلك قال تعالى ( لا تسألوا عن أشياء أن تبدلكم تسؤمكم ) المائدة ١٠١ .

وختام ذلك كله في كلمات قليلة ولكنها تلخص المسألة وتشرحها بما فيه الكفاية . قال ابن تيمية ( وهذه المسألة مسألة غايات أعمال الله تعالى ونهية حكيمته ، ولعلها أجل المسائل الإلهية ، وما ضلت القسرية إلا من

جهة تقياس الله بخلقه في عدلهم وظلمهم ، كما ضلت الجبرية الذين لا يجعلون  
لامعال الله حكمة ، ولا ينزهون عن ظلم ، ودين الله بين الغالى فيه والجانق  
عنه (٥٤) .

### نظرية الجوهر الفرد وتفسير الخلق والبحث :

تنسب النظرية الذرية العامة الى ديمقريطس من فلاسفة اليونان ،  
وتتلخص في تقسيم الوجود الى عدد غير متناه من الوحدات المتجانسة غير  
المنقسمة غير المحسوسة لتناهيها في الدقة ، تتحرك في الخلاء ، ويحدث  
بتلاقيها وانفراقها الكون والفساد .

واحدما الجوهر الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ ، وهي متشابهة  
الطبيعة تمام التشابه ، وليست لها أية كيفية ، ولا تمتاز بغير خاصيتين :  
وهما الشكل والمقدار (٥٥) .

ولكن ثمة نقاطا كثيرة هامة في النظرية لم تعالجها مثل مسألة ما اذا  
كانت الذرات ذات ثقل ومسألة المصدر الاصلى للحركة ومسألة الضرورة ،  
فمازالت موضعا للتخمين (٥٦) .

هذه هي النظرية الذرية في وضعها الاصلى ، صدرت في محيط فلسفى  
يونانى ، وبيئة وثنية لا تعرف الها ولا كتابا ولا نبيا . ولعل الفكرة نشأت  
بسبب التخبط في تفسير خلق العالم . وكل ما هنالك ان الفلاسفة القائلين  
بالصورة والهيولى القديمتين زعموا ازلية العالم وحركته عندهم دائرية  
ولهذا نهى تسمية مثلها في ذلك مثل مادته ولكن اصحاب النظرية الذرية  
خالفهم فاعتقدوا ان الحركة في هذه الجواهر مستقيمة نهى ليست ازلية  
ولا أبدية (٥٧) .

(٥٤) نفس المصدر السابق .

(٥٥) يوسف كرم — تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٨ — ٢٩ لجنة

التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨ م .

(٥٦) الموسوعة الفلسفية المختصرة ص ١٤٦ مكتبة الانجلو المصرية  
سنة ١٩٦٣ م .

(٥٧) د . محمد لعى أبو ريان — تاريخ الفكر الفلسفى في الاسلام  
ص ١٩٧ دار الجامعة المصرية بالاسكندرية .

واقترس المنكفون — المعتزلة والاشاعرة — هذه النظرية ( كما بدأ النظام ) (٥٨) مع اختلاف في التفاصيل ، ولكن الاشاعرة حولوا هذه النظرية الى القول بالاناسبات في الفعل الالهي ، اى انكار خاصية الاشياء وفعاليتها . فالنار لا تحرق عند التقاتها بالخشب مثلا ، ولكن الله تعالى يخلق الاحراق عند التقاتها لا بسبب النار انها محرقة .

وتنسب النظرية الى الباقلاني ( ٤٠٢ هـ ) — وترتيبها الثاني في المذهب الاشعري بعد ابي الحسن شيخه — يقال بان العالم مؤلف من جواهر فردة لا حصر لها ولا تتجزأ ، والعقل هو الذى يضمنى على هذه الجواهر الكميات التى ليست من طبيعتها وانما هي من العقل فقط ، والجواهر متغيرة محدثة وكذلك اعراضها ، وليست لها خواص او صفات فعالة بذاتها . اذ ان الله تعالى هو الخالق للجواهر واعراضها ، وهو سبحانه الذى يحدث فيها خصائصها ، مثال ذلك ان الله تعالى يخلق نعل الاحراق ، وما اجتمع الناء والخشب الا مناسبة للاحراق .

وجاء الغزالي ( ٥٠٥ هـ ) بعده فأنكر قانون السببية او العلية وارجعها الى مبدأ المادة والتكرار (٥٩) .

ويبدو من سياق النظرية في صياغتها العامة اثبات قدرة الله تعالى في المخلوقات ، وانه سبحانه وتعالى هو وحده المتفعل لما يريد . ان شاء خلق في الاشياء خصائصها وان شاء لم يخلقها ؛

ولكننا مادامنا في مجال الدفاع عن اصول الدين بالادلة العقلية . على حسن النسوايا لا يكفى ، بل لابد ان يتواءم معها الاقوال المتفق مع منه العقل ، وما يتفق مع المشاهد المصرب المتفق عليه بين البشر . فمبدأ من اتفاه مع النصوص الشرعية المتوافقة مع الادلة العقلية التى تثبت ان الله تعالى سنا في خلق العالم وحركته .

---

(٥٨) ولكن النظام يرى انه لا جزء الا وله جزء ، ولا بعض الا وله بعض ، ولا نصف الا وله نصف وان الجزء جائز تجزئته ابدا ، ولا غلبة له من باب التجزؤ ( مقالات الاسلاميين للاشعري ج٢ ص١٧٠ . )  
(٥٩) د . ابريان — تاريخ الفكر الفلسفى . ص ٢٠٥ — ٢٠٦ .

من هذه الزاوية ، نقد شيخ الإسلام ابن تيمية هذه النظرية مقسدا  
الادلة الكثرة من الكتاب والسنة المتوافقة مع العقول وما يهله الناس  
بالفطرة والتجربة العملية والمشاهدات العيانية .

ونقطة البداية في معارضته للنظرية تتلخص في اثبات ان المتكلمين  
الاخذين بها لا يجعلون الله تعالى خلق شسيتا بسبب ، ولا لحكمة ،  
ولا يجعلون للانسان قدرة تؤثر في مقدورها ، ولا لشيء من الاجسام  
طبيعة ، ولا غريزة بل يقولون ( فعل عنده لا به ) . وخالفوا بذلك الكتاب  
والسنة ، واجماع السلف والائمة ، وصرائح المعتول (٦٠) .

وسنلخص فيما يلي الادلة التي تقدمها ابن تيمية وهي مستمدة من  
الكتاب والسنة ، ومن آراء العلماء والفلاسفة نتيجة التجارب والنظر  
والمعتول .

#### توافق ادلة الكتاب والسنة مع الواقع المشاهد :

اختيار ابن تيمية من النصوص ما يبرهن على اثبات الاسباب ، مثل  
قوله تعالى ( ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والملك  
التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فالحيا  
به الارض بعد موتها ويث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب  
المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون ) البقرة ١٦٤ وقال سبحانه  
' وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحلا  
ثقالا سقطناه لبلد ميت فأنزلنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم  
تذكرون ) الاعراف ٥٧ .

وقال عز وجل ( وفزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب  
الحصيد ) ق ٩ .

وهناك آيات كثيرة اخرى في كتاب الله تعالى حيث يفكر سبحانه  
انه فعل هذا بها ، كما ذكر انه انزل الماء بالحسب ، وانه احيا الارض  
بالماء .

أما ما ورد في السنة ، فكثير أيضا ، فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ( ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله . لا تنكسان لموت أحد ولا لحياته ، ولكنهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده . فإذا رأيتوهما فانزعوا الى الصلاة ) .

وأمر صلى الله عليه وسلم عند الكسوف بالصلاة ، والذكر ، والدعاء ، والصدقة ، والمعاتقة ، والاستغفار ، . وكذلك عند سائر الآيات التي يخوف الله بها عباده .

وقوله صلى الله عليه وسلم ( لا تنكسان لموت أحد ولا لحياته ) رد لما كان قد توهمه بعض الناس من أن كسوف الشمس كان لأجل موت إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد مات وكسفت الشمس ، فتوهم بعض الجهال من المسلمين أن الكسوف كان لأجل هذا . فبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم أن الكسوف لا يكون بسببه موت أحد من أهل الأرض ، ونفى بذلك أن يكون الكسوف مطولا عن ذلك . . وبين أن ذلك من آيات الله التي يخوف بها عباده (٦١) .

وما يثبت أيضا أن التخويف إنما يكون سببا للشر وعلة له ، ما قاله تعالى في سورة الاسراء ( وما نرسل بالآيات الا تخويفا ) آية ٥٩ وقياسا على ذلك فلو كان الكسوف وجوده كمدحه بالنسبة الى الحوادث ، لم يكن سببا لشر ، وهو خلاف نص الرسول صلى الله عليه وسلم .

ويدعم ذلك ماورد في السنن — الترمذى والنسائى واحمد — أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر وقال لعائشة ( يا عائشة . تعسذى بالله من شر هذا فان هذا هو الفاسق اذا وقع . وتفسير الحديث أيضا بطل على أن الاستمادة إنما تكون مما يحدث عنه شر .

أضف الى ذلك انه صلى الله عليه وسلم أمر عند انعقاد أسباب الشر بما يدفع موجبها بمشيئة الله تعالى وقدرته من الصلاة والدعاء ، والذكر ، والاستغفار ، والتوبة ، والاحسان بالصدقة والمعاتقة . فان هذه الاعمال

---

(٦١) ابن تيمية — الرد على المنطقيين ص ٢٧٠ — ٢٧١ .



الصالحة تعارض الشر الذي انعمت سببه . كما في الحديث ( ان الدعاء والبلاء ليلتقيان بين السماء والارض فيمتلجان ) . ومثل ذلك مثلما جاء مدو فانه يدفع بالدعاء ، وفعل الخير ، وبالجهاد له . ومثلما يفعله المرء اذا هجم البرد ، يدنمه باتخاذ الدفاء ، فكذلك الاعمال الصالحة والدعاء .

واذا كانت الحكمة ضالة المؤمن ، فان ابن تيمية لا يكتفى بهذه الادلة فيضيف اليها اتفاق اهل الملل واساطير الفلاسفة ، مؤيدا ذلك بما ذكر عن بطليموس انه قال ( واعلم ان ضجيج الاصوات في هياكل العبادات بنون اللغات يحلل ما عقده الافلاك الدائرات !! ) .

من هذا يتضح خطأ تفسير الخلق — او النشأة الاولى — بنظرية الجواهر الفردة كما فعل المتكلمون — من المعتزلة والاشاعرة — فالثابت ان كل ما سوى الله تعالى محنت وانه سبحانه خلق الاسباب والمسببات ، وبذلك ينتظم الكون وفق نواميس ثابتة منتظمة .

اما الامادة والبعث ، فان النظرية ايضا تقصر عن تفسيره والبرهنة عليه ، فادى الى تقوية شبهات الفلاسفة المنكرين لمعاد الابدان ، ونتج عنها صعوبات لن تجد حلا الا بالادلة الشرعية والعقلية ، سنعرض لها كما يلي :  
**صعوبات امام النظرية في تفسير البعث :**

لما كان اصل رأيهم في ابتداء الخلق اثبات الجواهر الفرد ، جعلوه ايضا في الميعاد والبعث ، ولكن اختلفوا بين رأيين :

أحدهما — تعدم الجواهر ثم تعاد .

الثاني — تتفرق الاجزاء ثم تجتمع .

ولكن هذين الرأيين اثارا صعوبات امامهم في مواجهة الفلاسفة المنكرين لبعث الابدان حيث تسائل هؤلاء الفلاسفة عن الاتى : —

( ١ ) الانسان الذي ياكله حيوان ، وذلك الحيوان اكله انسان آخر ،

فان الاجزاء في هذه الاجساد قد اختلفت .

(ب) ان الانسان يتحلل دائما ، فما الذي يعاد ، هو الذي كان وقت الموت ؟

فان اجيب بالايجاب ، لزم ان يعاد على صورة ضمنية ، وهو خلاف ما جاءت به النصوص . وان كان غير ذلك فليس بعض الابدان يتولى من بعض ، اى انها تتماوت في القوة والضمند .

واضطر المتكلمون امام هذه الصعوبات الى القول بان الله تعالى يخلق بدنا آخر تعود اليه الروح ، فالمقصود تنعيم الروح وتعظيمها بسواء كان في هذا البدن او في غيره . وهذا ايضا يخالف النصوص المريحة باعادة هذا البدن ، كما يخالف عقائد السلف وجهور المعتزلة والكتباء والفلاسفة والاطباء اذ يجمعون على القول في خلق الله للجسام التي يشاهد حدوثها انه يقلبها ويحيلها من جسم الى جسم ؟

وتفصيل ذلك ان الفقهاء يبحثون في التجاسة مثلا ، هل تظهر بالاستحالة ام لا ؟ كما تستحيل العنزة رمادا والخنزير وغيره ملحا ونحو ذلك .

والاطباء كذلك يقررون بان المني الذي في الرحم يخلق الله تعالى علقة ثم مضغة ، وهذا التحول يسرى على بنى آدم .

اما آدم عليه السلام فلقد خلق من طين ، فخلق الله سبحانه وتعالى حقيقة الطين فجعلها عظما ولحما وغير ذلك من اجزاء البدن ، والمضغة ايضا يخلقها عظاما وغير عظام . قال الله تعالى ( ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ١٢ ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ١٣ ثم خلقنا النطفة علقة مخلقة العلقة مضغة مخلقة المضغة عظاما نكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فبارك الله احسن الخالقين ١٤ ثم انكم بعد ذلك لميتون ١٥ ثم انكم يوم القيامة تبعثون ) ١٦ المؤمنون .

وكذلك الثمر يخلق بقلب المادة التي يخرجها من الشجرة من الرطوبة مع الهواء والماء الذي سقى به او نزل عليها وغير ذلك من المواد التي يخلقها

ثمرة بمشيتها وقدرته ، والحبة أيضا يفلتها وتتقلب المواد التي يخلقها منها  
سنبلة وشجرة وغير ذلك .

وكذلك النار يخلقها بقلب بعض أجزاء الزناد نارا كما قال تعالى ( الذي  
جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ) يس .

ويجمع ابن تيمية هذه الامثلة لما يربط بينها من حقيقة التحول الخاضعة  
للمشاهدة والتجربة ، فيقول ( نفس تلك الاجزاء التي خرجت من الشجر  
الأخضر ، جعلها الله نارا من غير ان يكون كان في الشجرة الاخضر نار  
اصلا ، كما لم يكن في الشجرة ثمرة اصلا ، ولا كان في بطن المرأة جنين اصلا  
بل خلق هذا الموجود من مادة غيره ، بقلبه تلك المادة الى هذا ، وبما ضمه  
الى هذا من مواد اخرى ) (٦٤)

ويرى شيخ الاسلام ان عقيدة السلف وما اجمع عليه المعتاد وما اتفق  
عليه الاطباء ان الاجسام تتقلب من حال الى حال ، ويؤيد هذا الاطباء بصفة  
خاصة في تناولهم لخلق الانسان واطوار نموه ، فالله تعالى يقلبه ويجعله من  
جسم الى جسم . وايضا فان معنى الاعادة يدل على ان الله سبحانه

(٦٤) ابن تيمية — تفسير: سورة الاخلاص من ٢٥ .

ويختار شيخ الاسلام من بين الاقوال المختلفة في الجوهر الفرد  
ان الجسم يقبل القسمة الى غاية ، من غير اثبات الجوهر الفرد ،  
مكتلا على ذلك بان الجسم — كالماء مثلا — يقبل انقسامات متناهية  
الى ان تصغر اجزؤه ، فاذا تصغرت استحال الى جسم  
آخر ، فلا يبقى ما ينقسم الى غير غاية ، بل يستحيل عند تصغره .  
فلا يقبل الانقسام بالفعل مع كونه في نفسه يتميز بنسبه شيء بين  
شيء ، وليس كل ما يتميز منه شيء عن شيء لزم ان يقبل الانقسام  
بالفعل ، بل قد يثبت عن ذلك ولا يقبل البقاء مع فرط تصغر  
الاجزاء ، لكن يستحيل ، اذ الجسم الموجود لا بد له من قدر ما  
ولا بد له من صفة ما فاذا ضعفت قدره على اتصافه بتلك الصفة  
انضم الى ثمرة ، اما مع استحالة ان ذلك من غير جنسه واما  
بدون الاستحالة ان كان من جنسه كالقطرة الصغيرة من الماء اذا  
صغرت جدا فلا بد ان تستحيل هواء او ترابا او تنضم الى ماء  
آخر ( كتاب الصغرية ص ١١٨ ) .

وتعالى يعيد الجسم بعد أن يبلى (ولهذا يقال هو مثله ، ويقال هذا هو هذا ؟ فإن فعل مثل فعل غيره ، ولا يقال إعادة ، وإنما يقال : هذا وشابهه ، بخلاف ما إذا فعل ثانيا مثل ما فعل أولا ، فإنه يقال أعاد فعله ، . مثلما هدم بيت ثم أعيد بناؤه .

وبعبارة أخرى ، فإن الله عز وجل يعيد الخلق بعدما استحال الأجسام إلى غيرها ، فيعيدها من تلك الأجزاء التي انقلبت واستحالت إليها ، والنشأة الأولى خلقة نساد وبناء ملائمة للحياة الدنيا وطبيعتها . الثانية بينما الثانية للبقاء فهما يتشابهان من وجه ويتنوعان من وجه آخر ، ولهذا جعل المعاد هو المبدى وجعل مظه أيضا ، فباعتباره اتفق المبدأ والمعاد فهو هو ، وباعتبار ما بين النشأتين من الفرق فهو مثله .

فلا بد إذن من الاستناد إلى الحقيقة القرآنية المثلة في خلق الله ، منها قوله تعالى ( أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ) وهو أمر للإنسان بأن يذكر خلقه من نطفة ، فإذا ما نسر الإنسان المخلوق ، ضوء نظرية الجواهر الفردة ، فإن جواهر الإنسان عندهم ما زالت باتيسه وحدث لها الاعراض ، ومعلوم أن تلك الاعراض وحدها ليست هي الإنسان ، فإن الإنسان مسطور ، منهي ، حي ، عليم ، قدير ، متكلم ، سميع ، بصير ، وموضوف بالحركة والسكون ، وهذه صفات الجواهر . والعرض لا يوصف بشيء لأنها وهم يقولون العرض لا يبقى زمانين (٦٥) .

وهكذا يبرهن شيخ الإسلام أن فكرة الجوهر الفرد لا نسر لنسب المشاهدة الجبائية في الخلق ، ولا تتفق مع حقيقته الثابتة بالآيات القرآنية . والمرئية في أطوار الإنسان كما يثبت ذلك الأطباء أيضا ، فإنه يتحول في مراحل خلقه ، فيخلق الله الإنسان من المني ، فالمني استحال وصار علقة ، والعلقة استحالته مضافة ، إلى استواء الإنسان بشرا سويا ، ويستشهد بهذا المثال ليقوض دعائم تفسير المتكلمين ، إذ يعدون الأجسام متماثلة لأنها مركبة من الجواهر المتماثلة ، وإنما اختلفت باختلاف الاعراض . ويستدل بها حقيقة الخلق والبحث القرآنية المتفقة مع أدلة العقول وتجارب البشر .

بعد هذا العرض الموجز ، يتضح أن طريقة الأشاعرة، مع إخلاصهم في الدفاع عن النصوص لم تقو على الوقوف آزاء اللقد الذي وجه اليهم من شيوخ السنة كابن تيمية وغيره حيث ناقشوا وفتوا بالحجج والبراهين . ويبدو أن أئمة الأشاعرة انفسهم قد ظهرت لهم، الحقيقة ، ولكن بعد طول بحث وبعد انقضاء الاعمار .

ومن هنا نجد انهم قد مضوا بطريقة السلف في نهاية حياتهم وأعلنوها سراحة .

والى القارىء بيان ذلك :

### تحول أئمة الأشعرية الى طريقة السلف :

لا شك ان الرغبة في الدفاع عن عقيدة أهل السنة بخاصة والاسلام بعامة هي التي دفعت أئمة الأشاعرة الى علم الكلام فلما منهم انه المنهج الصحيح لهذا الغرض ، ثم تبين لهم بعد التجربة غير ذلك ، فتحولوا عنه ، ولعل أول المتحولين الى طريقة السلف هو الامام أبو الحسن الأشعري نفسه ، وقصة تحوله من الاعتزال الى عقيدة الامام أحمد بن حنبل تبرهن على ذلك كما أسلفنا .

ومن الثابت عن الذين ترجموا للأشعري — وأبرزهم ابن عسكرف كتاب ( تبیین کتب المفتری ) ان كتاب ( الإبنة ) من أواخر كتبه وهو دليل على استقراره على طريقة الامام أحمد ومنهجه وعقيدته متابعة لطريقة السلف .

ويكمن تقسيم حياته العلمية الى ثلاثة اطوار — الاول عندما كان معتزليا — والثاني عندما بدأ يعيد النظر في معتقدات المعتزلة ويخط لتتمسه منهجا جديدا يلجا فيه الى تأويل النصوص بماظن انه يتفق مع احكام العقل ، ثم الطور الاخير الذي كتب فيه ( الابانة ) وعبر فيه عن تفضيله لعقيدة السلف ومنهجهم والتي كان الحامل لوائها حينذاك الامام أحمد بن حنبل (٦٦) ، وكرر أيضا مضمون عقيدته في كتابه ( مقالات الاسلاميين ) نسبا اياها لاهل السنة والحديث .

(٦٦) ينظر تعليق الاستاذ محب الدين الخطيب على كتاب ( المفترى ) للذهبي ص ٤٣ ط السلفية ١٣٧٤ هـ .

وجاء بعده الامام الباقر الثاني فكان حريصا على الانتساب الى الامام  
ابن حنبل ايضا حتى كان يكتب في بعض اجوبته محمد بن الطيب  
الحنبلي (٦٧) .

وائمة الاشعرية بعده اتخذوا موقفا مشابها ايضا يتم الانتباه ويدعو  
لبحث هذه الظاهرة التي — ان قلت على شيء — فانها تدل على الاخلاص  
لحق البحث من الحقيقة من جهة ، كما يدل من جهة اخرى على انه لا سبيل  
الى معرفة اصول الدين الا من مصادره في الكتب والسنة .

لها هو امام الحرمين الجويني في كتابه ( الرسالة النظرية ) بشر الى  
اختلاف مسالك العلماء في هذه الظواهر ، فرأى بعضهم تأويلها . والقوم  
ذلك في أي الكتاب وما يصح من السنن ، وذهب ائمة السلف الى الكف عن  
التأويل ، واجراء الظواهر على مواردها ، وتقويض معانيها الى الرب . ثم  
يصرح بأن الذي يوتضيه رأيا ، ويدين الله به عقدا ، اتباع سلف الامة .  
ميرمنا على ذلك بان الدليل السمي القاطع في ذلك ان اجماع الامة حجة  
متجسة ، وهو مستند الشريعة وقد جرح صاحب رسول الله صلى الله عليه  
وسلم على ترك التعريض لمعانيها وتذكر ما فيها وهم صفة الاسلام .  
والسنة في منعها الشريعة وكانوا لا يألون جهدا في ضبط قواعد الامة .  
والتوامي بحفظها ، وتعليم الناس ما يحتاجون اليه منها . ولو كان تأويل هذه  
الظواهر مشروعاً او محتوما لاوشك ان يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم  
بفروع الشريعة . واذا ثبت عنهم الاضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع  
نحو على كل ذي دين ان يعتقد تنزيه الباري عن صفات المحدثين .  
ولا يخوض في تسويل المشكلات . ويكل معناها الى السرب فليجر آية  
الاستواء ، والمجىء ، وقوله ( لما خلقت بيدي ) ( ويبقى وجه ربك ) وقوله  
( تجري بأمرنا ) وما صح من اخبار الرسول — صلى الله عليه وسلم —  
كخبر النزول وغيره على ما ذكرنا .

ويحسد ذلك ما ذهب إليه في كتابه ( فيك الامم ) وبالرغم من ان الكتاب مخصص لعرض الفقه السياسي الاسلامي وآرائه في منصب الخلافة او الإمارة ، فقد حرص في باب ( تفصيل ما الى الائمة والولة ) علي أن ينص على احد مهام الخليفة على صرف المسلمين من الخوض في المشكلات الكلامية وتوجيههم الى طريقة السلف فقال في هذا الصدد ( والذي اذكره الآن لائنا بقتضود هذا الكتاب ، ان الذي يحرص الامام فيه جمع عليه الخلق علي بذاهب السلف السابقين ، فيسل أن نبفت الاهواء وزاغت الآراء ، وكثوؤ رضى الله عنهم ، ينهون من التعرض للغوامض والتعمق في المشكلات .. الى ان يقول وما كثوؤا يتكون رضى الله عنهم عما تعرض له المتأخرون عن مني وحصر ، وتبلد في القرائح هيئات ا قد كثوؤا اذكى الخلائق اذها وأرجحهم بيانا . . (٦٨)

ورأى الغزالي أيضا في علم الكلام مدون في كتبه معروف مشهور لإسمها ( الاحياء ) فقد قال فيه ( وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفة ما على ما هي عليه ، وهيئات غايب في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ، ولعل التخييط والتفصيل فيه أكبر من الكشف والتعريف . . ) وإلى نفس المعنى يذهب في كتابه ( المنقذ من الضلال ) فم علم الكلام أيضا وقال بأن أدلته لا تفيد اليقين . وفي كتابه ( التفرقة بين الإيمان والزندقة ) صرح بتحرير الخوض فيه فقال ( لو تركنا المداينة لصرحنا بأن الخوض في هذا العلم حرام ) .

ومات الغزالي على خير احواله، مات على الصحيحين: صحيح البخارى وصحيح مسلم ، طالبا علم الحديث ، فتحول من الكلام الى طلب السنة من مصادرها الصحيحة .

أما الرازي — وهو المعبر عن المذهب الاشعري في مرحلته الأخيرة حيث خلط الكلام بالفلسفة — فقد نبه في أواخر عمره الى ضرورة اتباع منهج

---

(٦٨) الجويني — فيك الامم في الفياك الظلم ص. ١٤٠ — ١٤١ تحقيق د . مصطفى حلمي ود . نؤاد عبد المنعم ط دار الدعوة بالإسكندرية سنة ١٤٠٠ هـ .

السلف ، واعلم أنه أسلم المناهج بعهد أن دار دورته في طرز علم الكلام  
والفلسفة ، فقال في النهاية ( لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية  
فما رأيتها تشفى عليلا ولا تروى غليلا ، ورأيت اقرب الطرق القرآن اقرا في  
الاثبات ( الرحمن على العرش استوى ) ( واليه يصعد الكلم الطيب والعمل  
الصالح يرتفعه ) واقرا في النفي ( ليس كمثله شيء ) ( ولا يحيطون به علما )  
( هل تعلم له سويا ) ثم قال ( وهن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي )  
وكان يتمثل كثيرا الابيات التالية :

نهاية اقدام العقول عقلا	واكثر سعى المسائلين ذلالا
وارواحنا في وحشة من جسمونا	وحاصل بنينا اذى ووبالا
ولم نستمد من بحثنا طول عمرنا	سوى ان جمعنا له نية قبل وقتوا (٦٩)

وقال في وصيته ( احمد الله بالمحابد التي نكره بها افضل ملائكة في  
اشرف اوقات معارجهم ، ونطق بها اعظم انبيائه في اكمل اوقات مشاهدتهم .  
بل اتول ذلك من تاريخ الحنوث والامكان ، فاحمده بالمحابد التي يستحقها  
لالهيته ويستوجبها لكمال الاهيته ، عرفتها او لم امرتها . لانه لا مناسبه  
للقرات مع جلال رب الارباب ) . . الى قوله ( ولقد اخبرت الطرق الكلامية  
والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن  
العظيم ، لانه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى وينزع عن  
التعمق في ايراد المعارضات والناقضات ، وما ذلك الا للعلم بان العقول  
البشرية تتلاشى وتضمحل في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية ، ونكر  
في وصيته ايضا انه يدين لله تعالى بدين محمد صلى الله عليه وسلم . ويست  
الله تعالى ان يقبل منه هذه الجملة ولا يطالبه بالتفصيل (٧٠) .

---

(٦٩) ابن الوزير اليماني . في الروض الباسم في الذب عن سنة امي  
القاسم ج٢ ص ١٦٨ المطبعة السلطانية بالقاهرة سنة ١٢٨٥ هـ .  
(٧٠) ابن الوزير اليماني . الروض الباسم . . ج٢ ص ١٦٨ .  
وقد اورد نصوصا كثيرة اخرى تثبت رجوع ائمة الكلام الى  
طريقة السلف ، فنقل عن القرطبي في ( شرح مسلم ) ايضا ان =



وهكتمى بهذا القدر لبيان النتائج التي توصل اليها لكبر ائمة المتكلمين في المدرسة الاشعرية ، اذ تاكنوا بعد رحلة طويلة مع الكلام والخصوض في تطبيقه الى نتائج منسمة حيث وجدوا - كما ذكر الرازي - ان طريقة القرآن كائنية شافية ، وان طريقة اهل الحديث موصلة الى اليقين ، داعية الى الاطمئنان وثبات اليمين .

### تليم ابن تيمية لشيوخ الاشاعرة :

يري ابن تيمية ان شيوخ الاشاعرة اقرب الى الامام احمد تحقيقا وانتسابا . اما تحقيقا ، فان الاشاعرة اقرب الى مذهب السلف واهل الحديث في مسائل القرآن والصفات . كذلك فان انتساب الاشعري واصحابه الى احمد بن حنبل والمحدثين عموما ظاهرة واضحة في كتبهم (٧١) . ويقول ( ولهذا لما كان ابو الحسن الاشعري واصحابه منتسبين الى السنة والجماعة كان منتعلا للامام احمد ذاكرا انه يعتقد به متبع سبيله . وكان بين اعيان اصحابه من الموازنة والمؤالفة لكثير من اصحاب الامام احمد ما هو جوهري ) (٧٢) .

لنا عن سونقه من الامام ابي الحسن ، فان القائلين به لكتبه يلمس لعميتنا

---

الجويني كان يقول لاصحابه : يا اصحابنا لا تشغلوا بالكلام ، فلو عرفت ان الكلام يبلغ في ما بلغ ما تشاغلتم به . واوصى الكراييسي قبل موته واتباعه بقوله ( عليكم بما عليه اهل الحديث ، فاني رايت الحق معهم ) . وورد قول ابي الوفاء بن عقيل لامنحابه ( لقدس بالفت في الاسفل طول عمرى ثم حمت للفتوى التي سذهب اليها المكتب - يعني الذين يكتبون الحديث ويشتملون به ) . وايضا قول الشهرستاني ( عليكم بدين المجاز ، فانه اسنى الجوائز ) . ( المصدر السابق ص ٦٦٨ - ٦٦٩ ) .

وينظر ايضا نص الوصية التي اوردها الدكتور علي محمد حسن السبازي في كتابه ( الامام خضر الرازي - حياته وفتاواه ص ٧٥ ) ط المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة ١٣٨٨م ١٩٦٩م ) .

(٧١) ابن تيمية - شرح المعجزة الاصطلاحية ص ٦٨ .

(٧٢) ابن تيمية - نقض المنطق ص ١٣٧ .

رقة في نقده ، وذلك بسبب اقوال الاشعري المؤيدة لمذاهب اهل الحديث  
والسنة في عدة مواضع كالصفات والقدرة والامامة ، وردوده على المعتزلة  
والشيعة والجهمية . ولهذا يرى انه ينبغي ان يعرف لهذا الامام حقه وقدره  
عملا بقول الله تعالى (قد جعل الله لكل شيء قدرا) ، كذلك لان قبيله ينصره  
مذهب اهل السنة في وجه اهل البدع وتهمره للمخالفين يضعه في مرتبة  
المجاهدين (٧٣) .

ومع ان شيخنا لا يعد اتباع المدرسة الاشعرية سلفيين خلصا لان  
المذهب السلفي بالمعنى الدقيق يلفظ علم الكلام سواء على منهج المعتزلة  
ام بدع اشيوخ الاشاعرة ، الا انه يقر بوجود تقارب بين المذهبين كما  
قلنا ، ويراه يكاد يلحم عند المحدثين منهم خاصة : كابن عسكرا (٥٧١) .  
والبيهقي (٤٥٨) ، وللنورى (٦٧٦) حيث غلب عندهم جانب الحديث  
عن الاتجاه الكلامي . من جهة اخرى ، ينتسب الى الحضيلة ايضا من  
المتأخرين من يذهب الى شيء من التأويل . كابن عقيل (٥١٣) وابن الجوزي  
(٥١٧) (٧٤) . كذلك فقد شذت منهم تلة -- شأنهم في ذلك اتساع المذاهب  
والفرق جميعا -- حيث اتفقت مع ابن حنبل في الفروع وخالفته في بعض  
الاصول فائقين بالجهة والجسمية ولكن ( لحسد يرى عندهم واهل السنة  
والجماعة من الحضيلة لا يعدونهم منهم ) (٧٥) .

وفي نقده للمحدثين ، يرى ان ما يعيب بعض علماء الحديث يرجع الى  
الحشو الناتج عن الاحتجاج بأحاديث ضعيفة أو موضوعة ، او ما لا يصح  
الاحتجاج به . اما القاعدة السلبية التي ينبغي على المحدثين التقيد بها حتى  
يسلم منهجهم من الاخطاء والحشو ، فهي تتلخص في ضرورة تواتر علملين :  
احدهما : التثبت من صحة الحديث ، والثاني : فهم معناه (٧٦) .

- 
- (٧٣) ن . م . ١٦ .  
(٧٤) صلى الدين الحنفى -- القول الجلى في ترجمة شيخ الاسلام  
.. ص ٢٥٣ .  
(٧٥) ن . م . ١٢٧ .  
(٧٦) ابن تيمية -- نقض المنطق ص ٢٢ .

وهكذا استطاع مفكرنا باستخدامه لمنهج ( المعادلة والموازنة ) ان يحدد مدى الاقتراب والابتعاد عن طريقة السلف ، محاولا البرهنة على ان المحدثين الذين تنسحب الشروط السالف الاشارة اليها عليهم — هم المثلون الحقيقيون للمدرسة السلفية لانهم ( اعتمدوا في دينهم على استنباط النصوص لا على خيال فلسفى ، ولا رأى تيساسى ولا غير ذلك من الآراء المبتدعات ) (٧٧) .

اما سبب ذبوع المذهب الاشعرى في رأى شيخ الاسلام فيرجع الى العوامل الآتية :

- اولا — كثرة الحق الذى يقولونه وظهور الآثار النبوية عندهم .
- ثانيا — لبسهم ذلك بمقاييس عقلية — ظنوا انها صحيحة بينما هى في الواقع موروثه من تيار خارجى من الفلسفة وغيرها — وظنوا ايضا انه لم يمكن التمسك بالآثار النبوية في مواجهة المعتزلة بهذا الوجه .
- ثالثا — ضعف الآثار النبوية في عصورهم الموضحة لسبيل الهدى .
- رابعا — تقصير المنتسبين للسنة . ويحملهم ابن تيمية مسؤولية ما حدث ناقدا لبعضهم بقوله ( انهم تارة يروون ما لا يعلمون صحته وتارة يكونون كالأمية الذين لا يعلمون الكتاب الا أماتى ويعرضون عن بيان دلالة الكتاب والسنة على حقائق الامور ) (٧٨) .

#### طريقة السلف لعلم واحكم :

وبعد ، فان السلب على القضايا المتنازع اصبحت لها الصيغة التاريخية لان الاهتمامات الثقافية والعملية والدينية حينذاك هى الدائمة لجعلها الاولى بالبحث والمنالشة ، ولكن لهذه القضايا نفسها جانبيا مازال يستحق الاهتمام والدراسة باعتباره لقى الضوء على الصلة بين الاتجاهين النصى والعقلى ، ولا يمكن تجاهل النقائص الدائر بينهما ، فان الانسنان

---

(٧٧) ن . م . ٨١ .

(٧٨) ابن تيمية — فتاوى ج ١٢ ص ٢٢ .

بكوناته العقلية والنفسية وثقافته المصطبغة أحيانا بمنهجة العصر الذي يعيش فيه ، كل ذلك قد يؤثر عليه تأثيرا كبيرا عند تطلعه في البحث عن الحقيقة التي ينشدها . وإذا خصصنا المنظم المعاصر بالحديث ، فإتينا نراه يقف أمام القرآن الحكيم والسنة النبوية أحد موقفين : الأول التناثر بالفلسفات السائدة والمناهج التي تجعل من العقل المكاة الأولى في نظرية المعرفة ، ومن ثم يميل الى المنهج الاعتزالي ، وأن توسط في موقفه اختصار المنهج الأشعري .

والثاني - وأما البحث عن المنهج الصحيح للعقيدة موقنا بأنه من الخطأ العلمي والديني الاتصاف عن الأصل الثاني للإسلام وهو الحديث وتحري الصحيح منها في مصادرها ، وما أكثرها وأوثقها . وهنا ينبغي أيضا الاسترشاد بطريقة علماء الحديث والسنة ومعرفة منهجهم في النظر والاستدلال لإثبات صحة أصول الدين .

وفي بحث كهذا محدود الهدف ومحدد المنهج، رأينا توضيح التباين والتميز بين الاتجاهين : المعتزلي والأشعري من ناحية ، والسلفي من ناحية أخرى . وقد تبين لنا أن المعتزلة اعتزلوا السنة والجماعة ووضعوا لأنفسهم أصولا خمسة .

أما الأشاعرة - فإتبعوا عن عقيدة أهل السنة والجماعة وأعلنوا الانتماء اليهم - ولكنهم التزموا في منهجهم بصفة عامة بالمنهج الكلامي ، بحجة التوفيق بين النصوص الشرعية والأحكام العقلية ، وغلب عليهم تأويل النصوص الشرعية لتطويعها للأصول التي وضعها أهل الكلام قبلهم .

وإذا كانت دراستنا قد أوصلتنا الى انتهاء أغلب أئمة الأشاعرة سلفيين ، فإن ذلك يدل على اكتشافهم أن طريقة السلف هي العلم والأحكام . علينا الاستفادة من تجاربهم التي أمضوا فيها السنوات الطوال بحثا وتفكرا وتأملا ودراسة ، ويصبح من السرف أيضا في الوقت والجهد ، اتباع

طريقتهم الكلامية قبل رجوعهم منها ، لاسيما: وادينا مؤلفات علماء الحديث  
والسنة بعدهم ، اخلصوا في اظهار المنهج السليم والحقاق منه وبيان انه  
يستند الى الادلة الشرعية المقتضية .

وفي مقدمة هؤلاء يقف شيخ الاسلام ابن تيمية ، وسنحاول عرض  
منهجه بايجاز في الباب التالي .

## الباب السادس

### موقف ابن تيمية من القضايا الكلامية :

- حياته وعصره .
- منهجه .
- هدم المنطق الأرسططاليسى .
- الفطرة الانسانية وطرق المعرفة .
- الهدى والنبوات .

### موقفه ازاء القضايا الكلامية :

- الصفات الالهية .
- اثبات صفات الله تعالى وانعاله بالاحلة العظيمة والقاطعة .
- الميزان القسراتى
- قياس الاولى .
- من طرق الميزان القراتى — اللزوم والاعتبار .
- النبسوة .
- براءة ابن تيمية من تهمة التجسيم .



## دوقف ابن تيمية من القضايا الكلامية

### مقدمة :

ولد تقي الدين بن تيمية يوم الاثنين عاشر من شهر ربيع الاول سنة ٦٦١هـ في حران ونشأ في بيت علم أتاح له الاطلاع على التراث الاسلامي واستيعاب علوم المسلمين ، تميز علماء زمنه لتزده بالاحاطة الشاملة دونهم بأغلب هذه العلوم ... كالتفسير واللغة وحفظ السنن والآثار ، وعلم الفقه . والتاريخ ، والفلسفة وعلم الكلام وغيرها . وقد ساعدته مواهبه العقلية على بلوغ مرماه اذ كان يتمتع بذكاء حاد وحافظة ممتازة استطاع بهما ان يفهم ويعبر . من أعوص المسائل في الفلسفة والمنطق . وعلم الكلام واصول الفقه بحيث ارتفع انتاجه العلمي الى مصاف المتخصصين في هذه النشروع كلها . كما يذكر مترجموه . الى جانب خصائص أخلاقية تتبشّل في النهم والتشوق للمصرفة وقوة الجاد والصبر على قراءة ما يشبه الموسوعات ؛ بحيث مكنته من استحضار النصوص وقت الحاجة والاستشهاد بها وتأييد صحة آرائه . ويضاف الى ذلك انقطاعه للعلم انقطاعا تاما فلم تشغله صاحبة ولا ولد ، ولم يحل دونه منصب او يعوقه سعي لطلب مال او جاء لزهده وتقلله في معيشته . . وعندما اضطهد وسجن بسبب آرائه الجريئة التي ساقته اليها اجتهاداته المدعمة بالادلة ، انتهر فرصة سجنه واستمر في القراءة والبحث الى أن أجبر في فترة سجنه الأخيرة عن التخلي عن أدوات الكتابة . ومن أخلاقه الشخصية الدقة والامانة في رواية النصوص المنقولة من مصادرنا المختلفة نحفظ لنا صفحات كاملة من كتب تعد في حكم المفقودة . مع شجاعته في اعلان رايه مهما كويل من صنوف الاضطهاد بسببها ، وخوضه الممارك الحربية في مواجهة التتار وقيامه بحث الامراء على مقاومة حروبهم مهما كلفهم ذلك من نفوس وأموال .

للى العنت بسبب خصومته لعلوم الكلام والطعن في شيوخ الصوفية وتصفية آراء بعض الفقهاء ، كما انتقد مظاهر الاضطراب والضعف في عصره . لأنه عاش في وسط جو صاحب مليء بالخسروب والجارجية ومظاهر التخبث والاختلاف في الداخل بعد انهيار الخلافة العباسية في بغداد سنة



٦٥٦هـ وانقسام الدولة الاسلامية الكبرى الى ولايات متعددة ، تقامت بمصر والشام حينذاك دولة المماليك التي عاش في ظلها ابن تيمية ، وقد كتب لها ان تقوم بالنصيب الاوفى في خدمة الاسلام ودفاع المعتدين من المغول في الشرق والصليبيين في الشمال (١) .

ولم يال ابن تيمية جهدا في شن الضارة على النصرانية والباطنية في الشام ، لان السواحل الشامية انما استولت عليها النصارى من جهتهم وهم دائما مع كل عدو للمسلمين ، كما قام ابن تيمية بالسفارة لدى ملك المغول غازان .

وجمع في شخصيته صفات العظم المجاهد الذي ضحى — كما وصفه الشيخ المراغى — بفتح الدنيا لنصرة دعوته ، فانقاد انتقاد الرجل المشقى الذي كان يرى الاحكام الا لله ، وان الجماعة يجب ان تكون على التحول الذي شرعه الله ، فله في الدين رأى ، وله في الدولة رأى ، وله في السويفية رأى ، وله في رجال الكلام رأى ، وله في النصرانية رأى ، والباطنية رأى (٢) .

ومضى حياة حافلة في التاليف والجدل والجهاد بنفسه ضد القسار والافتاء ومحاربة البدع .

ومثل هذه الشخصية القذة لابد ان تتعرض للابتلاءات والمحن ، ولذا لقد استطاع خصومه اخذله السجن اكثر من مرة في حياته ، فكان موته بسجن قلعة دمشق عام ٧٢٨هـ (٣) .

والآن يحسن بنا ان نفصل هذه القصة : —

- 
- (١) المراغى — ابن تيمية ص ٥٩ ط الحلبي ( سلسلة اعلام الاسلام ) .
  - (٢) المراغى — ابن تيمية ص ٣٧ — ٢٨ .
  - (٣) ينظر كتاب المستشرق الفرنسي هنرى لاووست ( نظريات شيخ الاسلام في السياسة والاجتماع ) ترجمة الاستاذ محمد عبد العظيم وتقديم وتعليق د . مصطفى حطمي دار الانصار ٢٣٩٦هـ — ١٩٧٧م

### هياتته وعصره :

ولد الشيخ كما قلنا في بيت ثقافة اسلامية سلفية ، فان جده كان محدثا مشهورا ، وكذلك كان ابيه . يصف ابن تيمية جده بقوله ( كان جدنا عجبا في حفظ الاحاديث وسردها وحفظ مذاهب الناس بلا كلمة ، ويصنه بأنه كان معدوم النظر في زمانه ، راسا في الفقه واصوله (٤) .

اما ولده فانه ( اتقن العلوم والتي وصنف وصار شيخ البلد بمعد ابيه . . وكان محققا كثير الفنون ، وكان من انجم الهدى ، وانما اختلفى من نور القمر وضوء الشمس . ويشير الذهبي في هذا الوصف الى كل من ابيه وابنه (٥) .

وتلقى شيخنا الفقه والحديث والتفسير والعلوم الاخرى . وكان مضرب المثل في قوة الحفظ والذكاء . كما استطاع ان يستوعب ثقافة العصر كما قلنا ويجيدها ويحاجج أهلها عن مقدره ودراية . يصنه تلميذه الذهبي بأنه ( برع في الرجال ، وعلل الحديث ونقته ، وفق علوم الاسلام وعلم الكلام ، وغير ذلك . وكان من بحور العلم والاكفاء المستودين والزهاد الامراء . وسارت بتصانيفه الركبان ، لعلها ثلاثمائة مجلد (٦) .

وكان عصره يموج بالتيارات السياسية العنيفة ، فان حروب القتل التي بدأت تنزو البلاد منذ عام ٦١٦هـ — ١٢٢٩م ، وظلت امواجها تتلاحق دفعة وراء الاخرى عبر السنوات الطويلة حتى سنة ٦٨٠هـ — ١٢٨١م حيث

(٤) ابن تيمية — جلاء العيينين في محاكمة الاحمد بن محمد ١٨ .

(٥) ن . م . ١٩ .

(٦) الذهبي — تذكرة الحفاظ ج١ ص ٢٨٨ . وقد لاحظ لاوست وحدة النظرة الدينية عند ابن تيمية في توتها ودوامها ( حيث كتبت الامكار التي عرضها في مطلع بجر تليفه هي نفس الامكار التي تناولها شرحا وتفصيلا في سائر تواليه المتأخرة ) ص ٨٢٥ من كتاب لسبوع الفقه — ابن كثير — البداية ج١٢ ص ٨٢ .

وصلت الى حياه ، واشترك ابن تيمية بنفسه في أحد المعارك ، الى جانب صراع الماليك على السلطة في الداخل .

وكان سقوط بغداد عام ٦٥٦هـ — ١٢٥٧م على أيدي التتار هو النتيجة الطبيعية التي تخضع عنها ضعف الدولة العباسية ، لانها بدأت منذ أواخر القرن الرابع ، وأوائل القرن الخامس ( وكأنها جدار يريد أن ينقض وكان لابد لها أن ينتهي الى إحدى النهيتين : الى الانحلال التام والفناء أو اليقظة والاحياء ) (٧) . ولكن مع الاسف انتهت الى ما نعرفه من انقسام الدولة الاسلامية الكبرى الى دويلات عديدة ، وعاصر ابن تيمية دولة الماليك .

وكان للشيخ دور بارز في مقاومة الغزو التتاري وهذا يعطينا فكرة عن ارتباط العقيدة بالعمل عنده . وقد أفرغ ما في جعبته من آيات واحاديث لحث المسلمين على الجهاد ، وتخليصهم من روح اليأس والهزيمة التي دفعت بجموع كبيرة منهم الى الفرار هربا من جحافل الجيش التتاري ، الذي شرب من كأس النصر حتى الثمالة ، وانتشى بروح السيطره والتفوق .

وفي مقابل الحرب والغزو الخارجي الذي ملأ التاريخ بصفحات عديدة للباسى والكوارث التي أصابت العالم الاسلامي ، كانت هناك في الداخل تيارات عدائية تمثل في روح الهزيمة ، وروح اليأس ، وترويج الاشاعات التي تروغ القلوب وتظلمها لكي يسلم الناس دون قتال . يقول ابن كثير ( وأشاع المرجفون بأن التتر وصلوا الى حلب ، وأن نائب حلب تفهر الى حياه ، ونودي في البلد بتطبيب قلوب الناس واتبالهم على معايشهم ) (٨) .

ومما زدا الامر سوءا في هذا العام — أي عام ٥٧٠٠هـ — ١٣٠٠م حيث بدأ التتار يقصدون بلاد الشام — ان هذه البلاد شهدت شتاء قارسا ممسا أدى الى صعوبة الهجرة ( حيث جعلوا يحملون الصغار في الوهل الشديد

(٧) د . جمال الدين الشيال — تاريخ الدولة العباسية ص ٨٩ .

(٨) ابن كثير — البداية والنهاية ج ١٤ ص ٩٥ .

والمشقة على الدواب والرقاب ، وقد ضعفت الدواب من قلة العلف ، مع كثرة الأمطار والزلق والبرد الشديد والجوع وقلة الشيء (٩) .

رأى ابن تيمية هذه الظروف المعصيبة التي تضاعفت فيها توالي انتصارات الأعداء ، مع ضعف المسلمين وبأسهم ، ومسا زاد الطين بلة الأحوال الجوية التي جرت على غير المألوف . وهنا يتجلى إيمان الشيخ ، وتظهر آثار التشيع بالروح السلبية فعالة قوية ، في الوقت الذي كان بعض الفقهاء غيره يتركون تمسقهم مرارا بأنفسهم ومثلاتهم أذ ( كان قد خرج جماعة من بيوتات دمشق ، كبيت ابن مصري ، وبيت ابن فضل الله وابن منجا وابن سويد وابن الزمكاني وابن جماعة ) (١٠) .

وبذل الشيخ جهدا كبيرا ليوقف في وجه كل العوامل التي تدعو إلى الهزيمة واليأس ، معلنا على الملأ آراءه الكفيلة بتحويل الهزيمة إلى نصر . فتأخذ يحرض الناس على القتال بدلا من الفرار ( وسائق لهم الآيات والاحاديث الواردة في ذلك ، ونهى عن الإسراع في الفرار ، ورغب في اتفاق الأموال في الذب عن المسلمين وبلادهم وأموالهم ، وأن ما ينفق في اجراء الهرب إذا اتفق في سبيل الله كان خيرا ) (١١) .

كذلك سافر بنفسه إلى مصر لحث السلطان على الدفاع عن الشام ، واقتنعه بضرورة تجهيز الجيش لهذا الغرض . وجاء ضمن أقواله للسلطان في هذا الصدد ( لو قد أنتم لستم حكام الشام ولا ملوكه ، واستتمركم أهله ، وجب عليكم النصر ، فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه ، وهم رعييتكم وأنتم مسئولون عنهم ) (١٢) .

وعندما حان أوان المعركة المرتقبة بأرض الشام ، ووصلت جهات التنسار إلى حمص وبعليك ، ولم يكن جيش مصر قد وصل للتجدة بمعد ،

(٩) ن . م . ١٥ .

(١٠) ابن كثير — البداية والنهاية ج ١ ص ١٤ .

(١١) ن . م . والصفحة .

(١٢) ن . م . ص ١٥ .

تخبط الناس ومسهم الفرع والذعر ، وماندوا يتحدثون عن التقهر ، ولكن ابن تيمية عاد ينفث من ثوة ايمانه في صدور الامراء والجنسد ، مؤكدا لهم النصر ، متأولا قوله تعالى ( ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم ينصرت الله ان الله لعفو غفور — الحج — ٦٠ ) ، واذا ما طلبوا منه ذكر مشيئة الله ، اجابهم ( ان شاء الله تحقيقا ، لا تعليقا ) (١٣) .

ابا من تردد بعض المسلمين في حرب التتار لانهم اعلنوا الاسلام تظاهرا ، فقد اوضح لهم شيخنا هذا اللبس ، اذ ان التتار عنده كالخوارج الذين خرجوا على على ومعلوية ، زاعمين انهم احق بالرياسة منها . وكذا يفعل التتار ، فبينما هم يتلبسون بالمظالم والمعاصي ( يزعمون انهم احق باقامة الحق بين المسلمين ) .

وحتى لا يدع مجالا للشك في صحة رايه لاندخال انطمانينة والتبسات في قلوب المترددين ، اعلن لهم في وضوح قاطع ( اذا رايتوني من ذلك الجانب — يقصد التتار — وعلى راسي مصحف فاقتلوني ) (١٤) .

وقاتل الشيخ مع الجند ، حاثا اياهم على الانطار في شهر رمضان ، لان الفطر اقوى لهم ، وذلك تشبها بالمسلمين حين افطروا عام الفتح تنفيذا للنصيحة الرسول صلى الله عليه وسلم (١٥) .

#### خاتمه :

انصف الشيخ بكماتم الاخلاق . ابا من حدة الطبع التي يوصف بها كتاباته وشدهته في نقد المذاهب والطوائف المخالفة للسنة .

فلو اتع ان الرجوع الى مراحل حياة الشيخ ، والاطلاع على التهم

(١٣) ن . م . ص ٢٢ .

(١٤) ابن كثير — البداية والنهاية ج ١٤ ص ٢٤ .

(١٥) ن . م . ص ٢٦ .

التي كذبت اليه ظلما ، وما نسب اليه زورا وبهتاناً (١٦) . كل هذا دمج  
بالشيخ الى الثورة على المظالم التي أحدثت به .

ويزيد الامر ايضا ، ما يحدثنا به من نفسه فيقول ( فان الناس  
يعلمون اني من اطول الناس روحا وصبرا على مر الكلام ، واعظم الناس  
عدلا في المخلطة لاقل الناس ) (١٧) . نعيم اذن يفسر ثورته وعضيه ؟

هنا يجيب قائلا ( نعتي ظلم المخاطب ، لم تكن مأمورين ان نجسه بل  
هي احسن ، بل عنف ابو بكر الصديق رضي الله عنه عروة ابن مسعود  
بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم لما قال — اني لارى اوباشا من الناس  
خليقا ان يفسروا ويدمكوا ، واجابه بحدة بالفسة الشدة ( اتحن نقر عنسه  
وتدمه ) (١٨) .

وفيما جدا هذا ، نقد كان الشيخ بسلاما ، مطبقا لاختلاجات الاسلام  
في العفو وتصفية قلبه من الاحقاد والضغائن ، اذ لما انتقلت الاوضاع  
السياسية وحل الملك محمد بن الملك المنصور قلاوون ، بدلا من الظلم  
للجاشنكير بيبرس — وكان يكن للشيخ المحبة والتقدير في بداية حكمه — طلب  
منه ان ينتهي بقتل بعض القضاة — الذين امتسوا بعزله عن الملك لئلا  
الجاشنكير — نابي ، بل دافع عنهم بقسوة ( اذا تظنت هؤلاء ، لا نجسد  
بعدهم مثلهم ) (١٩) ، فلما ذكره الملك بانهم سبق ان آذوه ، وارانوا قتله  
مرارا ، اجاب ( من آذاني فهو في حل ) (٢٠) .

وازاء هذا التصرف ، اضطر ابن مخلوف قاضي المالكية الى الاعتراف  
بأنه لم ير مثل ابن تيمية ، لانه حرص عليه فلم يقدح عليه ، فلما قدر عليهم

---

(١٦) يقول ابن تيمية ( وكان قد بلغني انه زور على كتف ، . . . ويقول  
( انا اعلم ان اقواما يكتبون علي ) ص ٢٠٧ من كتف العسوة  
الدرية لابن عبد الهادي .  
(١٧) محنة الشيخ ص ٤٤ .  
(١٨) ن م . والصفحة ٢٠١٩ ابن كثير ص ١٤٥ .

جميعاً صفيح عنهم ، وحاجج عنهم(٢١) . وهذا صحيح . لاننا لو عقدنا مقارنة بين حديث هذا القاضي بعد ان زال عنه الصولجان ، ووصف ابن تيمية له في السجن ، لظهر الفرق بين الرجلين ، اذ يقول عنه ( وابن مخلوف ولو عمل مهمل عمل — والله ما أقدر على خير الا وأمله معه . . فأتى أهمل ان الشيطان ينزغ بين المؤمنين ، ولن أكون مؤمناً للشيطان على أخواني المسلمين(٢٢) II

فإذا ما انتقل من هذه العلاقة الخاصة مع خصمه القاضي ونظر الى المسلمين بعامة ، فإنه يدعو لهم بالخير في دينهم ودنياهم ، ويجب أن يراهم وقد اختلفت من بينهم بذور الفتن والخلاف ، فلن ( ينقطع الدور وتزول الحيرة ، الا بالانابة الى الله والاستغفار والتوبة ، وصدق الالتجاء ، فإنه سبحانه لا ملجأ منه الا اليه ، ولا حول ولا قوة الا بالله )(٢٣) .

كذلك يعلن انه لا يهدف الى تحقيق فرض دنوي ، ولا يطمح في تحقيق منصب ، او جاه ، او الحصول على اموال ، فإنه ( لم يقبل من احد شيئاً من النفقات السلطانية ، ولا من الكسوة ، ولا من الادارات ولا غيرها ، ولا تدنس بشيء من ذلك )(٢٤) ، فهو يسعى الى تحقيق ما يحبه الله ورسوله ، فإذا ما قابلته بعض الخصومات ، فإنه لا ينظر اليها نظيرة شخصية خاصة ، وإنما يتحمل كل الصعاب في سبيل هدفه العظام الذي عاش من أجله ( نحن إنما ندخل فيما يحبه الله ورسوله والمؤمنون ، ليس لنا فرض مع احد ، بل نجزي بالسيئة الحسنه ، ونعفو ونغفر )(٢٥) .

وكانت حياة الشيخ برهاناً على صدق قوله ، واقتران العلم بالعمل ، أنه تمكن من خصومه كما بيّننا فلم يصيبهم بأذى ، وعندما سجنه الملك الناصر ، أصبح ذلك دليلاً على أنه انه لم يحاول ان يستمد قوته من الامير ،

- 
- (٢١) ابن كثير — البداية والنهاية ج١٤ ص٥٤ .  
(٢٢) محنة الشيخ ص٥٩ .  
(٢٣) ن . م والصفحة .  
(٢٤) ابن كثير — البداية والنهاية ج١٤ ص٤٣ .  
(٢٥) محنة الشيخ ص٥٨ .

بل كان يعلن ما يراه حقا ( ولو كان يسندها من الناصر ما القاه في غيابه السجن ، فكان هذا هو الحليل القاطع على انه متبوع لا تابع ، وحر سمد نفسه ، وليست نفسه ولا فكره ملكا لاحد(٢٦) وبذلك نراه يتخلق باخلاق العالم المسلم .

### منهجه :

تكاد تنحصر معالم المنهج لدى ابن تيمية في مميزات ثلاثة - احدها اثبات اتفاق الدليل العقلي مع الدليل النقلى ، والثانية رفضه لمطلحات المتكلمين والفلاسفة واخضاعها للمعاني الاسلامية قبل البيت في قبول استخدامها او رفضها لان التعبير عن حقائق الايمان بعبارة القرآن اولى من التعبير عنها بالفاظ محدثة فيها اجمال واشتباه ونزاع ، الثالثة هدمه للمنطق الارسططاليسى واستبعاده .

فيالنظر الى الدليلين العقلي والنقلى فان التعارض يأتى بسبب ضعف احدهما او كليهما اما الدليلان القطعيان فلا يجوز تعارضهما سواء كانا عقليين او سمعيين او احدهما عقليا والآخر سمعيا ، لان القرآن دل على الادلة العقلية وبينها ونبه عليها ونستطيع ان نستدل بالآيات العديدة على الامر بالتدبر والفهم والتأمل . ولكن ابن تيمية يشترط الا تقدم العقل بالاطلاق يرى ان الجزم بتقديم الدليل العقلي ظاهر الفساد بالضرورة لان وجود الله سبحانه وتعالى لا يتوقف على وجود الانسان بلا عقله المخلوق ، وقد جاءت آيات الله السمعية والعقلية العيانة والسماعية كلها متوافقة متصادمة لا يناقض بعضها بعضا .

واذا تكلم اهل الكلام فيما يسونه بـ ( اصول الدين ) كمسائل التوحيد والصفات الالهية والنبوة والقدر والمعاد وغيرها ، فلا بد ان يكون المبين الاول والشارح لها هو الرسول صلى الله عليه وسلم مادامت باعترافهم اسولا في الدين ، ولا حجة لهم بالاستمسك بدعوى ( الادلة العقلية )

---

(٢٦) محمد أبو زهرة - التعريف بابن تيمية ص ٦٩٠ من كتاب اسبوع الفقه الاسلامى .



لأنه كان ( صلى الله عليه وسلم ) يتمتع بأكثر العقول وأعلام ذكاء ومحنة ، وهو — كغيره من الأنبياء الذين خاطبوا عقول البشر وتسلحوا بأدلتها المتوافقة مع النظرة ناخبروا الأمم التي بعثوا إليها بمجيزات العقول > بمحالات العقول .

وقبل استخدام المصطلحات الكلامية والفلسفية كان على ابن تيمية توضيح مدلولاتها لاسيما ما تردد كثيرا بحكم الغضاسيا المعروضة للبحث والمناقشة كالتأويل مثلا ، فالتأويل لغة ما يؤول الأمر إليه ان كان موافقا لدلول اللفظ ومفهوما في الظاهر ، او تفسير الكلام وبيان معناه وان كان موافقا له . او صرف اللفظ من الأمثال الراجحة الى الاحتمال المرجوح . ويظهر معنى التأويل الذي استكثر الله بعلمه وهو الحقيقة التي لا يعلمها الا هو كصفة النزول والاستواء والمجيء والاثيان فلا نعرف كيفيتها — فان ذات الله سبحانه ليست كذوات المخلوقين وكذلك صفاته وأعماله ليست كصفات المخلوقين وأعمالهم .

وعارض الفلاسفة التي اعتبرها اسلامية مجازا لانها في أصلها يونانية . وكان يشير دائما الى أن الرومان واليونان مشركين كانوا يعبدون الهياكل والاصنام الارضية ومنهم أرسطو وأمثلة من الفلاسفة المشائين .

كذلك في مناقضاته مع المتكلمين ، عارض الألفاظ والمصطلحات التي استخدمها علماء الكلام لانها لا تعطى مدلولات اسلامية صحيحة ، ولكنه لم يعارض استخدام الأدلة العقلية ، بل ذهب الى خطأ التسول بان الأدلة الواردة بالكتاب والسنة مجرد أدلة عقلية ، فذهب الى أنها عقلية أيضا — أي أن العقول تجيزها فترتها مستندا لآيات القرآن المنوطة بشأن المعقل كقوله تعالى ( ان في ذلك لآيات لاولى النهى ) أي العقول وقوله عز وجل ( هل في ذلك قسم لذي حجر ) لذي عقل وقوله عز وجل ( ماتتون يا اولى الألباب ) وقوله سبحانه وتعالى ( ان شر الثواب عند الله السم البكم الذين لا يعتلون ) فان الله سبحانه وتعالى مدح واتنى على نوى العقول وبالعكس

ثم غيرهم ممن لا يسمع أو يعقل في قوله تعالى عن أهل النار (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) (٢٧) .

وسياتي بيان ذلك كله عند حديثنا عن طرق القرآن .  
الواجب إذن أن يجعل ما أنزله الله من الكتاب والحكمة أصلا في جميع أمور الدين فإن القرآن جعله الله تعالى شفاء لما في الصدور . ومن هنا عارض كافة البدع التي يعارض بها الكتاب والسنة التي يسميها أهل الكلامات وعقليات وفلسفات أو ثوقيات ووجدنيات وحقائق وغير ذلك لابد أن شتم على ليس حق بباطل وكتمان حق .

ويحلل ابن تيمية ظهور البدع الكلامية والصونية والفلسفية بسبب احدها ذاتي والآخر خارجي : —

**فالأول :** ابتداء الفاظ ومعاني جعلوا هي الأصل المعقول المحكم وساروا في طريق التأويل تبعا لما اعتقدوه صحيحا وفقا لاحكامهم العقلية .

**والخارجي :** وموجزه انه قد نغى آثار الرساله في بعض الامكنة والارمنة حتى لا يعرّفون ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم : فلما ان لا يعرّفوا اللفظ واما ان يعرّفوا اللفظ ولا يعرّفوا معناه .

اما طريقة القرآن الحكيم في الجدل فقد تضمنتها الآية الكريمة في قوله تعالى ( ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ) حيث انها راعت حال المخاطبين حسب احوالهم لان الاتساق له ثلاثة احوال : —

اما ان يعرّف الحق ويعمل به فيدمى بالحكمة ، واما ان يعرّفه ولا يعمل به ، اذ تخالفه نفسه فهذا يوعظ بالموعظة الحسنة ، فهاتان هما الطريقتان — الحكمة والموعظة . وعلمة الناس يحتاجون الى هذا وهذا .

من النفس لها هوى يدعوها الى خلاف الحق وان عرفته فالناس يحتاجون الى الموعظة الحسنة والى الحكمة . فلا بد من الدعوة بهذا وهذا .

ولكن النوع الثالث من الناس لا يعرف الحق فنسب بل يعارضه . ولهذا فلا يدعى بالجدل بل هو من باب دفع الصائل فاذا عارض الحق معارض جودل بالتى هي احسن ولهذا قال ( وجادلهم ) فجعله فعلا مأثورا به مع قوله ( ادعهم ) فامرهم بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وامره ان يجادل بالتى هي احسن وقاتل فى الجدل بالتى هي احسن ولم يقل بالحسنة كما قال فى الموعظة لان الجدل فيه مدافعة ومغاضبة فيحتاج ان يكون بالتى هي احسن حتى يصلح ما فيه من الممانعة والمدافعة .

وهكذا فان مقصود القرآن بيان الحق ودعوة العباد اليه لا الجدل بعير علم ، فهذا مما نبه الله تعالى بقوله ( ما انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ) (٢٨) .

كذلك من سمات منهجه — الاكتفاء بالقرآن والسنة — ففيها بيان كاف لما يحتاج اليه الانسان فى معرفة الدين وتنظيم المعاش فى الدنيا ، واستلزم منه هذا التصور ان يجمع فى مؤلفاته بين المباحث التى شغلت المتكلمين والفلاسفة والصوفية . فلأخذ يناقش كل طائفة مستدلا على صحة اقواله بالآيات والاحاديث ، مثبتا ان فى هذين المصدرين وحدهما كافة ما يحتاج اليه من معارف فى أمور الدين ، وانها يعبران من ذاتية الاسلام فى مواجهة كل الآراء والنظريات والفلسفات التى ابتدعها البشر على اختلاف طرقهم فى البحث والاستدلال .

قال شيخ الاسلام فى هذا المسدد ( ومن تأمل ما تكلم به الاولون والآخرين فى اصول الدين والعلوم الالهية وامور المعاد والنبوات والاخلاق والسياسات والعبادات وسائر ما فيه كمال النفوس وصلاتها وسعادتها ونجاتها ، لم يجد عند الاولين والآخرين من اهل النبوات ومن اهل الراى كالفلسفة وغيرهم الا بعض ما جاء به القرآن . ولهذا لم تحتج الامة مع رسولها وكتابها الى نبي آخر وكتاب آخر ، فضلا عن ان نحتاج الى شيء

لا يستقل بنفسه غيره ، سواء كان من علم الحديث والمهين أو من أرباب  
النظر والقياس الذين لا يهتمون مع ذلك بكتاب منزل من السماء ٢٩١ .

وسنعرض فيما يلي بالتقريب لتفاصيل منهج شيخ الإسلام الذي برهن  
به على ضرورة الاكتفاء بطرق القرآن وأدلتها العقلية التقنية المنقولة به  
الفطرة الانسانية .

وكانت عناية الشيخ الفائقة متجهة الى هدم المنطق الارسطي  
واستبعاده ونقض حدوده وتضيائه والى القاريء فكرة مخصره عن ذلك .

وكان يحاول أيضا التقريب بين وجهات النظر مادامت الأصول المنطقية  
عليها واحدة ، اذ بالرغم من الخصومات العنيفة الحادثة بين الفرق والمذاهب  
في عصر شيخ الإسلام ، فإنه حاول التقريب بين الاتجاهات المتقاربة اذ وجد  
مواضيع الالتقاء كثيرة ، لما ظهر الاتفاق في الأصول وافضى عن الخلافات  
في دقائق المسائل التي تخفى على الكثير فان الكلام في مسأله الكلام :  
مقول أكثر الانام ودوامه في ذلك ان الله تعالى امرنا بالجماعه  
والاتلاف ونهانا عن الفرقة والاختلاف فقال لنا في القرآن : واعصوا  
بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ) .

وقال ( ان الذين نرتوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء .

وقال ( ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات )

وكان يبرز امام مخالفيه الأصول الكبار المتفق عليها فيذكرهم بان رسالته  
واحد وكتابنا واحد ونبينا — صلى الله عليه وسلم — واحد . وتسعون  
الدين لا تحتمل التفرق والاختلاف (٣٠) .

وفي إحدى مرات النقاش والجدل قال لمخالفيه :

(٢٩) ابن تيمية — جواب اهل العلم والايمن من ٤٤ — ٤٥ ط دار  
الكتب العلمية بيروت ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م .

(٣٠) ابن تيمية — شرح العقيدة الاصنهاية من ٦٣ .

لا شك ان الفلاس يفتازمون ، يقول هذا ( انا حنبلي ) ، ويقول هذا . انا اشعري ) ويجرى بينهم تفرق وفتن واختلاف على أمور لا يعرفون حقيقتها .

ثم شجب هذا الاختلاف والتفرق آتيا بما يثبت اعتناق الاشعري بعد رجوعه من الاعتزال عقيدة الامام احمد بن حنبل مؤيدا ذلك بما اعلنه ابو الحسن الاشعري نفسه في كتابه ( الابانة ) وما حكاه عنه ابن عساکر في كتابه ( تبیین کذب المفتري فيما ينسب الى الشيخ ابي الحسن الاشعري ) .

وقال :

وانا قد احضرت ما يبين اتفاق المذاهب فيما ذكرته ، ولم يصنف في اخبار الاشعري المحبودة كتاب مثل هذا ، وقد ذكر فيه لفظه الذي ذكره في ( الابانة ) ( ٣١ ) .

### هدم المنطق الارسططاليسي واعلاء الميزان القرآني :

لعل من ابرز معالم منهج شيخ الاسلام ابن تيمية هو هدمه للمنطق الارسططاليسي وتقويضه من اساسه ، مقدم بذلك خدمة لا تقدر — لا للمعتدة واللكر الاسلامي لحسب — بل اسهم في انتشار فلسفة اوريا وحضارتها من عقم المنطق الصوري وعرقلة للعقل البشري ، بها الى المنهج الحقيقي الوحيد الصحيح للتقدم العلمي والمعارف الصحيحة الا وهو المنهج التجريبي . ويرى استاذنا الدكتور النشار — رحمه الله — انه ليس هناك في الحقيقة من تكلم — فيما قبل العصور الحديثة — بها تكلم به ابن تيمية . لقد وصل الى اوج الدرج في فلسفة المنهج التجريبي ، بنقده للمنطق اليوناني القياسي وبدموته الى المنطق الاسلامي التجريبي وعبر عن روح الحضارة الاسلامية الحقبة . ويصف الى ذلك رأى الشيخ مصطفى عبد الرازق بقوله

---

(٣١) ابو المعالي السلمي : غلبة الاماني في الرد على التبهايتي جا  
ص ٢٨٩ .

( ان الدراسات المنطقية لو سارت منذ عهد ابن تيمية على نهجه و ...  
يبدل الشرح والتعمق ، لكنا بلغنا بها من ارتقى مبلغا عظيما (٣٢) .

وقد نقد ابن تيمية بشدة المنادين بتطبيق المنطق الرسطي  
وللمعجبين به في العالم الاسلامي باعتباره القاتون الذي يعصم الدهر .  
الوقوع في الخطأ ، فأنظر بكتابه ومناقشاته العميقة لحدود هذا المنهج  
وطرق استدلاله — أظهر أنه لا يجوز لعقل ان يظن ان المزار العقلي الذي  
انزله الله هو منطق اليونان للاساليب الآتية : —

اولا — ان الله تعالى انزل الموازين مع كتبه قبل ان يخلق ابوس .  
في عهد نوح وابراهيم وموسى عليهم السلام وغيرهم ، وهذا المنطق اليوناني  
وضعه ارسطو قبل المسيح بثلاثمائة سنة فقط ، فكيف كانت الامم المتقدمة  
ترن به ؟ ويثبت بذلك ان الله تعالى خاطب الامم بالميزان العقلي . ما  
الوحي المنزل قائم على أدلة العقول (٣٣) .

ولما كان القرآن الكريم هو الكتاب الالهي الاخر للبشرية . فقد عذ  
من شأن العقل ، وجعله أساسا للتكليف فان مطلوب العقل أو الحضور  
غير مكلف وقد رفع عنه العتاب ، ولا يصح ايمانه ولا صلانه ولا مجبه  
ولا شيء من أعماله ، فان الأعمال كلها لا تقبل الا مع العقل فمن لا عقل له  
لا يصح شيء من عباداته — لا فرائضه ولا نوافله — ومن لا فريسه له  
ولا نافله ليس من أولياء الله تعالى .

ولهذا قال تعالى ( ان في ذلك لايات لاولى النهى ) اي العقول . وقال  
تعالى ( هل في ذلك قسم لذي حجر ) اي لذي عقل ؟ . وقال تعالى ( فأتقوا  
يا اولى الابواب ) وقال تعالى ( انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ) .

ويتضح من آيات قرآنية أخرى ان الله تعالى قد مدح واتق على من  
كان له عقل فأما من لا يعقل فان الله لم يحمده ولم يثن عليه ولم يذكره بحبر

(٣٢) د . علي سامي النشار — مناهج البحث عند ملكري الاسلام .

واكتشاف المنهج العلمي في العالَم الاسلامي ص ٢٨٩ ، ٢٠٣ .

ط دار المعارف ١٩٦٥ م .

(٣٣) السيوطي — صون المنطق ج ٢ ص ١٥٧ .

كَلْمًا ، بل قال تعالى عن اهل النار ( وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير ) وقال ( ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ) . وقال سبحانه ( ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون ) . وقال ( ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ان هم كالانعام بل هم اضل سبيلا ) (٣٤) .

ثانياً — كان السلف من هذه الامة يستخدمون الموازين العقلية التي بينها القرآن الكريم ولم يلجا احد منهم الى المنطق اليوناني الذي لم يعرف في العالم الاسلامي الا بعد الترجمة في عهد دولة المأمون او قريبا منه .

وقد لجأ ابن تيمية لاستخلاص طرق الحجاج العقلي من القرآن الحكيم مستندا الى مواقف الرسل والانبياء عليهم السلام مع الكافرين ، فقد ذكر الله تعالى في كثير من السور القرآنية المناقشات التي دارت بين الملوك والعلماء التابعين لهم من ناحية والرسل من جهة اخرى ، ولذلك فقد اعطينا القرآن بما دار مع المماندين ، فنذكر في كتابه في غير موضع قصص فرعون والذي حاج ابراهيم في ربه لما اتاه الله الملك ، والملا من قوم نوح وماذا وغيرهم من المتكبرين المكذبين للرسل ، اخبرنا برؤود علمائهم ، كقول الله تعالى ( فلما جئتهم رسلهم بالبينان فرحوا بها عندهم من العلم وحقاق بهم ما كانوا به يستهزئون ، فلما راوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكسرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون ) (٣٥) .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما ( كل سلطان في القرآن فهو حجة ) وقد قصت لنا سورة ( غافر ) احوال مخالفي الرسل من الملوك والعلماء ، مثل اقوال الفلاسفة وعلمائهم ومجادلتهم واستكبارهم مما يشكل عبرة لمن ابنى بعدهم .

(٣٤) ابن تيمية — مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية المجلد العاشر

ط الرياض ص ٣٥ .

(٣٥) السيوطي — صون المنطق ج ٢ ص ١٥٧ — ١٥٨ .

وكذلك في سورة الانعام وعلية السور المكية ومطائفة من السور المدنية ، فانها تشتمل على خطاب هؤلاء وضرب الامثال والمقاييس لهم . وذكر قصصهم وقصص الانبياء واتباعهم معهم . فقال سبحانه : ولمسد مكناهم ليها مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وانفدة عما اذن سمع . سميعهم ولا ائنتتهم من شيء اذ كانوا يجحدون بايات الله وحق بهم ما كتبه له يستهزئون (٣٦) .

ككيف يعقل ان يترك المسلمون هذه الحجج العقلية ويلجأون الى مسند انيونان ؟ لقد اغناهم الله عز وجل بالميزان التي انزلها الله مع الكتاب حيث قال ( الذي انزل الكتاب بالحق والميزان ) وقال عز وجل ( لقد ارسلنا رسلانا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ) وهي ميزان عادلة تتضمن احتساب الشيء بمثله وخلاله ، ليسوى بين المتماثلين ويسرق بين المختلفين بما جعله الله في نظر عباده ومعولهم من معرفة التماثل والاختلاف .

ويضاف الى القرآن الحديث ايضا ، وبهما تتبين الحقائق بالمقاييس العقلية والامثال المضروبة ، ويتبين طريق النسوية بين المتماثلين والفرق بين المختلفين ، ويتبين الانكار على من يخرج من ذلك ، كقوله تعالى : ( ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء بحياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ) وقوله سبحانه وتعالى : انجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون (٣٧) ؟

يتبين اذن مما تقدم ان حجج القرآن وادلته ميسرة مفهومة للناس وفقا للنظرة التي نظرهم الله تعالى عليها ، وبها يعرفون ويستدلون .

ويقتضى التوضيح الماينا اولا بنظرية ابن تيمية في المعسرة ثم شرح الاصطلاحات التي استقراها من القرآن الكريم وهي على الترتيب :

١ — الميزان القرآني .

٢ — قياس الاولى

٣ — دليل اللزوم والاعتبار .

(٣٦) فتاوى ابن تيمية ج١ ص ٢٨ — ٢٩ .

(٣٧) ابن تيمية — الرد على المنطقيين ص ٢٨٢ — ٢٨٣ .



### اولاً- الفطرة الانسانية وطرق المعرفة :

لا يمكن فهم عملية المعرفة الانسانية الا بالنظر الى الانسان ومكوناته ، ذلك ان تضخيم احد جوانبه على الجوانب الاخرى يؤدي الى اخطاء في التصورات ناشئة عن انحراف الفهم .

وبعد تصريف ابن تيمية للانسان مدخلا للنظر الى تفسير كيف تتم عملية المعرفة ، لان الاختلاف الاساسي في رايه بين الفلاسفة والمتكلمين من ناحية والصوفية والفقهاء من ناحية اخرى يرجع الى تجزئة القدرات الانسانية وعدم التصور الصحيح للانسان كما خلقه الله تعالى . ومن ثمة ان الاسلام جاء مخاطباً الفطرة الانسانية كما خلقها الله تعالى باعتبار الانسان حي حساس متحرك بالارادة — او انه علم وعمل ، عقيداً ومعبداً ، معرفة وسلوك ، فالتبث ابن تيمية ان الاسلام جاء موافقاً لهذه الثنائية في خلقه الانسان ، فيعلمه بكل ما هو حق ويأمره بالتباعد المعروف ، ويلفت نظاره الى الايات الكثيرة الدالة على وجود الله عز وجل ، وعلى حكمته وعذله ورخصته وقدرته وسائر الصفات والاسماء الكاملة له سبحانه ، كما انه لا يأمره الا بمعروف ، ولا ينهاه الا عن المنكر .

ويهتم ابن تيمية ببيان الصلة التي ينبغي ان تكون بين العبد وربّه حتى تستقيم الحياة ويسعد الانسان فيقول ( اما النفس فان لها قوة الارادة مع الشعور وهما متلازمان ، والنفس تقوم بمرادها ، وهو المعبود ، والله سبحانه هو المقصود المعبود وحده لا بمجرد ما تشعر به ) (٣٨) .

ويستند ابن تيمية الى النصوص يفسرها ويشرحها ، فالانسان قد سباه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ( اصطفى الاسماء حارث وهام ) فهو دائماً بهم ويعمل ، لكنه لا يعمل الا ما يرجو نفسه او دبع مشرته . وينطبق ذلك الوصف على من صحت نظرتة ، فالفطرة السليمة تعرف الحق وتحبسه وتطمئن اليه وتكذب بالباطل وتبغضه وتكره ، كما قال تعالى ( يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ) (٣٩) .

(٣٨) ابن تيمية — النبوات ص ٩٠ — ٩١ .

(٣٩) ابن تيمية — نقض المنطق ص ٢٩ .

ولكن المشاهد في أحوال كثيرة أن من الناس من يعلم أن شيئاً سيئاً  
ومع ذلك يفعله ، ويعلم أن شيئاً ينفعه ومع ذلك يتركه ، مما يمثل ذلك ؟  
يرى شيخ الإسلام أن ذلك عارضة ما في نفسه من طلب لذة أخرى  
أو دفع ألم آخر ، فأصبح جاهلاً ، حيث قدم هذا على ذلك ولهمسداً من  
أبو العالية ( متوفى ٦٠ هـ وهو من كبار التابعين ) سألت أصحاب محمد صل  
الله عليه وسلم عن قوله تعالى ( إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء  
بجهالة ثم يتوبون من قريب ) . (٤٠)

وإذا عدنا إلى مبدأ الثنائية في خلق الإنسان ، وعرفنا حقيقة أعداء  
بينه وبين الشيطان ، استطعنا الوقوف على أسباب أخرى للمعاصي  
والمعاصي ، لأن مبدأ العلم الحق والإرادة الصالحة من لمة أمك . ومبدأ  
الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة من لمة الشيطان ، وذلك تفسر قول الله  
تعالى ( الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه  
وخصلاً ) وقال تعالى أيضاً ( إنما ظلمك الشيطان يظوف أوليائه ) أي يخونكم  
أوليائه .

الأصل إذن أن الله تعالى خلق عباده على الفطرة التي إن ركبت عنى  
سجيتها عرفنت الحق وعملت به — لأنها جبلت على الصحة في الإدراك وفي  
الحركة (٤١) لذلك يأتي دور الرسل عليهم السلام بتكميل الفطرة الإنسانية  
لا بتغييرها . قال تعالى ( سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يسمي  
لهم أنه الحق . فصلت ) وهذا التطابق والتوافق بين آيات الله تعالى في  
الآفاق والآنفس يأتي متطابقاً مع الآيات القرآنية السمعية ( لأن القرآن  
الذي أخبر به عباده حق ، فتتطابق الدلالة البرهانية القرآنية والبرهانية  
العينية ويتصادق موجب الشرع المنقول والنظر المعقول )

ومما يساعد الإنسان في الوصول إلى معرفة الحق أن يهتدى بالطرق  
العقلية التي استخدمها القرآن الكريم والتوافق بين آيات الله تعالى في  
الآفاق وفي الآنفس — أي العينية والعقلية وكذلك السمعية .

(٤٠) ابن تيمية — نقض المنطق ص ٢٩ — ٢٠ .  
(٤١) ابن تيمية — منهاج السنة ج ١ ص ٨٢ والنوآت ص ٢٠٢ .

وينقد ابن تيمية الفلاسفة القائلين بأن العبادات التي أمرت بها الرسل مقصودها اصلاح النفس لتستعد للعلم الالهى وهو الحكمة النظرية في تعريفهم الذى زعموا انه كمال النفس ، او مقصودها اصلاح المنزل والدينه — اى الحكمة العلمية .

ويظهر تميز ابن تيمية في نقده للناطقة والفلاسفة عندما يربط في مناقشاته لهم بين العلم الالهى عندهم وعند المسلمين — فالعلم بالله هو العلم الاعلى ) ، ويتحقق هذا العلم على الوجه الصحيح باكمال ناحيته النظرية والعلمية ، ولا يقتصر الامر على ان النفس تكمل بمجرد العلم به فقط كما زعموه ، لان النفس لها قوتان : قوة علمية نظرية ، وقوة ارادية علمية ، فلا بد لها من كمال القوتين بمعرفة الله تعالى ، وعبادته .

وبناء على هذا التفسير يسقط زعم الفلاسفة — ويقصد ابن تيمية خاصة — بأن العبادات التي أمرت بها الرسل مقصودها اصلاح اخلاق النفس لتستعد للعلم الذى زعموا انه كمال النفس ، فيجعلون العبادات وسيلة محضة الى ما يدعونه من العلم (ولهذا يرون ذلك ساقطاً عن حصل المقصود ، كما تفعل الملاحدة الاسماعيلية ، ومن دخل في الالحاد او بعضه ، وانتسب الى الصوفية ، او المتكلمين ، او الشيعة ، او غيرهم) (٤٢) .

ويبدع ابن تيمية في تحليله لمكونات النفس الانسانية واشتمالها على القوة العلمية والقوة الارادية العلمية لكي يعطى العبادات مكانتها الصحيحة ودورها الفعال في العلاقة بين الانسان وربه ، فان عبادته — مسبحاته وتعالى — تجعب محبته والذل له .

تتميز ابن نظرية ابن تيمية بنظرة شمولية جامعة ، فالنفس لها قوة نظرية علمية ، وقوة ارادية عملية ، وهى مغطورة على معرفة الله عز وجل كذلك تعرف المعروف وتنسك المنكر ويؤيدها الملك بالعلم الحق والارادة السالحة ، بينما الاعتقاد الباطل والارادة الفاسدة من هواتف الشيطان .

وازاء هذا التصور للإنسان ومكوناته ودوامه النفسية ، لا تكفى المعرفة لأنها تتصل فقط بالقوة النظرية العلمية ، بل لكى يقف الانسان على قدميه مقاوما لاهواء وهوائ الشيطان ومعوقات سيره نحو الله تعالى لابد له من عبادة الله وحده لا شريك له ( والعبادة تجمع معرفته ، ومحبته والعبودية له . وبهذا بعث الله الرسل ، وانزل الكتب الالهية : كلها تدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له ) (٤٣) .

وبهذا يتبين انحراف قول الجهمية بان الايمان مجرد معرفة الله انفصلوا بين علم النفس وبين ارادتها وجعلوا الكمال في نفس العلم وان لم يصدقته قول ولا عمل — ولا اقترن من الخشية ، والمحبة ، والتعظيم وغير ذلك من اصول الايمان ولوازمه (٤٤) .

#### الهدى والبيئات :

تحدثنا من قبل عن نقد ابن تيمية للمتكلمين لاسيما في ظنهم بان الصحابة لم يكونوا اهل نظر ، واستخدامهم لاساليب كلامية بدعية مخالفة لاساليب القرآن في النظر والاستدلال العقلى . بينما استدلل القرآن الحكيم بالهدى والبيان والادلة والبراهين وهى تفنى عن مناهج النظر التى لاسيما اهل الكلام ، فان الله تعالى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ، وارسله بالآيات المبينات ومن المتفق ان يرسل الله رسولا يامر الناس بتصديقه ولا يكون هناك ما يعرفون به صدقه . وقال تعالى ( ان الذين يكتمون ما انزلنا من البيئات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ) ١٥٩ البقرة .

(٤٣) ابن تيمية — الرد على المنطقيين ص ١٤٤ — ١٤٥ .

(٤٤) ويلحظ الباحث ان ابن تيمية يشتد في خصومته للجهمية ويحملهم مسئولية الانحرافات كلها وانهم اصل البلاء الذى حدث بتفريق المسلمين شيئا واحزابا ويصنهم بقوله فهو لاء الجهمية من اعظم مبتدعة المسلمين ، بل جعلهم غير واحد خارجين عن اللتين وسبعين فرقة ، كما يروى ذلك عن عبد الله بن المبارك ، ويوسف بن اسباط ( الرد على المنطقيين ص ١٤٦ ) .

وينصل ابن تيمية المعاني القرآنية لكلمات البينات والهدى والفرقان كما يلي : —

١ — فان البينات جمع بينه وهي الأدلة والبراهين التي هي بينة في نفسها أي بديهيات وأوليات وضروريات وكلها الفاظ مترادفة تطلق منهجيسا على التواعد الأساسية للمعارف والعلوم ، وبها يتبين غيرها ، يقال بين الأمر أي تبين في نفسه ويقال بين غيره ، فالبين اسم لما ظهر في نفسه ولما اظهر غيره ، وكذلك البين كقوله فاحشة مبينة أي مطبقة . ومقدمات الأدلة تكون معلومة بنفسها كالمقدمات الحسية والبديهية ، وبها يتبين غيرها فيستدل على الخفى بالجلي والهدى أيضا هو بيان ما ينفع به الناس ويحتاجون اليه وهو ضد الضلالة ، فالضال يضل عن مقصوده وطريق مقصوده وهو سبحانه عرفهم أن الله هو المقصود المعبود وحده وأنه لا يجوز عبادة غيره .

ويوضح الصلة بين البينات والهدى فيذكر أن البينات فيها بيان الأدلة والبراهين على ذلك فليس ما يخبر به ويأمر به من الهدى قولا مجردا عن دليله ليؤخذ تقليدا واتباعا للظن ، بل هو مبين بالآيات البينات — وهي الأدلة البتينية والبراهين القطعية .

ثم يخطو خطوة أخرى فيذكر أن الهدى التام لا يكون الا مع الفرقان ، ولهذا قال تعالى ( شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ) ، فالفرقان هو المنسرق بين الحق والباطل والخير والشر والصدق والكذب والمأمور والمحظور والحلال والحرام ، وأيضا فان الأدلة تشبه كثيرا بها يعارضها فلا بد من الفرق بين الدليل الدال على الحق وبين ما عارضه ليتبين أن الذي عارضه باطل ، فالدليل يحصل به الهدى وبيان الحق لكن لا بد مع ذلك من الفرقان وهو المنسرق بين ذلك الدليل وبين ما عارضه (٤٥) .

ويضرب الأمثلة عليها يقصده بالفرق بين الهدى والفرقان ، فالهدى

مثل أن يأمر بسلوك الطريق إلى الله كما يؤثر قاصد الحج بسلوك طريق مكة مع دليل يوصله ، والبيّنات ما يدل ويبين أن ذلك هو الطّريق وأنّ مسالكه سالك للطريق لا ضال ، والفرقان أن يفرق بين ذلك الطريق وغيره وبين الدليل الذي يسلكه ويدل الناس عليه ويبين غيرهم ممن يدعى الدلالة وهو جاهل مضل . وهذا وأمثاله ما يبين أن في القرآن الأدلة الدالة للناس على تحقيق ما فيه من الأخبار والأوامر كثير (٤٦) .

والله سبحانه أنزل في كتبه البينات والهدى ، فمن تصور الشيء على وجهه فقد اهتدى إليه ، ومن عرف دليل ثبوته فقد عرف البينات ، فاللتصور الصحيح اهتداء والدليل الذي يبين التصديق بذلك بينات ، والله أنزل الكتاب هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . وهو — سبحانه — إذا ذكر الأنبياء نبيقا وغيره — ذكر أنه أرسلهم بالآيات البينات وهي الأدلة والبراهين البينة المعلومة لما يقيننا إذ كان كل دليل لا بد أن ينتهي إلى مقدمات بينة بنفسها قد تسمى بديهيات وقد تسمى ضروريات وقد تسمى أوليات ، وقد يتسأل من معلومة بنفسها ، فالرسل صلوات الله عليهم بحثوا بالآيات البينات (٤٧) .

ايحتساج الناس بعد ذلك إلى اتبسة وأدلة المتكلمين والفلاسفة ، أن الكتب المنزلة وآخرها القرآن الحكيم — كلها بذاتها — آيات بينة لأنها كلام الله تعالى أوحى به إلى أنبيائه ورسله ، كذلك اتجه الوحي إلى مخاطبة الفطرة التي فطر الناس عليها ، ومنها تمييزها الموازين العقلية بين الحق والباطل إذا حافظت على فطرتها ولم تنصت إلى هوائف الشيطان أو تجنح مع هوى النفس .

### مواقفه آراء القضايا الكلامية

#### الصفات الإلهية : —

أن أهم المسائل التي أثارت الجدل بين ابن تيمية وخصومه المعاصرين هي صفات الله سبحانه وتعالى ، فقد اختلفت أهم الفرق بين نفيها — كجهم

(٤٦) النبوات ص ١٦٢

(٤٧) نفس المصدر ص ١٦٥ .

بن صفوان والمعتزلة — أو الغلو في اثباتها فوقعوا في التشبيه والتجسيم — كالشهابية والكرامية وقلة الحنابلة الذين يصنفهم ابن تيمية بأنهم أتوا من المنكرات والإمام أحمد برىء منهم — أو اتخاذا الموقف الوسط كما معنى الاشارة الذين اثبتوا لله صفات سبعة هي الحياة والعلم والقدرة والارادة والكلام والسمع والبصر ، وغرقوا بين صفات الذات وصفات الفعل ؛ وعدوا صفات الفعل كالتزول والاتيان والخلق والرضى والغضب وغيرها من الحوادث التي ينبغي تنزيه الله عنها تبعا للاصل ( ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث ) .

وفي اعتراض ابن تيمية على المتكلمين ، يرى أنهم أقاموا على محاولة اثبات الصانع باثبات حدوث الاجسام الذي لا يثبت حدوثه الا بحدوث ما يقوم به من الصفات والاعمال فالجاهم هذا الى نفي صفات الله تعالى واعماله القائمة به وظنوا بهذه المقدمة أنهم سيطلون قول الدهرية ، ولكن الدهرية — في رأي ابن تيمية — كانت حجتها أقوى اذ قالوا : كيف يحدث الحادث بلا سبب حادث ؟

ويستند منهج المتكلمين بعامة الى قاعدة ( ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث ) وان كان معتادهم ان كل ما يرى وتقسوم به الصفات فهو جسم ، ومن قال انه جسم واراد انه مركب من الاجزاء .

وربما كان الخطأ بسبب البدء بمنهجهم ونقطة البداية فيه القول بنفس التجسيم . ولكن ابن تيمية يرى ان هذا الطريق طويل ويؤدي الى الوقوع في الخطأ . اما الطريق الصحيح فهو اثبات صفات الكمال لله عز وجل ، اذ يثبت له — تعالى — صفات الكمال المطلق ذاتا وصفاتا مستخدما فيسلس الاولى — اي انه ما من صفة يثبت وجودها للمخلوق فان اثباتها للمخلوق اولى ، فضلا عن ثبوت الصفات الالهية بالسمع والعقل . وقد جاء الانبياء جميعا باثبات هذه الصفات بالتفصيل — اي باثبات متصل ونفى مجمل كقوله تعالى ( ليس كمثل شيء ) فعكس المتكلمون الآية وجاءوا بنفى متصل واثبات مجمل ، والدليل وصف المعتزلة لله بأنه ليس كذا وليس كذا . الخ

ويستخلص ابن تيمية من مذاهب المتكلمين الزامات يؤدي اليها السياق : فان التوحيد مند المعتزلة — وهو في حقيقته نفي الصفات الالهية — قول من ابطل الباطل عنده ، لانهم يسلمون بان الله حي عليم قدير . ومن المعلوم ان حيا بلا حياة وعليها بلا علم وقديرا بلا قدرة يعبر عن موقف معتاد للعقل والشرع واللغة ، فان الصفة اذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل ، لا غيره .

وكذلك الامر بالنسبة للاشاعرة الذين اثبتوا صفات الذات ونمروا من اثبات الاعمال . اذ لا يعقل ان يكون الموصوف حيا عالما قادرا متكلما رحيا مريدا بحيياة قامت بغيره ولا يعلم وقدرة قامت بغيره ، ولا بكلام ورحمة واردة قامت بغيره ، والكلام بمشيئة المتكلم وقدرته اكمل من لا يكون بمشيئته وقدرته . وفي تناوله لصفة الكلام بالذات التي اثاره أشد اللوان الجدل بين السلف والمعتزلة والاشاعرة ، فان ابن تيمية يثبت ان السلف قالوا ان الله لم يزل متكلما اذا شاء وكيف شاء لان الكلام صفة كمال لا صفة نقص وانما تكون صفة كمال اذا قام به لا يتصف بها هو بلان عنه ، فبرهن على خطأ المعتزلة لقولهم بان كلام الله مخلوق ، واعتبر قول الاشاعرة بدعة ، لانهم ميزوا — تفرروا بابن كلاب — بين الكلام التنسي وغيره .

وعلينا بعد هذا البيان ، الانتقال لمعالجة واحدة من أهم القضايا التي اثاره الخصومات ضد شيخ الاسلام ، والبت الخصوم عليه ورمته بسببها بتهمة التجسيم ، وذلك توطئة لمناقشة هذه التهمة وتقنيدها فيها بعد :

#### الاثبات لصفات الله تعالى وأعماله بالأدلة العقلية :

يثبت علماء السنة والحديث ما يقوم بالله تعالى من الصفات كالحياة والعلم والقدرة والارادة والكلام والسمع والبصر كما يثبتون الاعمال التي يشاؤها ويقدر عليها كالخلق والاحياء والامانة والاستواء وغير ذلك من الاعمال .

ولا نزاع بين اهل السنة وغيرهم بطبيعة الحال ان أدلة السمع توافرت على اثبات هذه الصفات والاعمال ، لكن الذين يخالفون دلالة السمع من



المتكلمين يدعون أنها دلالة ظاهرة لا تاطمسة ، ويرون أن الدلالة العقلية العاطمة خالفتها .

ولكن شيخ الاسلام ابن تيمية في شرح القواعد التي يستفد اليها في الدلالة العقلية العاطمة التي يشجب بها رأى الفلاسفة الدهرية القائلين يقدم العالم وينتسد بها أيضا المتكلمين — سواء المعتزلة الذين نفوا الصفات والاعمال — أو الكلائية الاثاعرة الذين اثبتوا الصفات ونفوا الاعمال بالتأويل .

#### قال شيخ الاسلام :

معلوم بالسبح اتصاف الله تعالى بالاعمال الاختيارية ، كالاستواء الى السماء ، والاستواء على العرش ، والقبض ، والطي ، والاتيان ، والمجرى ، والنزول ونحو ذلك . بل والخلق ، والاحياء ، والامانة ، فان الله تعالى وصف نفسه بالاعمال اللازمة كالاستواء، وبالاعمال المتعدية كالخلق، والفعل المتعدى للفعل اللازم ، فان الفعل لا بد له منفاعل ، سواء كان متعديا الى مفعول أو لم يكن . والفاعل لا بد له من فعل ، سواء كان فعلا مقتصرا عليه أو متعديا الى غيره . والفعل المتعدى الى غيره لا يتعدى حتى يقوم بفاعله ، اذ كان لا بد من الفاعل . وهذا معلوم سمعا وعقلا (٤٨) .

واستعان ابن تيمية في شرحه ببعض قواعد اللغة العربية التي يقرها الكفاة ويهرفونها ، فان أهل اللغة العربية التي نزل بها القرآن متفقون على ان الانسان اذا قال ( نام فلان وقعد ) أو قال ( اكل فلان الطعام وشرب الشراب ) فانه لا بد أن يكون في الفعل المتعدى الى المفعول به ما في الفعـل اللازم وزيادة ، اذ كلتا الجملتين فعلية ، وكلاهما فيه فعل وفاعل ، والثانية امتازت بزيادة المفعول .

فانما وضعنا هذه القاعدة نصب أميننا في التفسير لتبين لنا التفسير الواضح لمثل قول تعالى ( هو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش اذ تضمن تعين : أولهما يمتد الى المفعول به ، والثاني

مقتصر لا يتمدى ، فلذا كان الثاني -- وهو قوله تعالى ( ثم استوى ) -- فعلا متعلقا بالفاعل ، بقوله ( خلق ) كذلك ، بلا نزاع بين أهل العربية .

ويستكمل ابن تيمية الشرح من حيث الأدلة العقلية ، فيوضح أن من جوز أن يقوم بذات الله تعالى فعل لازم له ، كالاستواء والمجيء ونحو ذلك ، لم يمكنه أن يمتنع قيام فعل يتعلق بالخلق ، كالخلق والبعث والامانة والاحياء كما أن من جوز أن تقوم به صفة لا تتعلق بالغير كالحياة ، لم يمكنه أن يمتنع قيام الصفات المتعلقة بالغير ، كالعلم والقدرة والسمع والبصر .

وينبغي أن نقرر أيضا تبعا لما نشاهده في الكون من مخلوقات حادثه ، أن هذه المخلوقات بالفعل الله تعالى الاختيارية القائمة بنفسه ، وهذه الاعمال سبب حدوثها ، والله تعالى حي قيوم لم يزل موصوفا بأنه يتكلم بما يشاء . فعال لما يشاء .

أذن يثبت بذلك خلق السموات والأرض بما جاء به الشرع ، ولا يمكن القول بحدوث المعالم كما يزعم نفاة الاعمال الذين يزعمون أن العقل دل على نفيها فالعقل عند التحقيق يبطل النفي ويوافق الشرع ، لأن نفي الاعمال يؤدي الى اتكار حدوث المخلوقات ، بينما هي بشهوده مرتبة لنا جميعا ، دالة بنفسها على خالق حكيم تدبير .

كذلك بالنظر الى اعمال الله تعالى ، يمكننا وضع القضية في الصيغة المنطقية الآتية :

ان الله تعالى موصوف بصفات الكمال ، منزه عن النقص ، وكل كمال وصف به المخلوق من غير استلزامه لنقص ، فالخالق أحق به ، وكل نقص نزع عنه المخلوق فالخالق أحق بأن ينزه عنه ، والفعل صفة كماله لا صفة نقص ، كالكلام والقدرة ، وعدم الفعل صفة نقص ، كعدم السلام وعدم القدرة ، فدل العقل على صحة ما دل عليه الشرع ، وزال الإشكال ، وهو المطلوب .

## ثانيا : طرق البراهين القرآنية

### ١ - الميزان القرآني :

ويرى ابن تيمية أن القياس الصحيح هو الميزان المنزل من الله تعالى الذي يستدل به العقل ، فإن من أعظم صفات العقل بمسرة التمسك والاختلاف ، فإذا رأى الشيين المتماثلين علم أن هذا مثل هذا فجعل حكمها واحدا ، قال الله تعالى ( الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان)الشورى ١٧ وقال سبحانه ( لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ) الحديد ٢٥ ونسب السلف الميزان بالعادل ونسبه بعضهم بما يوزن به ، وهما متلازمان وقد أخبر أنه أنزل ذلك مع رسله كما أنزل معهم الكتاب ليقوم الناس بالقسط ، ويبين أيضا في موضع آخر أن القياس الصحيح هو من العدل الذي أنزله الله تعالى ، وأنه لا يجوز أن يختلف الكتاب والميزان ، فلا يختلف نص ثابت عن الرسل وقياس صحيح - قياس شرعي ولا عقلي ، ولا يجوز قط أن الأدلة الصحيحة النقلية تخالف الأدلة الصحيحة العقلية ، وليس في الشريعة شيء على خلاف القياس الصحيح على خلاف القياس الفاسد(٤٩) .

وبعد عرض مسهب مقارن للاقيسة المنطقية والميزان القرآني : يقرر ابن تيمية أن الله تعالى يبين الحقائق بالقياس العقلية والامثال المضروبة ، ويبين طريق التسوية بين المتماثلين والفرق بين المختلفين(٥٠) . وينكر على من يخرج من ذلك كقول الله تعالى ( أم حسب الذين أجتروا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ) الجنائية ٤٥ وقوله سبحانه (أنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون) القلم ٦٨ - أي هذا حكم جائز ، لا عادل فإن فيه تسوية بين مختلفين . وقال عز وجل ( أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ) ص ٨٨ وقوله سبحانه ( أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم اليأساء والضراء وزلزلوا ) البقرة ٢١٤ .

(٤٩) الرد على المنطقيين ص ٣٧١ .

(٥٠) نفس المصدر ص ٣٨٣ .

وإذا سأل سائل : إذا كان مما يعرف بالعقل فكيف جعله الله تعالى ما أرسلت به الرسل ؟ وهذا السؤال في غير موضعه لأن صاحبه يفترض أن العقل مبين للشرع ، وأن ما يعلم قسيما - أو مقابلا - للعلوم النبوية وبعبارة أخرى يجعل الأحكام العقلية منفصلة عن العلوم النبوية ، فهذه نظرية سمية وتلك عقلية برهانية .

والاجابة على هذا السؤال سهلة يسيرة اذا قرأنا القرآن ، حيث يتبين منه ان الرسل ضربت للناس الامثال العقلية التي يعرفون بها التماثل والاختلاف ، فان الرسل خاطبت الناس بما يعرفونه ، ودلت على ما يفهمونه بطريقتهم التي خلقهم الله بها ، فليست العلوم النبوية اذن مقصورة على مجرد الخبر كما يظنه اهل الكلام ، بل الرسل - صلوات الله عليهم - بينت العلوم العقلية التي بها يتم دين الناس علما وعملا ، وضربت الامثال ، وذلك بظهر دور الرسل الذين جاءوا بتكجيل الفطرة واسلاجها ، فكملت الفطرة ما فبهتها عليه وأرشدتها مما كانت الفطرة معرضة عنه لاسباب العقلة ، وكذلك تصلح الفطرة وتعيددها الى طبيعتها اذا هيئت بالاراء والاهواء للفاسدة ، ويكون دور الرسل أيضا ازالة ذلك الفساد وتذكير البشر كانت فطرتهم معرضة عنه (٥١) .

وكانت طريقة السلف الصالح تتلخص في الاستدلال بالادلة العقلية التي يحتاج اليها في العلم بما لا يقدر عليه المتكلمون باتقائه ، بل ان غاية ما ينكرونه قد جاء القرآن بخلاصته على أحسن وجه ، وذلك كالامثال المضروبة التي يذكرها الله تعالى في كتابه التي وصفها بقوله ( ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ) .

ولا ييل ابن تيمية من تكرار واعادة القول بلن الامثال المضروبة في القرآن الكريم هي الاقيسة العقلية ، ويضيف الى ذلك انه يدخل فيها ما يسميه المناطقه براهين ، وهو القياس المؤلف من المقدمات اليقينية ، بل ان لفظ البرهان في اللغة اهم من ذلك كما سمي الله تعالى آيتى موسى عليه السلام برهاتين فقال سبحانه ( فذلك برهان من ربك ) (٥٢)

(٥١) ابن تيمية - الرد على المنطقيين ص ٢٨٢ .

(٥٢) ابن تيمية - موافقة صحيح المنقول ج١ ص ١٤ .

العلم الاعلى الذى هو الفلسفة عندهم ، الذى هو الفلسفة الاولى  
والحكمة العليا ( علم ما بعد الطبيعة ) — العلم الاعلى .

### ؟ — قياس الاولى :

ولعل اهم نقد لشيخ الاسلام ابن تيمية الارسططاليسى ان هذا القياس  
اذا استخدم فى الاستدلال على ( واجب الوجود ) تبارك وتعالى لا يدل على  
ما يختص به ، وانما يدل على امر مشترك كل بينه وبين غيره ، لان قياس  
الشهول تستوى اراده ، والله تعالى ليس ككله شيء .

ولا يجتمع مسبباته هو وغيره تحت كل تستوى اراده ، وقد  
جعلوا الوجود المطلق موضوع الفلسفة الاولى .

فان وصفهم ( للوجود ) — الذى هو موضوع العلم الالهى عندهم —  
اما ان يكون ( كل موجود ) او بعضه ، هو ( الواجب ) او ( العكس ) . ولكن  
كون وجود الواجب اكمل من وجود الممكن من اتساق الاثنى فى معنى  
الوجود ، فالوجود معنى كلى مشترك ولكن هذا ( الوجود الكلى ) انما يكون  
كلها فى الذهن ، لا فى الخارج .

ماذا كان هذا هو ( العلم الاعلى ) عندهم ، لم يكن ( الاعلى ) عندهم علما  
بشئ موجود فى الخارج ، بل علما بأمر مشترك بين جميع الموجودات ، وهو

---

وجاء فى ( تفسير الجلالين ) ( ادخل يدك اليمنى بمعنى الكف فى  
جيبك — وهو طوى القميص واخرجها ( تخرج ) خلاف ما كانت عليه  
من الآفة ( بيضاء من غير سوء ) اى برص ، فادخلها واخرجها  
تضوء كشعاع الشمس تفتى البصر ( . . فذلك ) بالتشديد والتخفيف  
اى العصا واليد . والآية كاملة ( امسك يدك فى جيبك تخرج بيضاء  
من غير سوء واضم اليك جناسحك من الرهب فذلك برهاننا من  
ربك الى مرهون وعلائه انهم كانوا قوما فاسقين ) .  
ويتسول الاصغياتى ( فالبرهان اوكد الادلة ، وهو الذى يقتضى  
الصدق ابدا ، لا محالة . . قال تعالى ( قل هاتوا برهانكم ان كنتم  
صادقين — قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معنى — قد جاءكم برهان  
من ربكم ) المفردات فى غريب القرآن ص ٤٥ .

يسمى ( الوجود ) ، وذلك كسمى ( الشيء ) ، و ( الذات ) ، ( الحقيقة )  
و ( النفس ) و ( العين ) و ( الماهية ) ونحوها من المعاني العامة .

ويرى ابن تيمية ان العلم بهذا ليس هو علما بوجود في الخارج ،  
لا بالخالق ولا بالخلوق ، وانما هو علم بأمر مشترك كلى تشترك فيه  
الموجودات ، لا يوجد الا في الذهن (٥٣) .

وهذا بخلاف ( العلم الاعلى ) عند المسلمين . فانه العلم بالله تعالى  
الذي هو في نفسه اعلى من غيره من كل وجه . والعلم به اعلى العلوم من كل  
وجه ، والعلم به اصل لكل علم وموضوع هذا العلم هو ( الوجود المطلق  
الكلى ) المنقسم الى واجب وممكن وتديم ومحدث وجوهر وعرض (٥٤) .

ولاختصاص الله تعالى بصفات الكمال بالاطلاق ، فقد استعمل الانبياء  
عليهم السلام في الاستدلال عليه تعالى قياس الاولى ( على وزن الاخرى ) ،  
لأثبت ان كل ما ثبت لغيره من كمال مثبت له بطريق الاولى وما تنزه عنه  
غيره من النقائص فنزحه عنه بطريق الاولى .

والآيات الكثيرة في القرآن في هذا الصدد تستند الى قياس الاولى قال  
تعالى ( ضرب لكم مثلا من انفسكم هل لكم من ما ملكت ايماكم من شركاء في  
ما رزقناكم مما تنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم انفسكم ) الروم ٢٠ .

وقال تعالى ( ويجعلن الله البنات سبيحة له ولهم ما يشتهون . وادا  
بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء  
ما بشر به ايسكه على هون ام يدسه في التراب الا نساء ما يحكسون .  
للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم  
النحل ١٦ (٥٥) .

ويستخدم القرآن الكريم ايضا قياس الاولى في بيان امكان المعاد  
(١) فتارة يخبر عن ايمانهم ثم احياهم ، كما اخبر عن قوم موسى بقوله ( واذا

(٥٣) ابن تيمية — الرد على المنطقيين ص ١٣٠ — ١٣١ .

(٥٤) الرد على المنطقيين ص ١٢٦ .

(٥٥) ابن تيمية — الرد على المنطقيين ص ١٥٠ ، ٢٥٠ .

قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فآخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ( البقرة ٥٥ ، ٥٦ .

وكما أخبر عن المسيح عليه السلام انه كان يحيى الموتى باذن الله

وينفس الطريقة أخبر عن اصحاب الكهف انهم لبثوا نياما في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا الكهف ١٨ وقال تعالى ( وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم ) الكهف ٢١ .

وقد ورد تفسير هذه الآية عن غير واحد من العلماء أن قضية البعث اثبتت في ذلك الزمان أيضا فتنازع الناس حول حقيقته ، هل هو بالأرواح فقط أم بالأرواح والاجساد ؟ ولذلك أمثر الله تعالى هؤلاء على أهل الكهف ، وعلبوا أنهم بقوا نياما لا يكلون ولا يشرون ثلاثمائة سنة شمسية وهي ثلاثمائة وضع هلاكية ، فاعلمهم الله بذلك أمكان إعادة الإبدان (٥٦) .

( ب ) وتارة يستدل القرآن الحكيم على البعث بالانشأة الاولى ، وان إعادة أهون من الابتداء ، كقوله تعالى ( وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيى العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليهم يس ٧٨ — ٧٩ وقوله تعالى ( وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ) الروم ٢٧ .

( ج ) وتارة يستدل على أمكان ذلك بخلق السموات والارض ، فان خلقها أعظم من إعادة الانسان ، كقوله تعالى ( او ليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العظيم ) يس ٨١ وقونه سبحانه ( او لم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهم بقادر على ان يحيى الموتى بلى انه على كل شيء قدير ) الاحقاف ٣٣ .

( د ) وتارة يستدل على أمكانه بخلق النباتات ، كقوله تعالى ( وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك تخرج الموتى لعلكم تذكرون ) الاعراف ٥٧ .

وقوله سبحانه ( والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى  
بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور ) فاطر ١ .

### طرق الميزان القرآني : اللزوم والاعتبار :

استخدم ابن تيمية تقدم للقياس المنطقي الارسططاليسي للوصول الى  
اثبات انه لا يفيد العلم، ولا يدعى شيخ الاسلام ان النقد نقده، ولكن يرجعه الى  
نظار المسلمين مع كثرة التعصب ليس فيه فائدة علمية بل كل ما يمكن علمه  
بدونه ، ففيه تطويل كثير متعب فاتمه متعب للذهان مضيع للزمان . ويضرب  
مثالا على ذلك بمن يريد مثلا الوصول الى مكة او غيرها من البلاد فاذا ملك  
الطريق المستقيم المعروف وصل في مدة قريبة بسعي معتدل ، ولكن اذا قيض  
له من يدور به طرقا دائرة — ويسلك به مسالك منحرفة يتعب تعباً كثيراً  
حتى يصل الى الطريق المستقيمة ان وصل . والا فقد يصل الى غير  
المطلوب ، فيعتقد اعتقادات فاسدة . وقد يعجز بسبب ما يحصل له من  
التعب والاعياء ، فلا هو نال مطلوبه ولا هو استراح .

ويرى ويشارك ابن تيمية نظار المسلمين في وصف هذا القياس بأنه  
استعمال لطرق غير نظرية ويعتدب النفوس بلا منفعة ، كما ان القياس  
الارسطي لا يفيد الا بامور كلية : لا يفيد العلم بشيء معين من الموجودات ،  
بل الايسر والابين العلم بالمعينات لا الكليات (٥٧) .

هذا القياس الذي لا يتضمن الا شكل التليل وصورته ان الكليات  
تقع في النفوس بعد معرفة الجزئيات المعينة ، اي ان النظريات العلمية  
العامه لا يتوصل اليها الا بعد معرفة الجزئيات في العلوم المختلفة والتوصل  
منها الا استنباط القانون العام الذي ينظمها جميعا ( ومن تدبر جميع ما يتكلم  
فيه الناس من الكليات المعلومة في الطب والحساب والطبيعات والتجارات  
وغير ذلك وجد الامر كذلك (٥٨) .

(٥٧) ابن تيمية — الرد على المنطقيين ص ٢٤٨ — ٢٥٢ .

(٥٨) السيوطي — صون المنطق ج ٢ ص ١٥٥ .



ويستنتج من ذلك أن قياس التمثيل أقوى وأكثر يقينا من قياس الشمون لأنه بالأول يصل إلى المفرحات المعينة للتضحية الكلية ، ومن أعظم صفات العطل معرفة التماثل والاختلاف ، أي قياس الطرد وقياس العكس ، وهو ما استخدمه القرآن الكريم بهدف الاعتبار .

### أولا الاعتبار :

ويضئ ابن تيمية في الاستشهاد بالآيات القرآنية الدالة على ذلك ، فإن ما أمر الله به من الاعتبار في كتابه يتناول قياس الطرد وقياس العكس ، قال تعالى ( كذبت قوم نوح المرسلين ) وقال سبحانه ( كذبت عاد المرسلين ) ، ثم لما أمرك المكنبين للرسول بتكذيبهم ، كان من الاعتبار أن يعلم أن من فعل مثل ما فعلوا أصابه مثل ما أصابهم فيبقى تكذيب الرسل حدا من العقوبة ، وهذا قياس الطرد . كما يعلم أن من لم يكذب الرسل لا يصيبه ذلك ، وهذا قياس العكس . وهو المقصود من الاعتبار بالمكنبين . والاعتبار يكون بهذا وبهذا ، قال تعالى ( لقد كان في قصصهم عبرة لأولى البصائر ) يوسف ١١١ وقال ( لقد كان لكم آية في اثنين القتلتا .. إلى قوله أن في ذلك لعبرة لأولى الابصار ) آل عمران ١١٣ (٥٩) .

ولهذا المدلول يرى ابن تيمية أن كثرة الإشارة إلى قصة موسى عليه السلام وفرعون في القرآن الكريم يرجع إلى الاعتبار في كل مرة تذكر فيها . أنه ينكر فكرة ( التكرار ) في القرآن . لأن المقصود من إعادة القصة في سورة وآيات متعددة هو توضيح عبرة جديدة لم يشر إليها في موضع آخر من الكتاب . ومن هنا غلبت في القرآن تكرارا أصلا .

أما أهمية قصة موسى وفرعون فترجع إلى أنها في طرفي نقبض في الحق والباطل . فإن موسى عليه السلام بلغ الغاية القصوى من الإيمان وكلمه الله سبحانه تكليما بلا حجاب ، بينما كفر فرعون بالربوبية وبالرسالة ،

وكان موقفه أشد إنكارا من باقى المخالفين للرسل لأن أكثرهم لا يجحدون وجود الله ( وربما يقصد هنا أنهم مشركون ) . كذلك لم يكن للرسل من التكليم لرب العالمين .

نصارت قصة موسى وفرعون أعظم القصص وأعظمها اعتبارا لاصل الايمان ولاصل الكفر ، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقص على أمته حادثة من بنى اسرائيل ، وكان يتلوه بموسى في أمور كثيرة ، ولما بشر بقتل أبى جهل يوم بدر قال : هذا فرعون هذه الامة (٦٠) .

ويرى ابن تيمية أن الحقيقة المعبرة في كل دليل هو ( اللزوم ) ، فمن عرف أن هذا لازم لهذا استدل باللزوم على اللزوم بغير ذكر لفظ اللزوم ولا تصور معنى هذا اللفظ لأن الانسان بفطرته السوية يعترف أن كل شيء مصنوع لا بد له من صانع ، وكثيرا ما يستخدم الناس أمثال هذه القضية بقولهم ( إن كذا لا بد له من كذا أو أنه إذا كان كذا كان كذا ) ويغير استخدام لفظ ( اللزوم ) من الصياغة نفسها تتضمن العلم باللزوم باعتباره حقيقة معتبرة . كذلك الأمر في المخلوقات ، فإن كل ما في الوجود فهو آية لله تعالى ، ينتشر إليه محتاج إليه ، لا بد له منه ، فيلزم من وجوده وجود الصانع . والآية القرآنية الآتية واضحة الدلالة على معنى اللزوم ( قال تعالى : أم خلقوا من شيء أم هم الخالقون ) ٤ — الطور ٥٢ — ٥٣ وفي الصحيحين عن جبر بن مطعم أنه لما قدم في فداء الأسرى عام بدر سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بسورة ( الطور ) قال فلما سمعت قوله تعالى ( أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ) ؟ أحسست بغوادي يتصدع .

ولا شك أن الآية تقسيما حاصرا بين أمرين لا ثالث لهما ، فهل خلقوا من غير خالق خلقهم ؟ فهذا مبتنع بالبدهامة ، أم خلقوا أنفسهم ؟ فهذا أشد ابتعا . فاعلموا أن لهم خالقا خلقهم ، وهو سبحانه وتعالى . ويمضى ابن تيمية في شرح الاستدلال العقلي في هذه الآية بقوله ( ذكر الدليل بصيغة استفهام الإنكار ليبين أن هذه القضية التي استدل بها فطرية ، بديهية . مستقرة في النفوس ، لا يمكن إنكارها . فلا يمكن صحيح الفطرية أن يدمى

وجود حادث بدون محدث أحدثه ، ولا يمكنه أن يقول هو أحدثك نفسه (٦١) .

### — التنبؤ : —

استوعب ابن تيمية آراء السابقين عليه في موضوع النبوة والبرهنة عليها ، وقد تدخل في المواد التي قرأها فأضاف إليها وعدل بعضها ، لأنه لم يوافق على ما كتبه الرازي — وهو اقرب المتكلمين إليه زمانا .

ويقوم برهانه على اثبات النبوة بعامة ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومجيئه بالقرآن عند أهل الرض وتواتر معجزاته وأخباره . ويستدل أيضا على نبيه بنسبه المنتهى الى سلالة ابراهيم الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب ، فلم يأت نبي من بعد ابراهيم الا من ذريته ، وجعل له ابنين اسماعيل واسحاق ، وذكر في التوراة هذا وهذا وهو من قرئش صفوة بني ابراهيم .

وايضا يستند الى سيرته وآياته وأخلاقه وأقواله وشريعته من حين ولد الى أن بعث ومن حين بعث الى أن مات ويتسدر نسبه وبلده وأصله . فإذا قارن بين تواتر أخبار الفلاسفة وأخبار الانبياء ، رجع أخبار الانبياء كهوسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم لأن انبأهم معلومة عند الناس من تواتر وجود أولئك فضلا عن تواتر ما يخبرون به ، ولهذا صارت ظهور الانبياء مما تؤرخ به الحوادث في العالم لظهور أمرهم عند الخاصة والعامة ، فان التاريخ يكون بالحدوث المشهور الذي يشترك الناس فيسه ليعرفوا به كم مضى قبله وبعده .

كما يضلون من حيث أساليبهم في الاتناع والدموية ، فيأمرون البشر بما فيه صلاحهم وينهونهم عما فيه فسادهم ، ولا يشغلونهم بالكلام في أسباب الكائنات كما يفعل الفلاسفة ، فان هذا الأسلوب كثير التعجب قليل الفائدة أو موجب للضرر . ويضرب مثلا على النبي بالطبيب الذي يأمر مريضه بتناول

---

(٦١) ابن تيمية — الرد على المنطقيين ص ٢٥٢ — ٢٥٣ ، والسيوطي

— صون المنطق ج٢ ص ١٣٠ — ١٣١ .

الدواء المنقضى الى علاجه ، فيسترد صحته اذا استمع لنصحه ، ولكن  
الفيلسوف يتجه باهتمامه الى الحديث عن اسباب المرض وصفته وذمة ولم  
ما اوجبه ولو سأل المريض عن الدواء الشاق لعجز عن الاجابة .

وقد يثار حول من لم تبلغهم الرسائل العمسور الساوية ، او من  
لم تقم عليه الحجة في الدنيا بالرسالة كالاطنسال والمجائين واهل اللغات  
الخالية من الانبياء والرسول — وهنا : يختار من الاقوال ارجحها ، وخلصتها  
ان هؤلاء يمتحنون يوم القيامة فيبعث اليهم من يهرهم بطاعته ، فان اطاعوه  
استحقوا الثواب وان عصوه استحقوا العقاب . اما الحجة بالقرآن فتسد  
قامت على من بلغه كما قال تعالى ( لانذركم به من بلغ ) فمن بلغه بعض  
القرآن دون بعض قامت عليه الحجة فيما بلغه دون ما لم يبلغه .

كما تظهر وظيفة الانبياء — او دورهم ، ومهامهم — في كونهم وسائط  
بين الله وبين عباده في تبليغ امره ونهيه ووعدده ووعدده ، وما اخبر به عن  
نفسه وملائكته وغير ذلك مما كان ويكون .

وتفصح الآيات القرآنية عن الرسول بأنه لا يعلم الغيب وأنه ليس ملكا  
بملك الخزائن ، وإنما هو بشر لا يستغنى عن الملك والمشرى .

ولابن تيمية كتاب النبوات عالج فيه الموضوع باستفاضة ، كما اشار  
في كتب كثيرة ربما اكثرها استفاضة ( الجواب الصحيح لمن يدل دين  
المسيح ) اذ عرض فيه لادلة وبراهين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ومنها  
الادلة العقلية التي استخدمها هرقل ملك الروم ، اذ سأل ابا سفيان قيس  
اسلامه ( كيف نسبه فيكم ؟ قال قال هو فينا ذو نسب قال فهل قال هذا  
القول منكم احد قبله قط ؟ قال : لا قال فهل كان من آباءه من ملك ؟ قال — لا  
قال — فاشراف الناس اتبعوه ام ضعفواهم قال بل ضعفواهم فقال ايزيدون  
ام ينقصون فقال بل يزيدون قال فهل يريد منهم احد سخطه لدينه بعد يدخل فيه فقال لا  
قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال — لا قال فهل يغدر قال  
لا : قال فهل تاملتموه ؟ قال نعم قال فكيف كان قتلكم اياه قال الحرب بيننا  
وبينه سجال ينال منا وينال منه قال — فبماذا يبارككم قال — يقول اعبسوا  
الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ويلبرنا بالصلاة  
والمسوق والعنق والصلة ) .

ومن هذه الاجابات كلها تؤكد هرقل من نبوة الرسول صلوات الله عليه وسلم وفسر اجابات ابي سفيان بالاتي ( ان الرسل تبعث في احساب قومها ولو كان من آباءه ملك قلت رجل يطلب ملك ابيه والضعفاء هم اتباع الرسل وانه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يكذب على الله وساتدل من عدم ارتداد اتباعه عن دينه لان الايمان اذا خالطت بشائسته القلوب وانهم يزدون — فكنذك الايمان حتى يتم ومن الحرب الدائرة بينه وبين قومه وانها سجل ينالون منه وينسال منهم قلت على ان الرسل يبطلون ثم تكون لهم العقوبة الى جانب انه لا يفدر ولم يسبقه احد قبله بقوله — وكذلك اواره عبادة الله تعالى اى الصلاة والزكاة والعفاف . قال هرقل في النهاية ( ان يكن ما تقول فيه حقا انه لنبي وقد اعلم انه خارج ولم اكن اظنه منكم ولو اعلم انى اخلص اليه لاحببت لقائه ولو كانت عنده لغسلت عن قدميه وليبلغن ملكه ما تحت قدمي(٦٢) .

#### برادة ابن تيمية من تهمة التجسيم :

بحثنا فيما تقدم موضوع الصفات وراينا ابن تيمية يسلك مسلكا سلفيا : ولا يميل من ترديد العبارات التي ينقلها عن السابقين حيث اتفق اهل السنة والجماعة على الايمان ( بما اخبر الله في كتابه من غير تحريف ولا تعطيل ؛ ومن غير تكليف ولا تمثيل بل هم الوسط في عرق الامة كما ان الامة هي الوسط في الامم ، وهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين اهل التعطيل الجهمية ، واهل التمثيل ) (٦٣) .

وفي أثناء مناظرته في ( العقيدة الواسطية ) التي نوقش في مضمونها امام الحاضرين يخبرنا ابن تيمية عن اهم النقاط التي اثاروها فيقول ( واخذوا بذكرون نفس التشبيه والتجسيم ويطنبون في هذا ؛ ويمرضون بما ينسبه بعض الناس اليها من ذلك ) (٦٤) .

---

(٦٢) الجواب الصحيح لن بدل دين المسيح جا ص ٩٣ — ٩٤ و ج٤

ص ٢١٦ .

(٦٣) مجموعة الرسائل جا ص ٤٠٠ .

(٦٤) ن . م ص ٤١٦ .

فالشيوخ اذن كان على علم بما وصفوه به من تهمة التجسيم ، وفي الدفاع عن نفسه اورد اقوال اصحاب القرون الثلاثة الاولى وكما تؤيدها ما ذهب اليه وابدى استعداده لامهال من خالفه ثلاث سنين ليأتي ولو بحرف واحد بما ذكره . وهو على استعداد للرجوع عن عقيدته لو فعل . ثم نفى التشبيه والتجسيم عن اصحاب احد - وصاح في وجه مخالفه لكي يحدد له من يقصد من الحثوية من اصحاب الامم على وجه التحديد ( الاثر م ٢٧٣ هـ ابو داود ٢٧٥ هـ الخلال ٣١١ هـ الترمذى ٢٧٩ هـ ابو الحسن التميمي ابن عقيل ٥١٣ هـ انقانى ابو يعلى ٤٥٨ هـ ) !!

ويبدو ان مخالفته لمبهر جوابا لان ابن تيمية دافع بحرارة عن شيوخ احنابلة مبرئا اياهم من التجسيم . واذا وجد في القلة منهم ، فان المشبهة والمجسمة في غير اصحاب الامام احمد اكثر منهم فيهم ( مهؤلاء اصناف الاكراد كلهم شافعية - وفيهم من التشبيه والتجسيم ما لا يوجد في صنف آخر ، واهل جيلان فيهم شافعية وحنبلية ، واهل احنابلة المحضة تلبس فيهم من ذلك ما في غيرهم ، والقراية المجسمة كلهم حنفية (٦٥) .

وقد انهم الشيخ بانه وقع في التجسيم ، بينما هو في الحقيقة قد امدد الى العقيدة السلفية المتوارثة بواسطة كتب شيوخ المدرسة ، وهي العقيدة المتطاعة منذ الصدر الاول للاسلام جيلا بعد جيل وقد اثارته هذه التهمة من الجدل قديما وحديثا ، وسنتناولها بايجاز لما لها من صلة بحياة الشيخ من جهة . فخلا عن انوسا من الموضوعات التي ملزمت كثير كثيرا من الجدل .

ولا شك ان من يقرأ كتب الشيخ ورسائله المتعددة ، سرعان ما يتضح له براءته مما يلصق به ، والادلة كثيرة ومتنوعة ، سواء من كلماته التي نقرأها له في كتبه نفسها - فضلا عن المصادر التي تجب عن الحصر في هذا المقام ، والتي تجمع كلها على ان ائمة المسلمين منذ الصحابة والسابعين قد تلقوا هذه العقيدة بالقول . وهي اثبات الصفات التي اثبتها الله تعالى لنفسه

بلا تمثيل أو تعطيل أو تأويل ، ونفى ما نفاه عن نفسه ، مستنديين في ذلك  
نفي الآيات والاحاديث .

وقد نوّس ابن تيمية في قوله بأن الله تعالى مستو على العرش  
حقيقة بذاته بلا تكيف ولا تشبيه ، وجاء ضمن حججه المؤيدة له قوله ( أنا  
قد أحضرت أكثر من خمسين كتاباً من كتب أهل الحديث والتصوف والمتكلمين  
والمفتاهم الأربعة والحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية يوافق ما قلته .  
وأنا أمهل من خالفني ثلاث سنين أن يجيء بحرف واحد عن أئمة الإسلام  
يخالف ما قلته ) (٦٦) .

ودافع عن نفسه بقوله أيضاً ( انى لم أقل شيئاً من نفسى ، وإنما قلت  
ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ) .

أما القول المنسوب اليه بواسطة ابن بطوطة وقوله ( ان الله ينزل  
الى سماء الدنيا كلزولى هذا ، ونزل درجة (٦٧) ) .  
نقد اثبت التحقيق العلمى الدقيق أنه محض افتراء ، وهو يرجع اولاً الى أنه  
نوع من حديث القصاصين والرواة الذين يطلقون الروايات على عواهنها  
دون تحقيق أو ضبط ، فضلاً عما اثبتته الشيخ محمد بهجة البيطار في كتابه  
« حياة شيخ الإسلام ابن تيمية » من تهافت هذه الواقعة وعدم صحتها ،  
لعدة أسباب ، منها أن ابن بطوطة لم يسمع من ابن تيمية ولم يجتمع به ،  
ومرجحاً أن نصراً المتبجى هو الذى اشاع مسألة النزول عن الدرج ( ينظر  
كتاب البيطار من ص ٤٦ الى ص ٥٢ ) . كذلك ينظر مقدمة كتاب ( مجموعة  
تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية ) بقلم عبد الصمد شرف الدين طبعة الهند  
( ببائى ) .

ومن حيث المضمون ، فان مؤلفات الشيخ بين ايدينا ، وهى مع كثرتها  
خالية من أى بادرة تشير الى التشبيه أو التجسيم ، بل انه يحرص في كل

---

(٦٦) « ص ٥٥ من كتاب محنة شيخ الإسلام ابن تيمية في سجنه ودفاعة

عن نفسه » مجموعة علمية بتحقيق الشيخ محمد حامد الفتى .

(٦٧) ص ٥٧ من رحلة ابن بطوطة ج١ الطبعة الازهرية ، طبعة اولى

المواضع على تأكيد التنزيه . واثبات الصفات بلا كيف . وكيف يتهم الشيخ بالتجسيم وهو نفسه يرى أن ( لفظ الجسم ، والجوهر ، ونحوهما لم يأت في كتاب الله ولا سنة رسوله : ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسائر أئمة المسلمين — التكلم في حق الله تعالى لا ينفي ولا يثبت ) (٦٨) .

ويحلل ابن تيمية أقوال المعتزلة منسدا لها نائدا إياها ، حيث ينبه إلى العبارات المجملة التي يستخدمونها ويوهمون بها أنه يريد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوقين بينما الفاحص لحقيقة أقوالهم يصل إلى فهم مقصودهم بنفى صفات الله تعالى قال : وهذه المسألة كانت المعتزلة تلقيها بمسألة ( حلول الحوادث ) وكانت المعتزلة تقول ( أن الله منزّه عن الأمراض ، الإبعاض والحوادث والحدود ، ومقصودهم نفي الصفات ونفى الأفعال ، ونفي مباينته للخلق وعلوه على العرش ، وكانوا يعبرون عن مذاهب أهل الإثبات أهل السنة بالمبارات المجملة التي تشعر الناس بتسلسل المذهب ، فانهم إذا قالوا ( أن الله منزّه عن الأمراض ) لم يكن في ظاهر هذه العبارة ' ينكر ، لأن الناس يفهمون من ذلك أنه منزّه عن الاستحالة والفساد كالأعراض التي تعرض لبنى آدم من الأمراض والاستقام ، ولا ريب أن الله منزّه عن ذلك ، ولكن مقصودهم أنه ليس له علم ولا قدرة ولا حياة ولا كلام قائم به ، ولا غير ذلك من الصفات التي يسمونها هم أمراضا .

وكذلك إذا قالوا أن الله منزّه عن الحدود والاحياز والجهات ( أو هووا الناس أن مقصودهم بذلك أنه لا تحصره المخلوقات ، ولا تحوزه المصنوعات ، وهذا المعنى صحيح ومقصودهم أنه ليس مباينسا للخلق ولا منتملا عنه ، وأنه ليس فوق السموات رب ، ولا على العرش لله ، وأن محمدا — صلى الله عليه وسلم — لم يرجع به إليه ، ولم ينزل منه شيء ولا يصعد إليه

---

(٦٨) ص ٢١٢ من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ج ١٧ وينظر أيضا على سبيل المثال مقالته بعنوان ( الرد على الباطنيين بن الله — عز وجل — جسم ) الرد على المنطقيين ص ٢٢٤ .



شيء ، ولا يتشرب الى شيء ، ولا ترفع اليه الايدي في الدعاء ولا غيره ،  
ونحو ذلك من معانى الجهمية (٦٩) .

ويوضح من هذا التحليل المقارن فهم ابن تيمية للالتزامات التي تؤدي  
انها نفي صفات الله تعالى ، ومعرفة بان الاصل للجهمي الذي اخذ به  
المعتزلة وغيرهم هو ما يسمونه بمسألة ( حلول الحوادث في ذات الله  
تعالى ) ، وحاولتهم ارقام مخالفيهم بالقول بلقوالهم والا انهوهم بالتشبيه  
والتجسيم .

ونظرا لترايط النتائج التي حاول بها المعتزلة ومن سار على طريقهم ،  
فان مسألة ( التجسيم ) تتصل ايضا بهذا الاصل المأخوذ من فهم  
بن صفوان . وهنا يقول ابن تيمية :

( واذا قالوا ( انه ليس بجسم ) او هموا للناس انه ليس بن جنس  
المخلوقات ، ولا مثل ابدان الخلق ، وهذا المعنى صحيح ، ولكن مقصودهم  
بذلك انه لا يرى ولا يتكلم بنفسه ، ولا يقوم به سنة ولا هو مبين للخلق ،  
وامثال ذلك .

واذا قالوا ( لا تحله الحوادث ) او هموا للناس ان مرادهم انه لا يكون  
مجالا للتغيرات والاستحالات ونحو ذلك من الاحداث التي تحدث للمخلوقين  
فتحليلهم وتفسدهم ، وهذا معنى صحيح ولكن مقصودهم بذلك انه ليس له  
فعل اختياري يقوم بنفسه ، ولا له كلام فعل يقوم به يتعلق بمشيئته وقدرته ،  
وانه لا يقدر على استواء او نزول او اتيان او مجيء ، وان المخلوقات التي  
خلقها لم يكن منه عند خلقها فعل اصلا ، بل عين المخلوقات هي الفعل ،  
ليس هناك فعل ومفعول وخلق ومخلوق ، بل المخلوق عين الخلق ،  
والمفعول عين الفعل ، ونحو ذلك (٧٠) .

لما اذا قيل بان اعتقاد الشيخ بجواز حلول الحوادث في الذات الالهية  
يؤدي الى التجسيم ، فان هذا من نوع الالتزام الذي لا يسلم به ابن تيمية

(٦٩) ابن تيمية موافقة .. ج٢ ص ٧ .

(٧٠) نفس المصدر ص ٨ .

وقد كتب مئات الصفحات ليفند الاصل الجهمي الذي يستند اليه المتكلمون بقولهم أن ( ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث ) ، لاثبات حدوث الاجسام باعتبار أن الصفات اعراض وبهذه الطريقة تناولوا صفات الله تعالى .

وقد أسهب الشيخ في كتبه ومناقشاته في بيان خطأ هذا الاصل . كما أنه سرح في أكثر من موضع أن صفات الله تعالى ليست اعراضا وليست حادثة .

وإذا ذهبنا نستقصى النصوص النافية لهذه التهمة عن الشيخ لما كنا في هذا الكتاب بأكمله ، ولكننا سنختار بضمة اقوال للشيخ تقيد القارىء في اجتناب تهمة التجسيم من جذورها ، فانه يقول مرة ( وما ذكرت من اجتهاد الراى في تكييف صفات الله ، لانا لا نجيز اجتهاد الراى في كثير من الفرائض والاحكام التي نراها باعيننا ، ونسمعها بأذاننا ، فكيف في صفات الله التي لم ترها العيون وتصررت منها الظنون !!! غير انا لا نقول فيها كما قال المريسي ان هذه الصفات كلها شيء واحد ) (٧٧) .

كذلك خصص الشيخ كتابا بأكمله شسارحا ومنسدا اقوال المذاهب والفروق جميعا سماه ( شرح حديث النزول ) ، قال فيه بالحرف الواحد ( والذي يجب القطع به ان الله ليس كمثل شيء في جميع ما يصف به نفسه ، فمن وصفه بمثل صفات المخلوقين في شيء من الاشياء فهو مخطيء قطعا ، كما قال : انه ينزل فيتحرك وينقل كما ينزل الانسان من السطح الى اسفل الدار ، فهذا باطل يجب تنزيه الرب عنه كما تقدم . وهذا هو الذي تقوم على نفيه وتنزيه الرب عنه الادلة الشرعية والعقلية ، فان الله سبحانه وتعالى قد اخبر انه الاعلى وقال ( سبح اسم ربك الاعلى ) ، فان كان لفظ العلو لا يقتضى علو ذاته فوق العرش لم يلزم أن يكون على العرش وحينئذ فلفظ النزول ونحوه يتناول قطعا اذ ليس هناك شيء يتصور فيه النزول ، وان كان لفظ العلو يقتضى علو ذاته فوق العرش ، فهو سبحانه الاعلى من كل شيء ، كما انه اكبر من كل شيء (٧٢) .

(٧١) ابن تيمية — شرح العقيدة الاصطغانية ص ٢٥ .

(٧٢) شرح حديث النزول ص ١٨٩ .

وليس هناك أوضع وأدق وأصرح من هذا البيان للدفاع من شيخ الإسلام وبرئته من تهمة التجسيم .

ونرى بعد ذلك استكمال الحديث من المنهج الذي عاش ابن تيمية من أجل توضيحه ولغت الانظار اليه وحث المسلمين — خاصتهم وعامتهم — الى اتباعه والاستضاءة به اذ ان العلاقة بين اجتهادات شيخ الإسلام وبين قضايا اصول الدين لم تنقطع بهوته ، فهي تمتد لكل الاعصار لان محورها يتمثل في اهم قضية للانسان ويترتب عليها النتيجة الحاسمة في مصيره ، اى قضية الايمان بالله تعالى وعبادته والايمان بملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والبعث والحساب والعقاب والملائكة وغيرها من كائنات عالم الغيب وحقائقه حيث لا تكتمل المعرفة الانسانية الحقة الا بعد الاحاطة بها مقترنة بالعبادة والاستسلام لله تعالى وحده .

ولهذا فان دراسة اجتهادات شيخنا تصبح متجددة ابدا لانيها تتصلل باهم ما ينبغي ان يشغل الانسان اذا ما تطلع الى بديئه ومعاده وسبيل تحقيق سعادته .

وكان من دواعي اطمئنان ابن تيمية و يقينه — بل تناوله رغم العوازل التي عاشها وكانت مثبطة اللهم ، ان الاسلام يحمل في ذاته بعناية الله تعالى وحفظه وظهوره الى قيام الساعة . قال الشيخ ( وذلك ان الله تبارك وتعالى اكمل الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وبينه وبلغه البلاغ المبين ، فلا تحتاج امة الى احد بعده بغير شيئا من دينه ، وانما تحتاج الى معرفة دينه الذي بعث به نطق ، وامته لا تجتمع على ضلالة ، بل لايزال في امة طائفة قائمة بالحق حتى تقوم الساعة فان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فاعلمه بالحجة والبيان واظهره باليد واللسان . ولايزال في امة امة طاهرة وهذا حتى تقوم الساعة (٧٣) .

وكل ما تحتاجه الأمة الآن ، هو معرفة الدين بالمنهج الذي وضعه الله تعالى في كتابه وباللهدي النبوي الحق ، وصحة المنهج ليست مرتبطة بمصر من المصور أو بمصر من الامصار ، بل صحته ثمرة اصوله وبقينيه براهينه ؛ وما على المسلمين الا اتباعه .

وسننظر في الباب القادم ، كيف وقف هذا المنهج شامخا ثابتا لمواجهة التحديات .



## الجواب السابع

### القضايا الكلامية في العصر الحاضر

- المشكلات الكلامية في ضوء التفسير التاريخي .
- مسائل الاجماع في العقيدة والعبادات .
- الالتقاء بالغرب وآثاره على القضايا الكلامية .
- ما هي الحضرة ؟
- صلة العلم بالدين في العصر الحديث ( أو العلاقة بين المادة والروح ) .
- المشكلات الكلامية الطائفية في العصر الحديث .
- ملامح الفكر الاسلامي المعاصر .
- الاسلام والعلم .



## القضايا الكلامية في العصر الحاضر

### الكلمات الكلامية في ضوء التفسير التاريخي :

كانت الموضوعات الاتفة من هذه الدراسة بمثابة ايضاح للمنهج الذي استخدمه الاوائل والساثرون على طريقتهم ، وقد رأينا كيف اتخذ علماء السلف من القرآن والسنة سلاحا لحماية العقيدة ، واثبتوا ان هذا المنهج افضل واحكم من منهج المتكلمين .

ولكن بعد انتضاء القرون ، وابتلاء الامة الاسلامية بمحن وتجارب استهلكت طاقات ضخمة من قواها البشرية والاقتصادية والعسكرية ، وتراوحت خلالها مكنتها المفسارية — التي احتلتها عن جدارة طيلة عدة قرون — بين مد وجزر ، ثم تحطم اخيرا — في بداية القرن الحالى فقط — كيان دولتها بالفن الخلافة ، واصبحنا الآن ، ربما اكثر اقتناعا من اى وقت مضى بمخاطر الخلافات وتصارع الفرق الاسلامية وتشقت الجهود وبعبثة القدرات .

وبسبب الثغرات الخلافية الجسيمة شاعت الاندلس وتسلت الشيعة الباطنية الى حكم مصر والمغرب والشام والبحرين ، وسقطت بفسداد تحت سنابل خيل التتار عام ٦٥٦ هـ ، ثم كانت الخاتمة — لهذا السبب ولغيره من الاسباب — نجاح الاستعمار الغربى في اواخر القرن السادس عشر في عقد الانتشوطة حول المسلمين — كما يفكر ارنولد توينبى — وذلك بفضل غزوه للمحيط ، وبعدها ضيق الغرب الانتشوطة في القرن التاسع عشر (١) ناذا انصتنا الى صوت آخر ، ارتفع من وراء القرن الثامن الهجرى — وهو ابن تيمية — وجدناه يبرهن في ايجاز على ان العقيدة الملقاة عن الاوائل في شمولها وكمالها ، انتجت لجيلا مؤمنة دانعت عنها ومضت عليها بالتواخذ ، وظهر السر في استمسك اهل السنة والجماعة بها انهم عرفوا انها المعبرة عن صدق العقيدة الملقاه من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكل انحراف

(١) ارنولد توينبى : الاسلام .. والغرب .. والمستقبل ص ١٩  
ط دار العربية — بيروت ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م .



عنها أو ميل بها ذات اليمين أو ذات اليسار ، سيفتقدها قوتها في القسوب والصدور ، فضلا من أحرافها عن أصول الايمان والاسلام الصحيح .

والتطبيق التاريخي لهذه القاعدة يوضح انتصار المسلمين عندما كانت مالببتهم مستمسكة بهذه الاصول ، وبالعكس انهزامهم وانحدار حضارتهم عندما تفشت العقائد الزائفة .

ولتقريب المعنى الى اجيالنا الشابة ، فان العقيدة هي حجر الزاوية وقطب الروحي لحضارة الاسلام ، شلتها في ذلك شأن الايدولوجية في العصر الحديث ، فان عقيدة المسلمين هي ( ايدولوجيتهم بالاصطلاح الغربي ) الثابتة الدائمة ، بها سلكوا ، وبها اقاموا حضارة انارت العالم ، وسسارت معهم ابنا كانوا في مصور مجدهم وانتصاراتهم ، وعندما احرقوا عنها وتركوها وراء ظهورهم انطفأ نور الحضارة ، وتقهقروا الى الوراء ، وذلوا امام غيرهم .

وكانت هذه الظاهرة تتدرج على مراحل للمقتبج لتاريخ المسلمين . يقول ابن تيمية ( ونجد الاسلام والايمان كلما ظهر وقوى كانت السنة واهلها لظهر واقتوى ، وان ظهر شيء من الكفر والفتنة ظهرت البدع بحسب ذلك ، مثل دولة الهدي والرشيدي ونحوهما ممن كان يعظم الاسلام والايمان ويفخر امداءه من الكفار والمنافقين ، كان اهل السنة في تلك الايام اقوى واكثر واهل البدع اذل واقل (٢) .

ويمثل هذه القاعدة ينتقل الى النظر الى تاريخ المسلمين بعامة ، فيبرهن ابن تيمية على ان اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ادعى للعلم والتوحيد والسعادة . ويعنى بذلك المقارنة بين اصحابه والتابعين لهم ، وبين

---

(٢) ابن تيمية — نقض المنطق ص ١٨ — ١٩ .

وفي منهاج السنة ج ٢ ص ١٤٩ يقول ( فان الكفار بالشام وخراسان طمعوا وقت الفتنة في بلاد المسلمين لاشتغال المسلمين بعضهم ببعض ) .

وينظر تفسيره التاريخي بكتابتنا ( قواعد المنهج السلفي في الفكر الاسلامي ص ١٢٥ ) ط دار الانتصار ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م .

المتكلمين وفلاسفة المسلمين ، ويقف أمام الاحداث التاريخية فيجعلها بسبب مخالفة الاصول الاسلامية في القرآن والحديث ، يرى ان انقراض دولة بني امية كان بسبب الجعد بن درهم والجهنم بن صفوان ، الى جانب اسباب اخرى اوجبت ادبارها .

ويعنى بذلك ان العقيدة عندما خمدت في النفوس ونقدت فاعليتها عما كانت لدى المسلمين الاوائل ، ظهر الضعف في الامة . اذ تحولت العقيدة انراسخة من قوة محركة ناجمة عن اقتناع عقلى ويعين قلبى الى مجرد انكار جدلية تتناول الى الحديث عن الذات الالهية ، فنقدت القلوب الهية . ولما تضاعفت العقيدة في النفوس واصابها الوهن ، وتحولت الى مناقشات وجدل كلامى وفلسفى ، وظهر التناقض والبدع والفجور : هان المسلمون على اعدائهم ، فعزى الصليبيون اراضى الاسلام ، واستولوا على بيت المقدس في اواخر المائة الرابعة(٣) وكذلك الامر بالنسبة لحروب التتار ، حتى ان البعض راي ان هولاء ملك التتار بمثابة بخت نصر لبنى اسرائيل ، مستندين الى تفسير سورة بنى اسرائيل التى توعدهم فيها الله تعالى اذا انسودوا في الارض(٤) .

ويضى شيخ الاسلام في تفسير الاحداث التاريخية وفقا لهذه القاعدة ، فيذكر ان محنة خلق القرآن كانت بداية لتشجيع الترامطة الباطنية في اظهار آرائهم ، بعد ترجمة كتب الفلاسفة ، ولما رأت الفلاسفة ان المنسوب للرسول صلى الله عليه وسلم واهل بيته هو هذا القول الذى يقسونه المتكلمون الجهمية ومن اتبعهم ، وراوا ان هذا القول الذى يقولونه فاسد من جهة العقل ، طمعووا في تغيير الملة ، فمنهم من اظهر انكار الصانع ، واظهر الكفر الصحيح ، وقاتلوا المسلمين ، واخذت ترامطة البحرين الحجر الاسود(٥) ، ولم يقتصر الامر على انتصار الخصوم في مجال الحروب محسب ، بل امتد الخطاب الى مجال الفكرة والعقيدة ، لأن فتح باب القياس الفاسد في العقليات بواسطة المتكلمين ، شجع الزنادقة على المضى في تنفيذ

(٣) الفرقان بين الحق والباطل ١٢٠ - ١٢٢ .

(٤) ن . ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٥) شرح حديث النزول ص ١٧٢ .

مخططاتهم ، فانتهى بالقرايطة الى ابطال الشرائع المعلومة كلها ، كما قال لهم رئيسهم بالشام : قد استقطنا عنكم العبادات فلا صوم ولا صلاة ولا حج ولا زكاة (٦) .

وقبل الانتهاء من هذه اللوحة لموقف ابن تيمية من التاريخ ، فاننا نعجب من تناوله بينما كان في وسط ظروف حالكة الظلام ، ومع هذا لماته يقدم تفسيراً للحديث ( ان الله يبعث لهدى الامة في راس كل مائة سنة من يجسد لها دينها ) ، ملتجيداً انها يكون بعد الدروس ، وذلك هو غربة الاسلام ، ثم يحاول ادخال الطمأنينة على القلوب بقوله ( وهذا الحديث يفيد المسلم انه لا يفتم بقلة من يعرف حقيقة الاسلام ، ولا يضيق صدره بذلك ، ولا يكون في شك من دين الاسلام ، كما كان الامر حين بدأ ، قال تعالى « فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » الى غير ذلك من الايات والبراهين الدالة على صحة الاسلام (٧) . ولكنه في الوقت نفسه يحذر من مخالفة الاوامر الالهية ، لان الذنوب تورث الهزائم والكوارث للمسلمين ، كالهزيمة التي أصابتهم يوم أحد .

وهكذا يعود بنا الى نفس الاصل الذي يفسر به التاريخ ، ويحل المقصود بتخصص بنى اسرائيل في القرآن اتخذناهم عبرة لنا ، مستشهداً ببعض السلف القائلين ( ان بنى اسرائيل ذهبوا وانما يعنى انتم ) .

#### مسائل الاجماع في العقيدة والعبادات :

وفي ضوء هذه التفسيرات التاريخية والعبرة مما حدث ، فان الحكمة تقتضى التخفيف من غلواء التفرق ، مع تلمس مسائل الاجماع بين المسلمين لان الاحوال المعاصرة تجعل من الاستمرار في بث الفرقة لونا من الوان التدمير العقائدى والحضارى للمسلمين كافة .

وقد رأينا خلال البحث نتائج بارزة تثبت من ناحية ما يلي :

- 
- (٦) ن . م ص ١٦٩ ( وينظر ايضا ص ١٦٣ و ١٦٥ ) .  
(٧) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ج ١٨ ص ٢١٨ — ٢١٩ ط الرياض .  
ومن الامثال السائرة ( اياك اعنى واسمعى يا جارة ) .

أولا : مودة ائمة الاشاعرة الى المنهج السلفى بعد المعاناة الطويلة في طريق التاويل الكلامى .

ثانيا : اجماعهم — بالاتفاق مع علماء السنة والحديث — على أن أدلة الشرع متوافقة مع قوانين العقل وموازينه ، ومن ثم أصبح ضروريا جمع المسلمين حول المادة العظمى : كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ومن ناحية اخرى ، نود في ختام هذا البحث اضافة أكثر العوامل أهمية ، وأبرزه والاتفاق حوله ، ونعنى به عناصر الوحدة التي تجمع بين المسلمين قاطبة ، لأن تحليل عناصرها يثبت أنها تنسوق أسباب الخلاف والفرقة .

أضف الى ذلك أن المشكلات الكلامية المثارة في الماضي نشأت عن أسباب وعوامل نبعت من البيئة الثقافية حينذاك ، وقد تفتت بحتا وتحليلا ومناقشة وظهر فيها الحق بين المذاهب والفرق ، وربما كانت محتملة عندما كانت الحضارة الإسلامية سائدة ،

أما وقد آل الحال الى ما نحن عليه ، فلم يعد من المحتمل اثاره هذه المشكلات من جديد .

وقد سبقنا علماء الحديث والسنة الى توجيهنا الى هذا الامس الجامع ، منهم ابن حزم بكتابه ( مراتب الاجماع في العبارات والمعاني والاعتقادات ) وعنوانه يشير الى مضمونه ، يعيننا ما سجله في باب الاعتقادات ، قال :

( اتفقوا أن الله عز وجل وحده لا شريك له خالق كل شيء غيره ، وأنه تعالى لم يزل وحده ولا شيء غيره معه ، ثم خلق الاشياء كلها كما شاء ، وأن النفس مخلوقة ، والعرش مخلوق ، والعالم كله مخلوق ، وأن النبوة حق ، وأنه كان انبياء كثير منهم من سمي الله تعالى في القرآن ومنهم من لم يسم لنا ، وأن محمد بن عبد الله القرشى الهاشمى المبعوث ببكة المهاجر الى الى المدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جميع الجن والانس الى يوم القيامة .

وان دين الاسلام هو الدين الذي لا دين لله في الارض سواه ، وانه ناسخ لجميع الاديان قبله ، وانه لا ينسخه دين بعده ابدا ، وان من خلفه من يلفه كافر مخلد في النار ابدا ، وان الجنة حق وانها دار نعيم ابدا لا تفتنى ولا يفنى أهلها بلا نهاية ، وانها اعدت للمسلمين والنبیین المتقدمين واتباعهم على حقيقة ما اتوا به قبل ان ينسخ الله تعالى أدبتهم بحين الاسلام .

وان القرآن المتلو الذي في المصاحف بأيدي الناس في شرق الارض وغربها من أول ( الحمد لله رب العالمين ) الى آخر ( قل أعوذ برب الناس ) هو كلام الله عز وجل ووحيه أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم مختصا له من بين الناس وانه لا نبى مع محمد صلى الله عليه وسلم ولا بعده ابدا .

الى ان يقول ( واتفقوا انه منذ مات النبي صلى الله عليه وسلم فقد انقطع الوحي وكمل الدين واستقر وانه لا يطل لاحد ان يزيد شيئا من رأيه بغير استدلال منه ، ولا ان ينقص منه شيئا ، ولا ان يبدل شيئا مكن شيء ولا ان يحدث شريعة ، وان من فعل ذلك كافر ، واتفقوا ان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صح انه كلام بيقين فواجب اتباعه ... ) (٨) .

وكذلك العبادات ، هنالك اجماع في أمور رئيسية لخصها ابن تيمية كما يلي :

وذلك مثل اجماعهم على ان محمدا صلى الله عليه وسلم ارسل الى جميع الامم ، وكذلك اجماعهم على استقبال الكعبة البيت الحرام في صلواتهم .. وكذلك اجماعهم على وجوب الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان وحج البيت العتيق ، اجماعهم على وجوب الافتنال من الجنابة وتحريم الخبائث وايجاب الطهارة للصلاة ، فان هذا كله مما نقلوه عن نبيهم ، وهو منقول عنه صلى الله عليه وسلم نقلا متواترا ، وهو مذكور في القرآن (٩) .

(٨) ابن حزم - مراتب الاجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات

ص ١٦٧ - ١٧٥ باختصار ط دار الكتب العلمية - بيروت .

(٩) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ج١ ص ١٢٤ -

١٢٥ ط المدني - بدون تاريخ .

لذلك ينبغي أن تخف أصوات الخلافات ويجتمع المسلمون على مادة الإسلام العظمى : كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والاسترشاد باجتهادات علماء الحديث والسنة ، لاسيما وقد جرت تحديات في هذا العصر تقتضي منهم الوقوف جبهة واحدة .

ولما كانت حضارة العصر الغالبة هي الحضارة الغربية ، فيجدر الإشارة باختصار إلى أثر الالتقاء بها في محيط المشكلات الكلامية .

تكيف حدث الالتقاء ؟ وما هي آثاره في الماضي والحاضر ؟

### الالتقاء بالغرب وآثاره على القضايا الكلامية :

يحدد توينبي اللقاء الأول بين الإسلام في الماضي عندما كان المجتمع الغربي في دور طفولته بينما كان الإسلام الدين المميز للعرب في عصرهم البطولي ، وكان العرب قد فرغوا من فتح وتوحيد البلاد التي كانت مهد الحضارات القديمة في الشرق الأوسط ، وكانوا يحاولون توسيع هذه الإمبراطورية - كما يراها - لتصبح دولة عالمية ، وينتهي المؤرخ الإنجليزي الكبير إلى التقرير بأنه في هذا اللقاء الأول اختص المسلمون نصف المجتمع الغربي تقريبا وكانوا يفرضون سيادتهم على البلاد الغربية كلها (١٠) .

وفي التباين والمعارضة لآثار اليونان الفلسفية ، ظهرت المعارضة الشديدة بواسطة علماء السنة والجماعة ، وربما شكلت آثار المعارضة للفلسفة اليونانية آثارها في صفحات الكتب وكانت أحد عوامل ظهور الأفكار والاصطلاحات المترجمة كالجوهر الفرد والحدوث والتقدم ، فضلا عن آثار المنطق الأرسططاليسي ووجود الفعل الذي أحدثه بين الأخذ به كالفراشي وغيره من بعض علماء أصول الفقه ، والمعارضين له كابن تيمية ومن سبقه من علماء السنة والحديث الذين اعلتوا ( أنه من منطق ترتدي ) .

وبوجه علم ، كان التنافر بين العقيدة الإسلامية والفلسفة معبرا عن اختلاف بين حضارتين - يقول الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوي ( وإذا رأينا الاتجاه العلم لروح الحضارة الإسلامية يتفر نفورا شديدا من التراث

---

(١٠) آرنولد توينبي - الإسلام .. والغرب .. المستقبل ط دار

المرية بيروت ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م من ١٢٤١٩ .

اليوناني فيحصل عليه حيلة عنيفة شعواء هي رد فعل قوى لهذه الروح ضد روح حضارة اخرى ، شعرت بما بينها وبينها من تباين يكاد يصل الى حد الشائض (١١) .

وفي ضوء هذا التحليل الدقيق ، تزداد معرفتنا لاسباب معارضة علماء السنة والجماعة لآراء المعتزلة المستمدة من فلاسفة اليونان ، ولنفس السبب ايضا سنرى كيف تكونت معارضة علماء المسلمين للفلسفة الغربية وتصوراتها عندما حدث الالتقاء الثاني الذي بدأ منذ القرن السادس عشر الميلادي في شكل غزوات وحروب استعمارية متوالية ظلت نحو ثلاثة قرون ، بدأت بشكل حاسم — كما يذكر توينبي — في اواخر القرن السادس عشر واولئ السابع عشر — وحسب تعبيره الذي اسلفناه قال ( لم يقتصر الامر على الاحداق بالمعالم الاسلامي . . ولكن امكن تطويقه تماما ، ثم يستطرد تقلا ( وضع الطوق حول رقبة الفريسة ) !!

ولكن ما يدهشه — وغيره من المؤرخين والباحثين — ان العالم الاسلامي قد استطاع ان يصمد للعنوان الاوربي طوال القرون من الخامس عشر حتى الثلث عشر ويعزو سموده المذهل الى ما يصفه ( بالاعتداد بالذات التي رسبت في عقل المسلمين الباطن بفعل الامجاد الرائعة التي حققوها في بيان عصور الازدهار الاسلامية ) . ويدهشنا هذا التعليل — مع وجاهته — الا انه يغفل ذكر العامل الاساسي المباشر المتمثل في العقيدة ، لاسيما انه يرى عند بحث الاسلام — كمقيدة دينية بالحضارة الاسلامية — ان هذه الحضارة قد وجدت مع العقيدة الدينية!! (١٢)

وفي ضوء هذه الاحداث التاريخية حتى العصر الحاضر تتشكل ملامح الفكر الاسلامي المعاصر ، ويظهر طبيعة القضايا ( الكلامية ) المثارة .

---

(١١) د . عبد الرحمن بدوي — التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية — المقدمة — ط دار النهضة العربية بالقاهرة سنة ١٩٦٥ م  
(١٢) مؤاد محمد شبل — حضارة الاسلام في دراية توينبي للتاريخ ص ٣٩ ، ٦١ المؤسسة المصرية العامة — المكتبة الثقافية ( العدد ٢١١ ) ١٩٦٨ م

لذلك يجدر بنا اعطاء فكرة عامة عن حضارة العصر وسماتها البارزة ،  
وسنبدا بتعريف الحضارة :

### ما هي الحضارة ؟

لفظ « الحضارة » من اللفاظ التي اختلف الباحثون حوله ، ولعله خضع بدوره للثقافة والبيئة والاحوال الاجتماعية والاقتصادية للمفكرين والفلاسفة الذين قاموا بتعريف الحضارة فكثيرا ما تعكس الافكار والنظريات ظروف العصور واحواله إما تليدا او معارضة او تعديلا .  
ويمكننا طرح وجهتي النظر الرئيسيتين حول تعريف الحضارة كما يأتي : —

احدهما ، يعنى بطرق الثقافة والقيم الاخلاقية والآداب والفنون ، والثاني ، يعنى بالمنتجات والاعمال التي حققها الانسان في مجال التشييد والبناء والانتاج الصناعي والزراعي ، او بعبارة اخرى ( التكنولوجيا ) اي استخدام النتائج المكتشفة بالتجارب العقلية في مجالات الحياة المختلفة والاستفادة بها .

وتبسيطاً للتعريف الثاني وتوضيحه ، فان الحضارة بهذا المعنى تعتبر عنوانا على كل ما احدثه الانسان او ابدعه او بدله في كائن طبيعي ، وجعل له قيمة .

وابسط مثال على ذلك ان الحجر الذي نجده في الطبيعة كما خلقه الله تعالى هو طبيعي ، بينما الحجر الذي صقلته يد الانسان لتستخدمه في امر ما هو حضاري (١١٣) .

ولكننا نرى نقص هذا التعريف ، لأنه يشير فقط الى ما استحدثه الانسان في العالم الطبيعي من تغييرات تعبر عن مواهب الانسان وامكانياته العقلية والجسدية وتكشف عن رغبة الانسان في تذليل الصعاب التي تعترضه أثناء رحلة حياته الطويلة في الدنيا ، حيث قام السدود للاستفادة من فيضانات الانهار ، وقطع اشجار الغابات ليحولها الى اراضى زراعية ، وتسلح ضد

---

(١١٣) د . جورج عطية : من حضارتنا ص ١٦ .  
منشورات دار النشر الجامعية — بيروت سنة ١٩٥٦ .



الحيوانات المفترسة ليأمن على نفسه وأولاده وعشيرته الى تشييد المدن  
ورصف الطرق واختراع الآلات . ولعلنا نعيش الآن أرقى مرحلة أجت  
الانسان ، ولكننا لا نغفل أيضا أعمال الانسان في مجالات الحروب والت  
نكلها من قبيل تدخل الانسان في ( الطبيعة ) ، فهل تعد أيضا من ا  
الحضارية ؟ فما حكم صنع القنابل الذرية والهيدروجينية والصواريخ ا  
والاشعاعات القاتلة المهلكة ؟

اننا نرى ان أعمال الانسان الحضارية « واللاحضارية » تد  
مداركه وقدراته الى جفب غرائزه وشهواته وحوائسه ، فاذا كان  
وينشئ لجعل الحياة أسهل واجعل وأمتع مدفوما بالتقييم الاخلاقية ومد  
اقلية الحق والخير والمسئل فانه يقيم حضارة حقيقية يسعد في  
الناس ، فانه يخترع الاسلحة المدمرة ليقول ويفتك بأعدائه وقد يه  
على غيره ويفرض ارادته وينهب الخيرات ويستولى على اراض  
وممتلكاته طمعا وحسدا واشباها لشهوة السيطرة والامتلاك والتعالم

واستكمالا للحديث من الحضارة فاننا لا نستطيع نضع المقسمة  
تصور الحضارة المعاصرة التي يحيا في ظلها بالتقليد والمحاكاة (١٢) .  
لا نستطيع في مجال المقارنة بينها وبين الحضارة الاسلامية اغفال حالة  
التي تحياها المجتمعات — التي كانت في يوم ما معبرة عن الحض  
الاسلامية ابان القرون الخوالي !!

ومهما يكن من امر ، فقد كان اصطدام الحضارتين امرا حتميا تو  
اختلاف العقائد والتصورات والقيم والنظم وهو امر حتمي لمسئ الله  
في قيام الامم وسقوطها قال تعالى ( لولا دفع الله الناس بعضهم بب  
الاية (البقرة — الحج) ، نجم عنه تفاعل مشكلات (كلامية) بالمصطلح  
اذ ان الهزائم في الميدان العسكرية لم يمنع علماء الاسلام من التمه  
للحضارة الغازية ونقدتها من واقع الامسول الاسلامية في الكتاب ،

---

(١٢) يرى ابن خلدون بعد تحليله للنفس الانسانية ان المفسوب  
بالمغالب في شعاره وبخلقه ومركبه وسلاحه في اتخاذها وا  
بل وفي سائر احواله وموائده .  
المقدمة : الفصل الثالث والعشرون .

فضلا من المنجزات التي حققها المسلمون عندما كانت حضارتهم هي السائدة والسائدة .

ولعل الترتيب المنطقي في موضوعنا يلزم تسلسل الابتكار بحيث نبدا بتعريف مصطلحات الحضارة المعاصرة واثرها على الفكر الاسلامي تبيناً لمعارضة مما نجم عنه ظهور قضايا لازالت موضع البحث والجدال .

ولعلنا نصل الى هدفنا من خلال بيان نقد هذه الحضارة ان التقدم الصناعي والتجارة العالمية هما اللذان انيا الى وقوع الحرب العالمية الاولى ، كما ان الاختراعات التي وضعت في ايدي الجيوش جعلت الحرب ذات طابع مدمر فأصبح الضالين والمفلوب سريان . ثم ان الانجازات التكنولوجية جعلت الدول في وضع يسمح لها بالقتل من مسافة بعيدة والقضاء على أعداد ضخمة من الناس كالاتصاعات والاسلحة السامة وغيرها .

ويستخلص — شنيذر — من هذا كله ان الانجازات المادية ليست حضارة ، ولا تصبح حضارة الا بمقدار ما تستطيع عقلية الشعوب المتدنية توجيهها وجهة كمال الفرد والجماعة ، ويرى ان اهل أوروبا خدعوا بمظاهر التقدم في المعرفة والثورة فلم يفكروا في الخطر الذي يتعرضون له جراء تضاؤل القيمة التي يعطونها للعناصر الروحية في بناء الحضارة ، ومن ثم فان اعادة بناء الحضارة على الوجه الصحيح يتطلب أولا الاخذ من جديد بالنظرة الاخلاقية التي سادت في القرن الثامن عشر .

ويتطلب ثانيا تكوين نظرية في الكون ، عالومات ان كل تقدم انساني يتوقف على التقدم في نظريته في الكون ، وينبغى ان نهز الناس في هذا العصر وندفعهم الى التفكير الاولى في حقيقة الانسان ومكانته في هذا العالم فان توكيد العالم والحياة ، وكذلك الاخلاق ، كلها أمور لا عقلية . ويجب أن يكون لدينا الشجاعة للاعتراف بذلك (١٤) .

---

(١٤) البرت اشفتيسر . فلسفة الحضارة ص ١٠٠ — ١١٥ ترجمة

د . عبد الرحمن بدوي مراجعة د . زكي نجيب محمود ، المؤسسة العلمية للتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٠ .

ولشرح الفرض من ضرورة نظرية من الكون للحضارة ، سنعلى القسارىء فكرة موجزة من الاصل الذى تنبثق منه الافكار الفلسفية والنظم الاجتماعية ، فان المتتبع للنظم والمبادئ الاجتماعية التى ظهرت فى عصر اعظم باوروبا جعلت الاقتصاد اساسا للمجتمع . والحق أن القسامة الاقتصادية مجرد فرع من مبداء علم فى العقيدة من اصل الوجود ، ثم يتفرع الى استخلاص الاحكام والمبادئ اللازمة لمصالح المجتمع .

يقول الدكتور الفندى ( والمعجب ايضا ) ، بل أعجب العجب ، ان المادية فى نظر اساطينها ، مثل الماركسية ، انما تصل فى نهاية المطاف الى ما وراء الطبيعة . اى لا يمكن ان تقتصر المادية على عالم المادة منسب ، وانما تنتهى الى ما هو اكبر من ذلك عندما تتطرق الى الحديث عن نظام الكون العام (١٥) .

وكثيرا ما يحلل الفلاسفة معالم المادية الظاهرة الوضوح على الحضارة المعاصرة ، ويفسرونها بغياب العقيدة الدينية وانكار الجسائب الروحية فى الانسان . ويعالج هذا البحث عادة بتحليل العلاقة بين العلم والدين :

#### صلة العلم بالدين فى العصر الحديث : ( او العلاقة بين المادة والروح )

ان الاتيهان والذهول امام التقدم العلمى الذى سحر اعين الناس وتلويهم قد تشكل معالم القضية الماثلة للاذهان وهى ضهور الاعتقاد بالبعينات والحقائق الدينية حيث ساد الاعتقاد ان العلم سيحقق السعادة الكلية وبذلك يمكن الاستغناء عن العقائد الدينية .

هذه هى القضية الملحة التى دارت حولها المناقشات وتشكل حصر الزاوية فى ملامح العصر الحاضر .

ويرى براتراندرسل أن العلوم فى العصور الجسديدة أسكرت البشر ودفعت الكثيرين للسيطرة على بقية البشر بواسطة انتوى التى حققتها التقدم العلمى . وهو لا ينتقد هذه المعارف العلمية فى ذاتها ، ولكن ينتقد

---

(١٥) د . محمد جمال الدين الفندى : الكون بين العلم والدين ص١٤ ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية سنة ١٩٧٢م .

وضمها في أيدي أناس يفتقدون الحكمة . ولو وضعت في أيدي الحكماء لعرفوا كيف يستخدمونها . ان هذه الحكمة موجودة الا انها — مع الاسف — لا حول لها ولا قوة على الاحداث ، ثم يمطينا فكرة عن ضرورة تحقيق التبادل بين قوتى العلماء والحكماء فيقول :

( لقد دعا الاتبياء والحكماء الى تجنب الدنيا والصفائر ، ولو أننا أتصنا اليهم لعشنا في سعادة متجددة ) (١٦) .

والرأى الذى ذهب اليه رسل بشاركه فيه الكثيرون في الآونة الاخيرة بعد المراحل التى مر بها العلم منذ عدة قرون ، فقد توقع اغلب العلماء في القرن التاسع عشر الميلادى الذين آمنوا بالعلم ، توقعوا له القسرة على الاحاطة في المستقبل بجهولات الغيب التى لم يحط بها في ذلك الحين ، ولكن حينما اطل القرن العشرون توضحت دعوى العقل (١٧) .

واخذت عقول العلماء تنحى اجلالا لحقائق ما فوق طور العلم التجريبي الحسى ، ورأينا الاعترافات تصدر من علماء كثيرين لهم مكانتهم فهاهو اينشتين يقول ( العلم بغير دين أعرج ، والدين بغير علم أعمى ) . ويقف مندهشا أمام السر في نجاح العلماء معللا بالالهام متسورا في يقين ( أن العاملين في العلم الجاديين في عصرنا هذا المادى هم وحدهم الذين يتصلون بالثنين العميق ) (١٨) .

وعزا شفيتر انعدام المذنية الى عدم التوازن بين تقدمنا المادى وتقدمنا الروحى (١٩) .

ويقرر كارليل أن التقدم الهائل الذى أحرزته علوم الجهاد على علوم الحياة هي احدى الكوارث التى تعانى منها الانسانية ، ويعلل ذلك بلز فوائين العلاقات البشرية مازالت غير معروفة ، لأن علوم الاجتماع والاقتصاد والنفس علوم تخمينية افتراضية ، على عكس ما ظنه الكثيرون عندما خدموا

(١٦) رسل — هل للانسان مستقبل ؟ ص١٢ — ١٣ .

(١٧) العقائد : عقائد المفكرين في القرن العشرين ص٢٢ — ٢٥ .

(١٨) رومز : آراء فلسفية في أزمة العصر ص١١٢ .

(١٩) نفس المصدر ص١٢ .

في بعض المذاهب التي حظرت شهرة في صفحات التاريخ وعلى السنة الناس  
— كبداء الثورة الفرنسية وخيالات ماركس ولينين (٢٠) .

ما هي النتيجة اذن بين التقدم الهائل في العلوم التجريبية وبين قصور  
العلوم الانسانية عن اللحاق بها ؟

يجيب الدكتور حسين مؤنس على هذا السؤال بقوله : (غان الذين  
يفكرون في الدمار انشط بكثير ممن يفكرون في البناء ، فهناك من صنع القنبلة  
الذرية التي قتلت مائة الف في ثوان وزاد عليه الذي صنع القنبلة  
الهيدروجينية التي تقتل المائتي الف في ثوان ، ثم جاء صاحب قنبلة النيوترون  
التي تقتل اهل البلد الضخم وتصرحهم دون ان تؤذي العقائرات  
والاشياء) (٢١) .

ويبين من ذلك اذن ان العلم التجريبي اقدم مدنا ومصانع وجامعات ،  
وعبد الطرق ، وساهم في تسهيل المواصلات وتذليل عقبات لا تحصى في حياة  
الانسان ، ولكنه ساهم في الوقت نفسه في تعاسته للأسباب الآتية . كذلك  
يرجع مثل العلوم الانسانية في علاج الازمات لكونها امراضية تخمينية  
وليست تقريرا لواقع وبرهنا على حقائق ، اذ لا تملك وسائل الاثبات ،  
وتتعمها دقة مناهج العلوم الاخرى في الهندسة والفيزياء والكيمياء والطب  
وغيرها من العلوم .

وهكذا اصبح العالم المتحضر منتلخسا بالامكانيات ولكنه ضاهر  
بالارادات ، اشياؤه كثيرة وامكاره قليلة . وهذا الوضع البائس المتناقض  
بين وفرة الاشياء ومراغ النفس لحظ البشرية في نومة يسلب الانسان فيها  
بالحوار (٢٢) .

ولا نجد مبررا للدفاع عن الجانب العلمي التكنولوجي بحجة وصول

---

(٢٠) الكسيس كارليل — الانسان ذلك المجهول ص ٤٤ .

(٢١) د . حسين مؤنس — الحضارة ص ١٢٦ .

(٢٢) د . خالص جليبي — الطب في محراب الايمان ج ٢ ص ٢٩

ط مؤسسة الرسالة — بيروت ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م .

الإنسان إلى القمر ، إذ أن هذا النجاح يحمل في ذاته دلالة أخرى مفادها أن الصاروخ الذي يحمل مركبة الفضاء يستطيع أن يحصل قنابل ذات رؤوس نووية تصل إلى أي مكان في العالم فتهلك الحشرات والنسل ، وقد تعود بالإنسان في طرفة عين إلى العصر الحجري من جديد !!

ولكن ما معنى ذلك كله في ضوء البحث عن السعادة الحقيقية للإنسان على هذه الأرض ، وما اثره على موقف المدافعين عن العقيدة الدينية في مواجهة المسحورين بالمخترعات العلمية لاسيما في العالم الإسلامي الذي يشعر بالفارق الضخم بينه وبين العالم الغربي ؟

معناه أن منهج المعرفة الخاص بالكون قد هدى الله إليه الإنسان بالتجربة ( أما منهج المعرفة الخاص بالإنسان نفسه ، فانه لما كان من العسير على الإنسان أن يعرف نفسه بنفسه فقد هداه الله إليه بالوحي في رسالات السماء(٢٣) .

ومعناه أيضا أن ركنى الحضارة الانسانية بمعناها الصحيح لا بد ان تحقق الارتقاء أو التحسن المادى والمعنوى .

ونحن نميل إلى الرأي الذى يفلح التحسن المعنوى على التحسن المادى ، ( لأن الغاية القصوى للتحسين هي شحور الإنسان بالإنسان والاطمئنان والكفاية ، وقيام مجتمعه على التقاهم والتمساون والمحبة ، بدلا من قيامه على التحليل والانتابية والقانون الذى تنفذه قوة فالية ) (٢٤) .

وبمثل هذا التحليل والتعليل الموجز لحضارة الغرب من حيث مقوماتها وآثارها ، نستطيع تلخيص الافكار والفلسفات الرئيسية التى تشكل ملامح المشكلات الكلامية ) فى عصرنا الحاضر ، والتي استدعت اتخاذ موقف النقد

---

(٢٣) انور الجندى — سقوط العلية ص٧٤ .

دار الكتاب اللبنانى — بيروت ١٣٩٢هـ — ١٩٧٣م .

(٢٤) د . حسين مؤنس : الحضارة ص٥٤ .

سلسلة عالم المعرفة — المجلس الوطنى للفنون والآداب — الكويت

محرم — صفر سنة ١٣٩٨هـ — يناير ١٩٧٨م .

والتحيم من جانب علماء الإسلام ، ودورهم هنا كدور أسلافهم من علماء السنة عندما واجهوا فلسفة اليونان منذ القرن الثاني والثالث الهجرى .

### المشكلات الكلامية الطارئة في العصر الحديث

لا شك أن هناك جانباً هاماً لا يزال محتفظاً بجذته وحيويته في القضايا المثارة في كتب الكلام والفرق لأنه متصل بالمقائد كالأيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والبعث والحساب والعتاب وما إلى ذلك من مسائل أصول الدين ، ولهذا فانه يحتفظ بأهميته ومكانته في العقول والقلوب ، وينبغى أن يكون الأمر كذلك حيث يتحرى المسلمون معرفة أصول العقيدة ، فإذا درسناها وفق منهج صحيح وأضح المعالم كما فصل علماء الحديث والسنة ، فانه يفسر الوصول الى الحقيقة بين وجهات النظر المتباينة .

ولا شك أيضاً أن مشكلات أخرى طرأت في العصر الحاضر لم تعرفها الاجيال الماضية ولا تدخل في نطاق القضايا الكلامية المثارة آنذاك بنفس صيغها وأساليب معالجتها وطرق عرضها وذلك تنوع الثقافات وتصدد المناهج ، بالإضافة الى الانقلابات السائدة في نظم التعليم والاقتصاد والسياسة ، وظهور التخصص في مجالات العلوم والمعارف . كل هذا أدى الى تشابك المشكلات وتداخلها .

ولكن اذا عمدنا للاذهان مرة أخرى تعريف ابن خلدون لعلم الكلام — أى أنه يتضمن الحجاج عن المقائد الإيمانية بالأدلة العقلية — رأينا أن ظهور القضايا الجديدة تشكل في مجموعها لونا من علم الكلام الحديث أو المعاصر .

صحيح أن العلماء القائلين بدور الدفاع عن المقائد الإيمانية في عصرنا لا تنطبق عليهم أوصاف أسلافهم ، ولكن حصيلة إنتاجهم العلمى يدخل في دائرة القضايا الكلامية حيث تهاوا بالدفاع عن الإسلام — كل حسب تخصصه — وقد صدرت لهذا الغرض مئات المؤلفات والأبحاث ، وكتب الآلاف المغالات ، وانعقدت عشرات المؤتمرات والندوات ، وكلها نتيجة جهود مخلصات لعلماء المسلمين في شتى صنوف العلوم والمعارف ، واستهدفت

الشرح والتفسير والدفاع عن الإسلام عنسبده وتبرمه وبخبر واحدا .  
وتشكل في مجموعها ملامح عامة يدور حولها الفكر الإسلامي المعاصر .  
نعرضها بايجاز :

### ملامح الفكر الإسلامي المعاصر :

وماذينا نتكلم عن الإسلام في العصر الحديث . فانفس محروس من  
استخدام المصطلح الشائع الذي تآثرت به العلوم منذ ظهور متره دأور  
في النشوء والارتقاء وتعنى به مصطلح ( التطور ) والذي أستخفه الثغور  
حتى في مجال العقائد ، ونشترشد هنا برأى الأستاذ الدكتور منسرحس .  
الله في رده على روجيه باستيد الذي ظن أن العقائد في الإسلام مد بصورت  
كما هي الحال فيما يتعلق بالعقائد المسيحية . وانفس انفس ان جهه  
بمقائد الإسلام وبالإسلام نفسه كان سببا في جنوحه الى هذا الرى . وما  
بيننا أن العقائد الإسلامية لم تتطور لهذا السبب البسير . وهو ان القرآن  
دون مباشرة ، ولأن هذه العقائد تتجه الى العقل قبل كل شيء فلا تشعر بحاجه  
الى تعديلها وتحريرها ( ٢٥ ) .

ولا يحتاج الامر الى كبير عناء للاستدلال على أن الاتجاه انماه للمع  
الإسلامي المعاصر ، هو اتخاذا الإسلام محورا ترتكز عليه جهود المخلصين  
من المفكرين المسلمين ، للانطلاق نحو احياء جديد للحضارة الإسلامية التي  
ازدهرت في عصور الارتقاء بفضلها . ان القرآن خلق العرب حلقا جديدا .  
وقد وعد الله تعالى للمتمسكين به بالرغبة في الدارين . والله عز وجل اعبر  
مخلف وعده ، والقرآن لم يتغير وانما المسلمون هم الذين تغيروا ( ٢٦ ) .

ولسنا نؤرخ هنا لعوامل اضمحلال الحضارة الإسلامية — الا لسنا  
لا نستطيع أن نغفل ظاهرة أخرى تشكل ملامح الفكر الإسلامي في عصرنا  
الحاضر ، وهو اظهار فضل مفكرى الإسلام على الحضارة الأوروبية

---

( ٢٥ ) د . قاسم — مقدمة كتاب مبادئ الاجتهاد الدينى لروجه بنسب

ص ٦ .

( ٢٦ ) شكيب أرسلان — لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقسم غيرهم

ص ١٢ ، ١٤ .



ثم تغيرت هذه الصورة رويدا رويدا عندما انتشر التصليم ، واثقت في النفوس ، وقام العلماء بشرح الآيات القرآنية في ضوء الاكتشاف العلمية ، وظهرت حقيقة التوافق بين الاسلام والعلم بالادلة التي لا تقاوم الشك .

وهنا نجد الدكتور موريس بوكاي يبدي دهشته البالغة عندما يستعرض في بحثه المبكر في هذا المجال التوافق التام بين النص القرآني ومعطى العلم الحديث ، ثم سرعان ما يقرر انه لا داعى للمعجب او الدهشة في اذا عرفنا ان الاسلام قد اعتبر دائما ان الدين والعلم توأمان مثلآزده منذ البدء كانت العناية بالعلم جزءا لا يتجزأ من الواجبات التي أمر الاسلام . وان تطبيق هذا الامر هو الذى أدى الى ذلك الازدهار للعلوم في عصر الحضارة الاسلامية ، تلك التي اختلفت بينها الغرب قبل عصر النهضة في أوربا (٣٥) .

أما من وجهة النظر التي يقابلها الباحث في هذه القضية ، و بذلك وجهة النظر القائلة بأن النظريات العلمية كلها منصوح عليها بين القرآن الكريم ، والاخرى التي تفضل عدم الرج بالقرآن في مجالته قابلة للتغير في ضوء التجارب والمكتشفات المتوالية ، فان الراى الوسط نميل اليه ان كتاب الله عز وجل يستثير في بنى آدم عملية التفكير ويهد على النظر في آيات الله الكونية المحيطة بهم في جوانب من مخلوقات في النبات والحيوان والاملاك والمجتمعات والتاريخ وبها يكن اختلاف حول القرآن الكريم من آيات عرف العلماء الآن دلالتها العلمية في الحاضر من شمس وقمر وكواكب ، او تتحدث عن الارض والسماء ، او

---

والجبال والنجوم والسماء ، ملفتا الانتظار الى ما في بعض العلم من أواخر صريحة تطالب المسلمين بالبحث والدراسة وقت بالأخذ بأسباب العلم ، حتى كانتا جزء لا يتجزأ من تعاليم الدين من العبادات ذاتها، واذا كان المسلمون قد تخلفوا بمعنى ذلك ولا شك قد ابتعدوا عن جوهر الاسلام معها احتفظوا بطبق من العبادات ( الكون بين الدين والعلم ص ٣٥ ) .

(٣٥) موريس بوكاي - القرآن الكريم ، والتسوية والتجسس و ص ١٤ ، طدار المعارف سنة ١٩٧٦م

الإنسان وأطواره ، فان الرأي الراجح بين كلا الرأيين السالف الإنساره اليهما — ان القرآن الحكيم ليس في الواقع من مراجع العلوم ، ونشء وجه الحديث الي التلويب المتتحة والى العقول الواعية في نفس الوقت . وهوبتلك كتابه مشاعر وأخلاق وفكر في آن واحد ، يعطى من كل منها التفسر اللزيم للبشرية حتى لا تكون ثمة حجة لغارته في مختلف العصور ومنها عصر العلم ٢٦

وهامى طريقة القرآن تبرهن انها الوحيدة الثابتة بنبتات طريقته للفران مع تغير الدهسور .

ويزيدنا الدكتور موريس بوكاى ايضا فيذهب الي ان الفسركان ليس كتابا يهدف الي عرض بعض القسوانين التى تتحكم في الكون . ان له هدفا وسييا جوهريا . واوصاف القدرة الالهية هي النسبية الرئيسية في توجيه الدعوات للبشر ان يتابلوا في أعمال الخلق . وتمساحب هذه الدعوات اشارات الي أمور يمكن للملاحظة الانسانية ان تدركها او تواتين عرفها الله — تلك التى تسود انتظام الكون — في ميدان علوم الطبيعة ونسبا يحص الانسان على حد سواء . وهناك جزء من هذه الاقوال يسير الفهم ولكن هناك جزء آخر لا يمكن ادراك دلالته الا اذا كان المرء يملك معارف علمية لازمة لهذا ( ٢٧ ) .

ان ثبات القوانين الطبيعية والقوانيس الكونية يتابلها في انتظامها في مسيرتها ثبات احكام العقول وبيدهية الاوليات ، اذ لو لم تستند الملوك اساسها من اوليات وبيدهيات لانهار الصرح العلمى . ولما امكن اثبات نظريه علمية .

وبنفس البيدهيات والاوليات ، عرف الانسان ربه عز وجل ، بل الاسبق في فطرة الانسان ان يعرف خالقه ، فهو منطور على ذلك كما انه مفطور ايضا على معرفة القوانين الاولية والبيدهيات العقلية .

ويرى الدكتور الفندى ان الذى يدرس ما جاء به القرآن الكريم من اسان

( ٢٦ ) د . محمد جبال الدين الفندى : الله والكون ص ٢٤ .

ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٦ م .

( ٢٧ ) د . موريس بوكاى : القرآن الكريم ص ١٣ — ١٤ .

بينات في شتى المجالات ، يجد ان الاسلام انما يخلق مجتمعا ( طبيعيا ) يسائر الفطرة ويتمشى مع الناموس الطبيعى ، سواء من حيث ما نطر عليه ، او ما جبلت عليه الطبيعة .

وهى نفس الفكرة التى اجمع عليها علماء السلف عند تكليفهم لتوافق الايات الغيبية والسومية ، وان أدلة الشرع هى أدلة عقلية ، حيث يأتى النظر والاستدلال أيا كانت وسائله تبعا للعصور والازمنة ، معضدا للفطرة التى نطر الله الناس عليها ، وبانيا على العقيدة النظم الصالحة للمجتمع الانسانى .

وهنا تظهر روعة القرآن الكريم ، بل انه اروع الكتب التى توضح العقيدة على هذا النمط ( وهو الى جانب هذا ، انما يعطى الاحكام والامثال والايات كلها من الكون نفسه ، ولهذا نطلق على الاسلام اسم ( الدين الكونى ) او دين الفطرة ، ولهذا ايضا يظل القرآن معجزا ابد الدهر ، وتبقى حجته قوية الى ما شاء الله (٣٧ب) .

واذا كان قيام علماء الكلام في القرون الماضية باستخدام الادلة المنطقية والتفكير النظرى السائد آنذاك ، فان ما يتصل بالتضابا التى اصطلح على تسميتها ( كلامية ) في تاريخ الفرق ، يتصل اوتق الصلات بالاماق التى كشف عنها العلم وتجاريه في العصور الحديثة .

ونود القول بان الطريقة الاستدلالية التى استخدمها القرآن الكريم ظلت هى الوحيدة بين الطرق الاخرى — كالمتكلمين والفلاسفة — فهى ثابتة في نفسها كميزان عقلى متوائمة مع الاجتهادات العقلية ، وتخطب البشرية خاطبة معها اختلفت الازمنة والامكنة .

واذا اردنا اثبتت ذلك بنبذة موجزة عن دليل الاثب ، فان هذا الدليل مازال — وسيظل — ثابتا ، لان نواميس الله تعالى في الكون والنفس لا تتغير ، ويقدر ما يمنح العلماء من علم لاكتشاف المجهول ، بقدر ما تتسع ممارتهم وعلومهم عن الكون والمخلوقات والانفس .

وقد سبق الاشارة الى استخدام الصحابة رضی الله عنهم طريقة الاستدلال بحدوث العالم وهي طريقة عقلية شرعية كما قال تعالى ( او لم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجزر فنخرج به زرعا ناكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون ) في السجدة — ٢٧ لهذا مرثى بالعيون : وقال تعالى ( سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق — ثم قتل — او لم يذوق بريك انه على كل شيء شهيد ) فصلت — ٥٣ ( ٢٨ ) .

والآيات الكونية والنفسية املنا ثابتة النواميس . ولكن وسائل العلماء اخذت في التطور فاستطاعوا اختراع الآلات المقاييس والمجاهر ( ٢٩ ) التي عمقت وزادت من القدرات الانسانية على الاكتشاف ووسعت قوى الإدراك حيث يرى العلماء الآن في عالم الاملاك ما لم يراه علماء العصور السابقة ويجسرى العلماء المتخصصون التجارب بالوسائل المتطورة في مجالات عوالم الطبيعة والبحار والحيوان والنبات والميكروبات وغيرها من الكائنات .

السنن الالهية اذن ثابتة ، ولكن التطور حدث في وسائل الانسان لمعرفة اسرارها ، وفي ضوء هذه الحقيقة كيف امر الله تعالى في كتابه الحكيم بالتدبر والنظر والتمعن والاستدلال بآيات الله تعالى من حولنا وفي انفسنا .

والمستقرى لآيات القرآن الكريم يلحظ ان أسلوب الدعوة القرآني تقوم على استشارة النظرة الانسانية ، كمثل قوله تعالى ( اني اللة شك فاطر السموات والارض ) . في بدلا من لغة الفلسفة التي لجأ اليها اغلب المنكلمين فلنا منهم انها تؤدي للدفاع عن عقيدة الاسلام .

وفي ضوء الافاق التي امتدت اليها البحوث العلمية : اصبح الاسلوب المتبول هو الذي استخدمه القرآن الكريم قبل نحو أربعة عشر قرنا : ومن ثم

---

( ٢٨ ) ابن تيمية : النبوات ص ٥٢ .

( ٢٩ ) منها على سبيل الامثال : المقتراب او ( التلسكوب ) المستخدم في رؤية النجوم ، ومقاييس أعماق البحار والمحيطات ومقاييس الحرارة والزلازل والسرعة والضغط الجوي الى جانب المجاهر المستخدمة بواسطة الاطباء وعلماء الاحياء والكيميائيون والجيولوجيون وغيرهم من العلماء .

فإن المنهج الذي اتبعه علماء السنة أى الاقتصاص على استخدام الأدلة الشرعية هو المناسب أيضا لطبيعة العصر إذ يمكن اليوم وضع تعاليم القرآن أمام الناس بنفس الأسلوب الفطرى الذى نزلت به آياته .

والأمثلة كثيرة مبسطة في المؤلفات التى عالجت موضوعات الدين بلغة العلم واكتشافاته ، يشير الى بعض الافكار الرئيسية بها ، اذ يرى وحيد الدين خان ان الأسلوب العلمى — على عكس الأسلوب الكلامى — يعتمد على البساطة والايجابية التى تراعى سرد الحقائق لفئة وبيئاتها (٤) .

ويرى الدكتور الخيراوى أن العلم فى الإسلام جزء من الدين ، مستندا الى تفسير آية الفطرة المارة بنا ، مع النظر الى موقعها بعد آيات قبلها فى سورة الروم كلها ، وهى آيات كونية تتعلق بظواهر طبيعية لا يدرسها ولا يبحثها ويكشف من أسرارها الا العلم التجريبي الحديث .

ولو نظر الانساق فى نفسه فيمن حوله لوجد نظريات العلم انت متوافقة لقوانين الفطرة ، وهذا ما نص عليه القرآن الكريم فى قوله تعالى ( فأنتم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى نطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) الروم .

يقول الدكتور الخيراوى ( والعلم الحديث يقوم وجوده على هذا القانون الالهى ، قانون ( لا تبديل لخلق الله ) اذ العلم وطريقته العلمية التجريبية متوافقة على انساق الفطرة ، وانساق سننها بالاطراد والثبوت ) (٤١) .

خذ مثلا بعض الآيات القرآنية التى تتحدث عن بعض الظواهر الطبيعية، كقوله تعالى ( الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ) البقرة — ٢

وقوله سبحانه ( ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع للناس وما أنزل الله من السماء من ماء

(٤) وحيد الدين خان : الإسلام يتحدى ص ٣٠ .

د . الخيراوى — بين الدين والعلم ص ٧ .

فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب  
المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ( البقرة — ١٦٦ .

وقوله عز وجل ( الذى جعل لكم الأرض مهديا وسلك لكم فيها مسالك  
وانزل من السماء ماء فلخرجنا به أزواجا من نبات شتى . كلوا وأرعبوا تعاليم  
ان فى ذلك لآيات لأولى النهى ) طه : ٥٣ و ٥٤ .

الى غير ذلك من الآيات التى يسهل إدراكها بواسطة النفس جيبعسا .  
ومنهم أولئك الذين كان القرآن موجها اليهم وقت نزوله : ومن ناحية أخرى  
نهى تعبير عن تأملات عميقة يستطيع الجمهور المتنوع للثقافة بحسب كل مكان  
وزمان ( أن يستخرج منها تعاليم إذا ما كبد نفسه عنناء التساهل : تلك هى  
السمة الكونية الشاملة للقرآن ) (٤٢) .

---

(٤٢) موريس بوكاي — القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم  
ص ١٩٦ — ١٩٧ .



## اليساب النابن

### دراسة في الفكر الاسلامي المعاصر

#### محمد اقبال

- حياته وعصره .
- موقف محمد اقبال من الحضارة الغربية .
- اقبال بين الغرب والشرق .
- منهجه .
- أهم آرائه .
- الانسان في القرآن .
- الحقيقة بين التجربة العلمية والتجربة الدينية .





## دراسة في الفكر الإسلامي المعاصر

محمد القيسل

وفي مجال هذه الدراسة ، نرى استكمالاً للبحث ، العرض بإيجاز لاكثر الشاكر المسلم محمد القيسل ، اذ يميز بأرائه عن نموذج متكامل معبر عن القضايا الكلامية المعاصرة ، حيث جمع بين الثقافتين الغربية والاسلامية ، واستطاع بمنهجه ونتاجه اظهار حقائق الاسلام والدفاع عنه بمنهج « كلامي » فلسفي مستخدماً طريقة القرآن ومسلئها حقائقه ، ومحدثنا في الوقت نفسه بلغة العلم .

وسنرى كيف وثق في بيان موقف الاسلام من المشكلات الناجمة من الالتساء بالحضرة المعاصرة وملاج المشكلات الناجمة عنه .

## محمد اقبال

### حياته وعصره :

ولد محمد اقبال في سيالكوت بالبنجاب عام ١٢٨٦هـ - ١٨٧٣ وكان أبوه تقيا فالحقه بكتاب لحفظ القرآن الكريم ، وقد تلقى الابن اول تأثير روحى من الاب ، وكاد محمد اقبال يتخذ طريقا دينيا بحقا لولا ان صديقا لوالده - الذى كان يعمل بالزراعة - حثه على ان يترك الابن العلوم الحديثة ، فالتحق بمدرسة اليمعة الاسكتلندية في سيالكوت في رعاية صديق الوالد ( مولانا مير حسن ) وكان ضليعا في الآداب الفارسية والعربية . التحق بعد ذلك بالكلية الاميرية في لاهور حيث اختار الفلسفة مجالا لتخصصه ، وفيها تتلمذ على يد المستشرق سيرتوماس آرنولد ، ثم سافر الى انجلترا للدراسات العليا في الفلسفة حيث حصل على الماجستير ثم اتجه بعدها الى ألمانيا ، وهناك حصل على الدكتوراه في الفلسفة ، إذ منحه النظام البريطانى من الحصول عليها لأنه اجنبى . وذاعت شهرته في أوروبا إذ أخذ يترنم شعرا بالفكره الاسلاميه .

وعاد من أوروبا بانطباع جديد عام ١٣٢٧هـ - ١٩٠٨ . أنه اذا كانت مادية الغرب خالية من القيم الروحية والاخلاقية ، فان روحانيته الشرق قد اصبحت خاوية ، وان اعاده الروح الى الحضارة الاسلاميه بنقحه من الشرق والغرب معا ، تعلم الغرب وتقدمه التكنولوجى يعملان على القضاء على الفقر والمرض ، ولكن ليس على الشرق ان يكرر خطأ الغرب بعبادة القوى المادية وانما يجب ان نخضع هذه لاهداف روحية ، لان انقراض البشرية لا يتم الا بالدين والمسلمون انفسهم في حاجة الى تجديد الفكر الدينى وازالة معالم الجهود والتحلل التي طمست معالم الاسلام الاصليه . وكان دقيقا في اعتبار حركته الفكرية ( اعاده بناء الفكر الحديث ) لان اية محاولة انسانية لا تتعلق بتعديل مبادئه طالما ان مصدره وهو القرآن له صفة الجزم والتاكيد الابدية فان دوره اذن يقتصر على انهام المسلمين لمبادئه ، فالنطور اذن في تفسير تعاليمه وليس هناك تطور في الاسلام نفسه على النحو الذى تم بفعل ( مارتن لوتر ) في المسيحية .

واشتغل بالمحابة الى جانب اشتغاله بالتعليم والتدريس في الجامعة من الخارج اذ درس الفلسفة في المدرسة الامرية ولكنه اضطر لتركها لان اشراف الانجليز لم يسمح له بالتعبير عن انكاره ، ثم عين مبيدا لكلية الدراسات الشرقية ورئيسا لقسم الفلسفة جون التصريح للتدريس . وكان يلقى المحاضرات العمامة فلقى محاضرات في مدارس عام ١٩٢٨م جمعت فاصبحت أهم كتاب فلسفي له ( تجديد الفكر الديني في الاسلام ) .

شارك في الحياة السياسية ، وكان عضوا ماملا في حزب الرابطة الاسلامية وانتخب في الجمعية التشريعية سنة ١٩٢٦ ، وكان يدعو الى استقلال المسلمين في دولة تجميعهم ، ثم أصبح رئيس حزب الرابطة الاسلامية في البنجاب ١٩٣٥م ، توفي في ابريل سنة ١٩٣٨م (١) .

#### موقف محمد اقبال من الحضارة الغربية :

اذا انتقلنا الى التاريخ للحركات الاسلامية بالهند قبل انشاء الباكستان في عام ١٩٤٧ فماتنا نجد ان حركات كثيرة ظهرت في اوائل القرن التاسع عشر تجعل شعارها ( الرجوع الى القرآن ) .

وكانت هذه الحركات بمثابة رد فعل لتزايد المؤثرات الخارجية في حركة الغزو الاستعماري الغربي لبلاد الاسلام ، وكان حامل لوائها محمد اقبال الذي كان ( أهم ما يشغله هو الرجوع الى تلك العقيدة البسيطة ليسترد الاسلام ما فقدته ) ، وربما كان مرد اعجابه بحركة محمد بن عبد الوهاب يرجع الى هذا السبب ، فقد سماه ( المطهر العظيم ) (٢) .

وكافح محمد اقبال طويلاً حتى ظهرت دولة الباكستان الى الوجود ومن ثم أصبح هو ( الاب الروحي ) لها ، كما ان غرس الثقافة الاسلامية الجديدة التي بدأت في الهند قبل اقبال بنحو قرن كادل اثمرت النتاج العقلي له كما يذهب الى ذلك أبو الحسن الندوي ويصفه بأنه أعسق بمفكر وجده الشرق في مصرنا الحاضر (٣) .

(١) د . محمد البهي — صلة الفكر الاسلامي بالاستعمار الغربي ص ٤٢٤

(٢) م . ل . نزار — وجهة الاسلام ص ١١٩ ، ١٢٩ .

(٣) أبو الحسن الندوي — الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة

الغربية ص ٩٨ .

وكان محمد اقبال مشيعا بالثقافة الغربية ، ولكن — مع هذا — لم يدفعه ذلك الى الدعوة لتقليد الحضارة الاوربية كما فعل غيره من مفكرى المسلمين فى العصر الحديث حيث قنعوا بمظاهر الحضارة الاوربية الخلاب واخفقوا فى فهم روحها الصحيحة . ذهب الى العكس من ذلك فان الماضى البعيد ظل ماثلا امام عينيه حيث استمد الفكر الاوربى وحيه من الاسلام خلال العصور الوسطى .

• وفى النص الذى ننقل ترجمته فيما يلى ، يعبر لنا عن تحذيره الشديد للمسلمين من هذه الحضارة فيقول : —

( ولكن اياك والحضارة اللادينية التى فى صراع دائم مع أهل الحق ، وان هذه الفتنة تجلب متنا وتعبد اللات والعزى الى الحرم أن القلب يعمى بتأثير سحرها .. وانها تدع الانسان لا روح فيه ولا قيمة له ) (١) .

ان ثقافته الغربية التى اغترف منها بعمق ، هى التى جعلته يدرك فى سهولة ويسر عمق الصلة بين فكرة فلاسفة الغرب المحسنيين ، والفكر الاسلامى فى أوج نضجه ، ومن ثم فقد اكتشف أن أوربا كانت بطيئة فى ادراك الاصل الاسلامى لمنهجها العلمى ، ويعدد الادلة على الجسور الاسلامية لنهضة الغرب ، ويمتدح عليها فى منهج الشك الذى افاض فيه الغزالي ومهد به السبيل الى ديكرت ، كما تنبه لثقة ابن تيمية للمنطق الارسططاليسى وبرهنته على أن الاستقرار هو الطريقة الوحيدة الموصلة الى اليقين ومن ثم ( قام المنهج التجريبي القائل بأن الملاحظة والتجربة هما أساس العلم واصله لا التفكير النظرى ) وانتقاله الى جون ستورات . كذلك تلقى روجر بيكون علومه من الجامعات الاسلامية بالاتنلس الى غير ذلك من ميادين الفكر التى تتمثل فى الرياضيات والفلك والطب ، وكانت نتيجة ثورة عقلية اسلامية على الفلسفة اليونانية .

من هذه النظرة الواسعة يخلص مفكرنا الى ان الزعم ( بأن أوربا هى التى استحدثت المنهج التجريبي زعم خاطيء ) .

---

(١) الترجمة العربية من تصيدة ( ضرب كليم ) — نقلا عن كتاب الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية للندوى ص ٩٩ .

اضف الى ذلك ان نظر اقبال في القرآن ، واحاطته بنتائج الفكر الاسلامي في شموله واتساعه جعله يؤكد ( معارضة القرآن لموسم التندمى اكدت وجودها بالرغم من اولئك الذين كانت رغبتهم في اول الامر هي تفسير الاسلام على ضوء التفكير اليوناني ) (٥) .

انه لم يستبعد احتمال اعادة الحيوية للفكر الاسلامي من جديد اذا ما تخلص من جمود التقليد فهو يقول ( عندما ندرس اصول الفقه الاسلامي الاربعة المتفق عليها . . . وهو يعنى القرآن والحديث والاجماع والقياس على الترتيب . . . وما ثار حولها من خلاف ، فان ذلك الجمود المزعوم عن مذاهبتنا المعترف بها يتبخر ويبدو للعيان امكان حدوث تطور جديد ) .

بهذا العقل الناقد للحضارة الغربية ، المطلع على التراث الاسلامي في مآلته الحقيقية ، استطاع هذا المفكر ان يتخلص من روح اليأس من مظاهر احوال المسلمين — مثلما فعل ابن تيمية من قبل بعدة قرون — ونظير بروح متعائلة مؤكدا امكان قيام الحضارة الاسلامية من جديد . اذا ما عادت الامة الاسلامية الى اساس حضارتها دون تقليد أوروبا التي ( لا نصيب لها في التوجيه السماوي والتنزيل الالهي انه يرى — كضئلا من ذلك — المخطط اليهودي مسيطرا على أوروبا بحضارتها المادية ، فليست المعارف الا وليدة دهائم ، بل ( لا يستغرب ان يرث تراثها الديني ويدير كتابتها اليهود ) (٦) .

وعلى هذا فان المصدر الاصلى للتجديد الذي ينادى به هو الاسلام ، لانه التوجيه السماوي ، وقد اثر القرآن في عقلية اقبال وفي نفسه ما لم يؤثر فيه كتاب ولا شخصية .

### اقبال بين الغرب والشرق :

وظل اقبال سنين طويلة يفكر في حال المسامير ، ويهمن النظر في اسباب ضعفهم ، ويجول في دروب تاريخهم الطويل ، فيبتثق ذهنه عن انظومة

(٥) محمد اقبال — تجديد التفكير الديني ص ١٤٩ — ١٦٤ .

(٦) تصيدة ضربتكلم ( كتاب الصراع ، ص ١٠٠ ) .

رائعة ، يخاطب بها الانسان المسلم المعاصر فيقول ( يا شاكيا جور الزمان ،  
ويا اسير الوهم والحسبان ، اجعل قميصك ثوب الاحرام واطلع الصبح من  
هذا الظلام ، واستغرق كتابك في السجود حتى تكون سجدة للواحد المعبود ،  
ان المسلم الاول خضع للخلاق مسيطر على الآفاق ، ومشى على الشسوك في  
سبيل الحق ، فتببت الورد في الغرب والشرق ...

ويوجه اليه اللوم ، فيقرعه ، ويتساءل في اسي ( انى لارعد من خزيك  
يوم يسالك الرسول : قد اخذت منا كلمة الحق ، فمن اذ لم تسلمها الى  
الخلق ) (٧) ؟

ومعنى هذا ان الامة الاسلامية قد قصرت في أداء رسالتها ، وهاجر  
يضع يده على مللها ، فقد استحوذت على عقول المسلمين الاوهام والخرافات  
وانهكت نفوسهم في الخلافات والخصومات ، فلم يفتقدوا وحدتهم بحسب  
بل فقدوا جميع مرافق الحياة ووسائل النهو والتقدم في هذا الكون ، اى انهم  
تخلتوا في ميدان القيادة في العلم الفكرى والحضارى جميعا عنى الجانب  
الاول — كالتصوف او الشريعة او الدين — اصبحوا وثنيين وعباد آلهة المعجم  
بعد ان كانوا موحديين ، ومعلى التوحيد للعالم اجمع . وفي الجانب الثانى ،  
راى ان روح القرآن في جعلتها تعارض الفلسفة القديمة ، فانه ليس كتاب  
فلسفة ولكن فيه هدى الى مقاصد الحياة ورفقيها ، ويجعلنا ندرك ان الاسلام  
دين يعنى بالعمل اكثر مما يعنى بالفكرة . ولكن المسلمين خالفوا روحه ،  
وطغت عليهم نزعة التواكل ، فالقول بالقضاء الذى يحمله نقاد القرب للاسلام  
في كلمة ( القسمة ) يرجع بعض سببه الى التفكير الفلسفى وبعضه الى  
مقتضيات السياسة ، وبعضه الى ما لحق القوة الحيوية التى كان الاسلام قد  
بعثها اتباعه اول الامر ، من ضعف تدريجى (٨) .

وايضا يولى فيلسوفنا وجهه قبل التصوف الذى كان له تأثير في بداية  
حياته ، ولكنه بعد دراسته كالمع عوامل تأخر المسلمين ، يعود فيلغظه .  
وبعنى به تصوف وحدة الوجود ، اى التفسير الفلسفى الصوفى الذى اخذ به

(٧) عبد الوهاب عزام — محمد اقبال — سيرته وفلسفته وشعره  
ص ١٠٥ .

(٨) محمد اقبال — تجديد التفكير الدينى ص ١٢٧ .

ابن عربي اذ بينما يرى الاسلام ( الانا ) مخلوق ينال الخلود بالعمل ، جعل ابن عربي فلسفة وحدة الوجود عنصرا في الفكر الاسلامي ، ثم اصطبغ كل شعراء المعجم في القرن السادس الهجري بهذه الصبغة ، مخاطب فلاسفة الهند العقل في اثبات الوجود ، ومخاطب شعراء ايران القلب فكانوا اتشد خطرا واكثر تأثيرا ، حتى اشاعوا بدقائقهم الشعرية هذه المسئلة بين العامة فسلبوا الامة الاسلامية الرغبة في العمل (٩) .

ليست اذن عقيدة وحدة الوجود من تعليم القرآن ، فان القرآن يبين المغايرة التامة بين الخالق والمخلوق او العابد والمعبود ، ولكن امتد اثر هذه الفلسفة مع الايام فاحدثت آثارا هائلة في تغيير مفاهيم اسلامية اخرى . ويضرب اقبال مثلا على ذلك بالجهاد كشعيرة يراها الاسلام من ضرورات الحياة ، ويلفت النظر الى هذه الرامية ، التي ترنم بها الصونية .

( يسلك الغازي كل سبيل من اجل الشهادة ، ولا يدري ان شهيد العشق افضل منه . كيف يستوى هذا وذاك يوم القيامة ، هذا قتيل العسر وذاك قتيل الحبيب ) . ويملق على مضمونها بقوله ( وهذا جميل في الشعر ، ولكنه خدعة لابطل الجهاد ) .

فلا تعجب اذن من الظاهرة التي تتضح في شعر اقبال ، فالامل يظهر في شعر اقبال كله ، فهو باعث الحياة ، والجهاد الدائب في رايه هو حافظ هذه الحياة وان تارى اقبال لبروعه اعظم اقبال الامل ، وتمسويه آياه ، واتسانته بالعمل الدائب ، والجهاد المستمر ، بل يرى اقبال ان الجهاد في سبيل المقصد اعظم لذة من بلوغه ، فيقول ( طوبى لمن لا يزال في اثر المحل ، اي لذة في الاضطراب دون وصول ) ١٢

وإذا كانت فلسفة الوجود قد انتقلت حقا الى الغرب ونراها بوضوح عند الفيلسوف الهولندي الاسرائيلي اسبينوزا الا ان الذي انقذهم منها رغبتهم في العمل ، فلم يلبث طويلا طلسم وحدة الوجود ، فقد تبين بأدلة رياضية سبق الالمان الى اثبات حقيقة ( الانا ) الاتساقية المستقلة ، ثم تحرر من هذا الطلسم



الخيالى فلاسفة الغرب على مر الزمان ولاسيما فلاسفة الانجلىز الحسين  
التجريبين .

ويفسر لنا اقبال سبب عزوفه عن التصوف امام حملة النقد التى وجهت  
اليه فيقول فى رسالة سنة ١٩١٥ ( انى بفطرتى وتربيتى ائزح الى التصوف ؛  
وقد زاحقتى فلسفة أوروبا نزوعا اليه . فان فلسفة أوروبا فى جملتها تتوجه الى  
وحدة الوجود ، ولكن تدبر القرآن المجيد ، ومطلعة تاريخ الاسلام بامعان  
اشعرانى بغلظى ، ومن أجل القرآن عدلت عن افكارى الاولى ، وجاهدت  
مبلى الفطرى ، وحدث عن طريقة آبايى ) .

ويتلخص منهجه فى بيان القيمة الايجابية فى توجيه الاسلام لانتقاد  
المسلمين من ضغط الفكر المادى الطبيعى وسيادته فى أوروبا ، وانتشار الدعوة  
اليه فى الهند خاصة فى ذلك الوقت عن طريق السيد احمد خن(١٠) .

اما تعليقه للمادية فى الغرب ، فيرجع الى توجيه امه الى العالم بحثا  
وتنقيا ودراسة واستخدامها ، وغفلت عن الحق تعالى لها ، فنادى بهسا الى  
عبادة المادة والتجرد من خلال الانسانية الحق .

ولكن اهم الشرق اتجهت بكليتها الى الحق صارمة انظارها عن العالم  
مما جعلها لا تمبسا بتسخير الكون ، فتحوالت الى فقر وعوز واستغلتها  
غيرها(١١) .

ويرى اقبال انه لا يمكن الوصول الى الحقيقة الكاملة بواسطة  
الفلسفة ، مغلبا الجانب العملى الدائب لاصلاح النفس فيقول :

فتفكر فى ذاتك ، ولا تخش المرور من هذه البادية : فانت موجود ووجود  
العالمين ليس شيئا ، اجتهسد فى اصلاح شخصيتك وتكميلها ، ولا تمضى فى

---

(١٠) د . محمد اسماعيل الندوى — نظرات جديدة فى شمس اقبال  
ص١٥٢ .

(١١) محمد اقبال : رسالة الخلود — او — جاويد نامه ص٩٩ ترجمة  
وشرح وتعليق د . محمد السعيد جمال الدين ١٩٧٤ م .

الحياة خائفا مذمورا ، فوجودك هو الوجود ووجود العالمين ليس شسينا اذا  
قيس بوجودك بامتبارك مكرما من جانب الله تعالى .

وبعد عدة آيات شسعرية اخرى يصف فيهما طريق اصلاح النفس  
والوصول الى درجة عالية من الرقى الروحي ، مناديا بأنه ينبغي على الانسان  
ان يهمل كل ما لا يعنيه في الوصول الى الهدف المنشود ، الا وهو وجود الحق  
تعالى .

وعندئذ نان الجنة هي الهبة النهائية وهي جزاء العمل ( بالجنة التي  
وهبك الله اياها ليس لها لية قيمة او اعتبار ما لم تكن جزاء على عمل صالح  
قد قدمته ) (١٢) .

وهكذا يتجه اقبال للاهتمام بالروح ويعطيها المكانة الاولى في جانب  
المعرفة والجانب الاخلاقي .

يقول اقبال ( يا من تقول ان الجسد حامل الروح انظر سر الروح ولا تعب  
بالجسد ) . . ان هذا الجسد ليس مخزنا لروحنا ولا رفيقا لها ، يذهب معها  
حيثما ذهبت ، بل انه لا يزيد من كونه حفنة من التراب ، وهل تحول حفنة  
من التراب دون تطبيق الروح (١٣) .

ويرفع اقبال من شأن العمل وجهاد النفس لكي ترقى ونسبو  
بصاحبها . يقول :

( ان القرب من الله تعالى امر ليس يسير المتال ، انه في حاجة الى جهاد  
مع النفس ومع قيود الزمان والمكان ، فلا تتحدث عن غريبتك وعن رغبتك في  
القرب الالهي وانت خامل ، وانما انهض واعمل على ترقية روحك حتى تصل  
انى هدفك ) (١٤) .

ومادامت الروح هي الوجود الفعسالم المؤثر ، ووجودها هو الوجود  
الجوهري بينما وجود المادة وجود عرضي ، فان السبيل الوحيد لسعادتها

(١٢) محمد اقبال : رسالة الخلود ص ١١٩ .

(١٣) نفس المصدر ص ٨٣ .

(١٤) نفس المصدر ص ١١١ .

هو التجربة الدينية ، لاسيما الصلاة . فالفلسفة معرفة جزئية وللعلم كذلك ، ولكن الدين ينطوي على الاكمل لانه منهاج المعرفة الصحيح .

ويقيم اقبال تصوراته عن الانسان ومكانته ومصره على اصول من الايات القرآنية اذ المعنى الحقيقي للانسان ( انه هو الذي جعله الله خليفة له واودع فيه صلاحية الرقى ، وسيظل يطوى مراحل الرقى الى ان ياتي اليوم الذي يتحقق له فيه التوازن في الصفات فيكون معتدلا موزونا كبيت من الشعر ، عادلا كخالقه ) .

ويرى استنادا الى قصة الخلق في القرآن الكريم وجود الانسان في الارض وجود مؤقت فهو في شوق دائم الى موطنه الاصلى اى الجنة (١٥) .

يقول اقبال : « والانسان بما وهب الله من قوى متوازنة على احسن ما يكون قد اتى نفسه في اسفل ميزان الوجود » وقد احاط به من كل جانب قوى تقيم في وجهه العتبات « ويرى ان انعكاس البيئة الدنيوية على الانسان هي سبب قلته وسفله الدائم بالمثل العليا والبحث عن آفاق جديدة . ومع ان نصيب الانسان في الوجود شساق وحياته وهن كورقة الورد ، فليس للروح الانسانية نظير بين جميع الحقائق في توتها ، وفي الهامها وفي جمالها .

وبهذا التحليل يرتفع فيلسوفنا بقيمة الانسان ومكانته حتى يقوم بمسئولية حمل الامانة ، ويستحق ان يكون خليفة الله تعالى في الارض (١٦) .

اهم آرائه :

تعد تصديده المشهورة ( اسرار خودى ) سنة ١٩١٥م اول دواوينه الفلسفية واهمها ، وكلمة ( خودى ) تدل في لغتها الفارسية على الاثرة والمعجب والانبوية وما يتصل بها . وفي الاردية تعنى دعوة في الاخلاق منكرة وفي التصوف اشد نكرا ، ولكن اقبال نقل (خودى) الى مفهوم آخر ، جعله اصل

(١٥) نفس المصدر ص ٦٩ ، ص ١١٢ .

(١٦) د . محمد اسماعيل . نظرات جديدة في شعر اقبال ص ٧٦ .  
المجلس الاعلى للشئون الاسلامية صفر ١٣٨٩ هـ - مايو سنة ١٩٦٩م

فلسفة له ، مراد بها الذاتية ، وهي مفتاح فلسفته كلها ، إذ رأى أن العالم قائم بهذه الذاتية ، وأن الإنسان بهذه الذاتية يقوم ، على قدر قوتها وضعفها بل يخلد أو يفتن باستحكاها أو اضمحلالها ، ولهذا فإن الواجب الإنساني في هذه الحياة ينبى أن يتوجه لمعرفة ذاته وتقويتها وتبوية مواهبها ونسقيطها ما في فطرتها ، وليس من الخير في شيء انكار الذات أو اضعافها ، بل هو الشر كل الشر ، كما لا ينبى العمل لفنائها ولا الرضا به كما يجعل الهنادك وصوتية العجم ، بل لا تقنى الذاتية في الله تعالى وليس من الخير السعى الى افنائها فيه (١٧) .

ونستطيع الالمام بأهم آرائه إذا احطنا علما كما اسلفنا بالمؤثرات الثقافية في تكوينه ، فقد نشأ في بيئة اسلامية تميل الى التصوف ، والتقى بحضارة الغرب في أوج نضجها قبل الحرب العالمية الاولى ، وعكف على القرآن يدرسه ، بعقلية المتشبع بالفلسفة الغربية ، وأعلن (لو أن مسلما متفلسفا بين المسائل القرآنية في ضوء الانكار والتجارب الحديثة ما صبح اتهامه بأنه يقدم شرابا جديدا في زجاجة قديمة ، كما يقول مستر تكسن ، لنا لا امرض افكارا جديدة في ثياب قديمة ، ولكنى أبين حقائق قديمة في ضيوع الافكار الجديدة . ما أشد أسفى لجهل الغرب الاسلام والفلسفة الاسلامية) (١٨) .

وتشير هذه العبارات الى مقومات فلسفته وأصولها ، فقد استمد من القرآن الحكيم أهم خصائص فلسفته الذاتية ، ونعنى به تصوره للإنسان ، أصل نشأته ومصيره ، فقد كشف القرآن الاسرار الكامنة والطاقات الهائلة في الإنسان ، وسخر له هذا الكون ، وجعله خليفة الله في الارض ، اذ يصف اقبال الإنسان بأن الله سبحانه وتعالى وهب له من القسوى متوازنة على احسن ما يكون ، قد التقى بنفسه في أسفل ميزان الوجود ، وقد احاط به من كل جانب قوى تقيم في وجهه العتبات ( لقد خلقنا الإنسان في احسن تقويم

(١٧) د . عبد الوهيب عزام : محمد اقبال — سيرته وحياته من ص ٦١

مطبوعات باكستان ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٤ م .

(١٨) د . عزام : محمد اقبال .. ص ١٢١ .

ثم رددناه أسفل سافلين) (١٩) ، وكل ذلك لتعوية ذاته بواسطة مقابضة العقبات التي تصادفه كما سيأتى .

### الانسان في القرآن :

ان الانسان كائن خلق كما رأينا في رأى اقبال . وهو على ما نبيسه من نقائص أسس من الطبيعة . اذ أنه يكيف مصيره ومصير العالم كذلك وتسخير القوى . . ولكن المنهج الذى يضعه القرآن يجعل تفسير الانسان لنفسه أساسا وآيات خلافته للأرض تشير الى ان الانسان موهوب بالملكة التى تجعل له القدرة على وضع أسماء للأشياء أى أنه يكون التصورات لها) (٢٠)

ولكن الانسان هو خليفة الله فى الأرض والمعصية الاولى التى أوردتها القرآن كانت ببغية أو فعل للانسان تتمثل فيه حرية الاختيار .

ويصور الحياة كمغامرة تيسر الإبتلاء ( ونبلوكم بالشر والخير فتنة ) .

على ان المغزى لحادثة سجود الملائكة لآدم عليه السلام يتعلق بأمرين اولهما رغبة الانسان فى المعرفة حيث تبين الآيات رغبة الانسان فى المعرفة حيث تبين الآيات القرآنية تفوق آدم على الملائكة فى معرفة أسماء الأشياء ، أما الأمر الثانى فيتمثل بخطاب الشيطان لآدم ( موسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ) ( طه ١٢٠ ) — أى إشارة الى رغبة ( لا تقاوم فى الحصول على ملك لا يبلى ) (٢١) .

وقد توقف اقبال عند هذا الشرح مكتفيا بالإشارة الى ان معنى الحياة للانسان يتحقق فى الشكل الفردى ( فان الحياة معناها ان يكون للانسان شكل معين ، ومردية متحققة الوجود فى الخارج ) .

الا انه يفسر قوله تعالى (قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو) (الاعراف) بأنها تعبر عن الصراع بين الامراد المتصارفين اثناء سعى كل منهم

---

(١٩) د . محمد اسماعيل الندوى — نظرات جديدة فى شعر اقبال ص ٧٦

المجلس الاعلى للشئون الاسلامية سفر ١٣٨٩ هـ — مايو ١٩٦٩ م .

(٢١) تجديد التفكير الدينى : ص ١٠١ — ١٠٢ .

للكشف عن امكانياته من أسباب ملكه ، ان هذا الصراع عنده هو سبب  
الم الدنيا .

ومن نظرتة للوجود الشخصى الفردى جعل الامانة التى تكرتها آية  
الميثاق — الامراف آية ١٧٢ — ستشمل عنصرى الخير والشر لانها قائمة  
على أساس حرية الاختيار ، وقد خلقه الله تعالى للاختبار مع وضع الامثلة  
للرجولة الحقة كالصبر فى البأساء والضراء والاعتقاد فى الفوز فى النهاية  
لمن اجتاز الابتلاء بنجاح (٢٣) .

ويصور لنا اقبال الحياة الانسانية فى شكل معركة حقيقية ، تبرز فيها  
عناصر المقاومة والكفاح الدائم ، ولكن الانسان يملك فى نفسه من أسلحة  
المقاومة ما هو كفىل بنجاحه وانتصاره . فبالرغم من ان نصيب الانسان فى  
الوجود شاق ، وحياته كورقة الورد ، فليس للروح الانسانية نظير بين  
جميع الحقائق فى قوتها وفى الهامها وفى جمالها . وقدتر على الانسان ان  
يشارك فى اعمق رغبات العالم الذى يحيط به ، وان يكيف مصير نفسه  
ومسير العالم ، وتسخير هذه القوى لاغراضه ، على شرط ان يبدأ بتغيير  
نفسه ( ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ) (سورة الرعد) .

وهنا تظهر لنا الشخصية الانسانية كاوضح ما تكون ، لان القرآن قد  
بينها — من وجهة نظر فيلسوفنا — مؤلفة من امور ثلاثة واضحة كل الوضوح  
على التفصيل الآتى :

اولا — ان الانسان قد اصطفاه الله (لم اجتباه ربه فتب عليه  
وهدى) .

ثانيا — ان الانسان بالرغم من اخطائه جميعا ، اريد به ان يكون خليفة  
الله فى الارض .

---

(٢٢) قال تعالى : « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم  
واشهدهم على انفسهم الست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا ، ان تقولوا  
يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلون » صدق الله العظيم .

(٢٣) محمد اقبال — تجديد التفكير الدينى ص ١٠٢ و ٩٧ — ٩٩ — ١٠٠

( وإذا قال ربك للملائكة انى جعل فى الارض خليفة ، قالوا : اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . قال انى اعلم ما لا تعلمون ) . ( وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيها آياتكم ) .

ثالثا — ان الانسان امين على شخصية حرة أخذ تبعثها على مآقسه ( انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها ، واشفقن منها ، وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ) .

واستخلص اقبال من هذه الامور ان مهبة الاسلام الحقيقية هي كشف الذات الانسانية وابرارها ، والذات خالدة ابدا ، ولا تفقد وجودها حتى بعد الموت ، ويعد القرآن أعلى مراتب السعادة الانسانية وجزاؤه الاوفى تدرجه فى السيطرة على نفسه (٢٤) .

### الحقيقة بين التجربة العلمية والتجربة الدينية :

كان لا بد لاقبال ان يلقى بذلوه وسط ضجة التجارب العلمية والاكتشافات التى تمت من طريق المنهج التجريبي باوربا ، وطفيان هذه الظاهرة امام انحسار موجة الدين . ولكن غيلسون لم تخدعه الظواهر ، لمأخذ ينتب عن ضرورة الدين واهميته للحضارة البشرية ، ورأى ضرورة امداد الانسان العصري اعدادا خلقيا يؤمله لتحمل التبعة العظمى التى لا بد من ان يتمخض عنها تقدم العلم الحديث ، والدين كقيل بتحقيق هذه الغاية لانه سعى المرء سعيا مقصودا للوصول الى الغاية النهائية للقيم (٢٥) .

ونستطيع تفسير موقف محمد اقبال هنا بالمقارنة بين فريتي العقل والنقل فى الفكر الاسلامى ، فمن هذه الواجهة ، يعد من الاخذين بهما معا — كسلفه ابن تيمية . وكان لا بد للنيلسوف المعاصر لاوريا فى اوج حضارتها ، القارىء لتراثها والناهم لانتاج فلاسفتها ، ان يستلهم الاسلام فى حل المشاكل التى يراها تتفق امامه عن ازمانت لا يستهان بها . قال ( لا ريب فى ان اللحظة

(٢٤) د . الندوى — نظرات جديدة فى شعر اقبال ص ٧٩ — ٨١ .

(٢٥) محمد اقبال — تجديد التفكير الدينى فى الاسلام ص ٢١٧ .

الحاضرة تمثل أزمة خطيرة في تاريخ الثقافة المصرية ( بعد فشل أسلوب التصوف في العصور الوسطى والقومية والاشتراكية اللاحادية في شفاء ملل الانسانية البائسة ، لان أسلوب التصوف كان أبعد ما يكون عن تديم قوى الحياة النفسانية عند الرجل العادى بحيث يعده للمشاركة في موكب التاريخ ، تعلمه نوعا من الزهد الزائف ، وجعله يقنع بجهله ورقه الروحى فنامة ثامة ، وكان لاسلوب الاشتراكية الملحدة الحديثة ما للدين الجديد من حية وحرارة ، ولكنها استمدت اساسها الفلسمى من المتطرفين امثال هيجل ، واعلنت المعصيان عن المصدر الذى كان يمكن ان يدها بالقوة والهدف ، ويؤكد انها ستأثر بغير شك بالقوى السيكولوجية للكراهية والارتباب في نيات الغير ، والاحقاد ، تلك القوى التى تنزع الى اضعاف روح الانسان وانصاب ينابيع توتة الروحانية الخفية(٢٦) .

ولمعرفة رأى اقبال في الحل المقترح ، لابد ان نعرض بايجاز شديد للمقارنة بين الحقيقة في التجربة العلمية ، والتجربة الدينية :

عندما نضع ( العلم ) في مجموع التجربة الانسانية ، يشرع ينكشف عن طبيعة مختلفة ، والعلوم جزئية بطبيعتها ، وعلى هذا فان الابتكار التى تستخدمها في تنظيم المعرفة جزئية بطبيعتها ، وتطبيقاتها اعتبارى بالنسبة لمستوى للتجربة التى نستخدمها فيه . واظهر دليل على ذلك تطورات النظرية العلمية على مر الاجيال من المادة .

تكلم محمد اقبال عن الاطلا التى تسند عليها الفلسفة المدرسية وهى الدليل الكونى ودليل الغائبة والحليل الوجودى(٢٧) .

وربما اهم ما يوجهه من نقد الى الحليلين الوجودى وحليل العلة الغائبة لانها لا يؤدى الى شيء ) مستندا الى حقيقة مؤكدة وهى ان الوضع الانسانى ليس وقفا نهائيا — وربما يقصد انه يعيش في هذه الحياة مؤقتا ومصيره الى الموت — ويرى ان الفكر والوجود هما في النهاية امر واحد ولهذا فهو يرمع من شأن التجسرية .

(٢٦) محمد اقبال — تجديد التفكير الدينى ص ٢١٧ .

(٢٧) نفس المصدر ص ٢١٦ — ٢١٧ .



والتجربة كما تنكشف في الزمان تتمثل في ثلاثة مستويات كبرى هي :  
مستوى المادة .. ومستوى الحياة .. ومستوى العقل والقدس وهي  
على التوالي موضوعات علم الطبيعة وعلم الاحياء وعلم النفس .

ولقد وجه النظر الى بعض آيات الكتاب الكريم التي تتصل بالموضوع :  
البقرة آية ١٦٤ ( ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار  
والنلك التي تجرى في البحر .. ) .

وآل عمران ١٩٠ - ١٩١ ( ان في خلق السموات والارض واختلاف  
الليل والنهار آيات لاولى الالباب .. ) .

وسورة النور ٤٤ ( يقرب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولى  
الابصار )

ويقول هويتهد ان العالم ليس شيئاً قاراً بل هو بناء من حوادث كانتها  
سبل متصل خلاق ، وهذه الصفة لسير الطبيعة في موكب الزمان ربما كانت  
ابرز وجوه التجربة التي اكدها القرآن على وجه خاص .

والكون الذي يبدو لنا في صورة مجموعة من الموجودات ليس مادة  
صلبة تشغل فراغاً ، انه ليس شيئاً ، انما هو فعل وطبيعة الفكر المتجدد  
على ما يرى برجسون .

ان الطبيعيات تدرس العالم المادي والعالم الطبيعي الذي يبدأ وينتهي  
بالتواهر الحسية التي يستحيل غيرها ان يتحقق من صدق نظرياته ،  
والطبيعيات مقصورة على درس عالم المادة اى عالم الاشياء المحسوسة .

اما الحركة العقلية التي يتضمنها هذا الدرس — وكذلك التجربة الدينية  
فانها امور خارجة عن ميدان الطبيعيات .

وعلى سبيل المثال عندما اصف السماء بلونها ( زرقاء ) فان هذا لا يدل  
على ان هذا اللون صفة موجودة في السماء وانما يدل على ان السماء تحدث  
في العقل احساساً بالزرق .

وقد أثبت عالم الرياضيات والطبيعة هو إيتهد بطريقتة قاطعة أن الألوان والاصوات . . الخ في نظر العلم ليست إلا أحوالا ذاتية لدركها لا جزءا من الطبيعة فاللون والصوت عبارة عن موجات اثريية لا تراها العين وموجات هوائية لا نسمعها الاذن أى ان — بعبارة هذا العالم — تصبح نصف الطبيعة ( حلما ) ونصفها الثاني ( ظنا ) .

بعبارة أخرى ان التزعة التجريبية التي بدت اول الامر أنها تقتضى المادة العلمية انتهت الى ثورة على المادة .

ولقيت أيضا نظرية المادة اعظم لطمة على يد ( اينشتاين ) حيث زرع بنظريته من النسبية معنى الجوهر كما اسطلى عليه القدماء أكثر مما زمره جدل الفلاسفة كله . .

ان المادة عند قدماء الفلاسفة هي شيء يلبث في الزمان ويتحرك و مكان ، ولكن النسبية في الطبيعيات قوضت دعائم هذا الراى حيث تذهب الى ان ( القطعة من المادة ليست شيئا ثابتا له أحوال متفسيرة ، بل أصبحت مجموعة حوادث مرتبطة بعضها ببعض .

وبهذا ذهبت صلابة المادة التي قيل بها قديما ، وذهبت معها الخصائص التي كانت تجعلها تبدو في نظر المادى شيئا اقوى في حقيقته من الإنكار التي تجول في المعتل .

وعلى هذا فليس لمة شيء اسمه مادة لها وجود في ذاتها كما كان الراى في علم الطبيعيات القديم ،

ان قيمة نظرية النسبية بوصفها نظرية علمية لها قيمة مزدوجة من الناحية الفلسفية ( نهى أولا لا تهدم حقيقة الوجود الخارجى وانما تهدم النظر الى الجوهر باعتباره مجرد شيء قائم في مكان ، وهو راى انتهى الى المادية في علم الطبيعيات القديم ، فالجوهر في نظر الطبيعيات النسبية ليس شيئا قائما بذاته له أحوال متخايرة ولكنسه مجموعة من حوادث يتعلق بعضها ببعض ) .

وهكذا أخذت ( المادة ) طبيعة مختلفة لان العلم لا يستطيع ان يقسم نظرياته على اعتبار انها رأى كامل عن الحقيقة ، وعلى هذا فان الامكار التي يستخدمها في تنظيم المعرفة جزئية بطبيعتها كما رأينا ، وتطبيقاتها اعتبارى بالنسبة لمستوى التجربة التي نستخدمها . وقد أصبح هذا الاستدلال في غاية الاهمية حيث ان العلماء قد اعترفوا بان العلوم المادية لا تعطى الا علما جزئيا عن الحقائق .

اما الدين فهو السبيل الى معرفة ( الذات الكلية ) ، فالعبادة فيه - وعلى وجه اخص الصلاة - هي المدخل في نظرس اقبال الى ادراك تلك الذات الكلية ادراكا قريبا . ان حقائق الدين غوى العلم ، ولا تستطيع العلوم المادية الوصول اليها .

ويكشف اقبال من خطأ التعريفات للدين التي وضعها ( يونج ) ومضمونها في الجملة هو ان الدين لا يصل بين ذات الانسان وبين اية حقيقة واقعية خارج نفسه ، بل هو مجرد تدبير بيولوجى حسن القصد أريد به اقامة حدود ذات طابع اخلاقى حول المجتمع الانسانى لكى تحصى البناء الاجتماعى من غرائز الذات التي لا يكبح لها بشر ذلك جماسح ، وكان يونج قد رأى في المسيحية انها انتهت من رسالتها بسبب تضرره للحياة الدينية الرفيعة مجرد قهر النفس للبواعث الجنسية ، ولكن محمد اقبال يفسد هذا الزعم الخاطيء لان قهر البواعث الجنسية ليست الا مرحلة تهيديية من مراحل تطور الذات وارتقاها . وكما يؤكد أيضا ان علم النفس الحديث لم يمس بمسد للحياة الدينية حتى في هوامشها ، وانه مازال بعيدا عما يسمى تنوع الرياضنة الدينية .

ويرى فيلسوفنا ان الدين ، وهو في جوهره حال من احوال الحبسنة الواقعة ، هو الطريقة الوحيدة للبحث في الحقيقة ، وبوصفه نوعا من رياضة عالية رفيعة ، يصح انكارنا في فلسفة الالهيات لان الادراك وحده لا يؤثر في الحياة الا تأثيرا جزئيا ، أما العمل - وربما يقصد هنا العبادة واخصها الصلاة - فيسيطر على الاعمال السيكولوجية والفسولوجية لتهيئة الذات لكى تكون سالحة للاتصال المباشر بالحقيقة القصوى ، وهو وسيلة لادراك الحق ، يفتح لنا ابوابا جديدة من الشعور ، كما يفتح المجال لاماكن وجود تجربة تهب للحياة وتميد العلم ( فالسؤال عن ان الدين يمكن ان

يكون نوعاً من تجربة اسمى وأرفع سؤال مشروع تماماً ويتطلب منا الانتباه الجدى .

وايضاً فان مطلع الدين يسمو فوق مطلب الفلسفة ، فالفلسفة نظريات أما الدين فتجربة حية ومشاركة واتصال وثيق ، وينبغى على الفكر لكي يخلو هذا الاتصال ان يسمو فوق ذاته ، وان يجد كماله فى حال من احوال العقل يسميها الدين الصلاة ، والصلاة لفظ من آخر ما افرجت عنه شمسنا نبي الاسلام عند وفاته .

تم بحمد الله وتوفيقه



## المراجع

— القرآن الكريم

( أ )

- اقتضاء الصراط المستقيم — ابن تيمية .
- ابن تيمية — المرافى ( سلسلة اعلام المسلمين ط الحلبي ) .
- آراء فلسفية في أزمة العصر — ادريين كوخ مكتبة الانجلو المصر سنة ١٩٦٣ م .
- أبو الحسن الأشعري — د . حمود غراب ط مجمع البحوث الاسلامية ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م .
- ايثار الحق على الخلق في رد الفسلافات الى المذهب الحق — ابن الوزير اليماني ط الآداب بمصر .
- أحمد ابن حنبل والمحنة — ولترينون .
- الله والكون — د . محمد جمال الدين الفندى .
- الاسلام قوة الغد العالمية ترجمة الدكتور محمد شامة — بول شميتر .
- الاسلام يتحدى — وحيد الدين خان .
- الاسلام والغرب والمستقبل — ارنولد تونبي .
- الايمان — ابن تيمية — مكتبة انصار السنة المحمدية بالقاهرة .

( ب )

- البداية والنهاية — ابن كثير .
- البرهان في معرفة عقائد الاديان — عباس بن منصور السكسكى الحنبلى دار التراث العربى ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م تحقيق : خليل احمد ابراهيم الحاج
- بغية المرئاد في الرد على المتفلسفة والفرامطة والباطنية — ابن تيمية .
- البرهان القاطع — ابن الوزير اليماني .

- البرهان في علوم القرآن — الزركشي — ط الطبى سنة ١٩٥٧م .
- بين الدين والعلم — د . الغمراوي .

( ت )

- تاريخ الفكر الفلسفى فى الاسلام — د . محمد على ابو ريان .
- تاريخ الفلسفة اليونانية — يوم كرم .
- تاريخ الدولة العباسية — د . جمال الدين الشيال .
- تدوين العالم — الخطيب البغدادي .
- تأويل مختلف الحديث — ابن قتيبة .
- تاريخ الخلفاء — السيوطي .
- تجديد التفكير الدينى — محمد اقبال .
- تفسير سورة الاخلاص — ابن تيمية .
- تذكرة الحفاظ — الذهبى .
- التعريف لابن تيمية — محمد ابو زهرة من كتاب اسبوع الفقه الاسلامى .
- تيارات فى الفكر الاسلامى — د . محمد عمارة .
- تبين كذب المفترى على الامام ابي الحسن الاشعري — ابن عسكركر .
- تهديد لتاريخ الفلسفة الاسلامية — الشيخ مصطفى عبد الرازق ط لجنة
- التأليف والنشر والترجمة بالقاهرة ١٣٦٣هـ — ١٩٤٤م .
- تفسير الامام عبد الحميد بن باديس .
- التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية — د . عبد الرحمن بدوى .
- تطبيع ابليس — ابن الجوزى .
- التشبيه والرد على الاهواء والبدع — المالطى .
- تاريخ بغداد — الخطيب البغدادي .
- تاريخ الكامل — ابن الاثير .
- التشبيه والاشراف — المسعودى ط القاهرة ( ١٣٥٧هـ — ١٩٣٨م ) —
- تصحیح ومراجعة عبد الله اسماعيل الصاوى .

( ٥ )

- جامع الرسائل الكبرى — ابن تيمية تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم —  
ط المبنى بالقاهرة سنة ١٩٦٩ م .
- جلاء العينين في محاكمة الاحمدين — ابن تيمية .
- جواب اهل العلم والايمان — ابن تيمية .
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح — ابن تيمية .
- جامع بيان العلم وفضله الحافظ ابن عبد البر القرطبي .

( ٦ )

- الحيدة — عبد العزيز المكي — مطابع الشرق الاوسط — الرياض .
- حضارة الاسلام — مؤاد محمد شبل .
- الحضارة — د . حسين مؤنس .

( ٧ )

- دفاع عن العقيدة — محمد الغزالي دار الكتب الحديثة — القاهرة .
- دول الاسلام — الذهبي — ط حيدر آباد ١٣٢٦ هـ .

( ٨ )

- الرد على المنطقيين — ابن تيمية ط لاهور ( ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م ) .
- الروض الباسم في الزب عن سنة ابي القاسم — ابن الوزير اليماني .
- الرد على الزنادقة والجهمية — احمد ابن حنبل .
- رجال الفكر والدعوة في الاسلام — ابو الحسن الندوي .
- رحلة ابن بطوطة — المطبعة الازهرية .
- رسالة الخلود او ( جاويد نامه ) — محمد اقبال .



(س)

- سقوط العلمانية — أنور الجندي .
- السلوك — ابن تيمية ط الرياض .
- الاستيعاب — ابن عبد البر .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة — ابن الأثير — ط الشعب .

(ش)

- شمس الله تستطع على الغرب — زيجفرد هونكة .
- شرح العقيدة الاصفهانية — ابن تيمية .
- شرح حديث النزول — ابن تيمية .
- شرح عقيدة السناريني ط المنار سنة ١٣٢٣ هـ بمصر .
- شرح أصحاب الحديث — الخطيب البغدادي ط دار احياء السنة النبويه
- أنقرة ١٩٧٢م تحقيق د . محمد سعيد خطيب أوغلي .
- شرح الطحاوية — تحقيق الالباني .

(ص)

- الصلدية — ابن تيمية — تحقيق د . محمد رشاد سالم — مطابع حنيفة — الرياض ١٣٩٦ هـ — ١٩٧٦ م .
- صلة الفكر الاسلامي بالاستعمار — د . محمد البهي .
- صون المنطق — السيوطي ط البحوث الاسلامية .
- الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية — ابو الحسن الندوي — ط دار الندوة لبنان .

(ط)

- طبقات الشافعية — ابن السبكي .

— الطب في محراب الايمان — د . خالص جلي .

(ظ)

— ظاهرة الردة في المجتمع الاسلامي الاول — محمد حسن بريفتن —  
ط مؤسسة الرسالة — بيروت .

(ع)

— عقائد السلف — ابن قتيبة تحقيق د . النشار ومهار الطالبى — منشأة  
المعارف بالاسكندرية ١٩٧١م .  
— الاعتصام — الشاطبي — ط دار الشعب .  
— العقود الدرية — ابن عبد الهادي .  
— عدة الصابرين ونخبة الشاكرين — ابن القيم — مطبعة الامام .  
— عقائد المفكرين في القرن العشرين — عباس العقاد دار الكتاب العربي —  
بيروت ١٩٧١م .

(غ)

— غاية المرام في علم الكلام — سيف الدين الابدى — ط المجلس الاعلى  
للشئون الاسلامية بالتساهرة ١٣٩١ — ١٩٧١م تحقيق : د . حسن  
عبد اللطيف .  
— غاية الاماني في الرد على النبهاني — ابو المعالي السلامي .  
— غيات الامم في التباين الظلم ( الامام الجويني ) ط دار الدعوة بالاسكندرية  
١٣٩٩ — ١٩٧٩م تحقيق د . مصطفى حلمي و د . فؤاد عبد المنعم .

(ف)

— الفتاوى الكبرى — ابن تيمية تحقيق حسين محمد مخلوف ط الرياض .  
— في الفلسفة الاسلامية — د . مذكور .

- في الاصول من الاثمة الفحول — ابو الحسن الكرجى .
- الفهرست — ابن النديم ط فلوجل ليبيك ١٨٧١ م .
- الفرق وطبقات المعتزلة — القاضي عبد الجبار — ط دار المطبوعات  
الجامعية تحقيق د . النشار وعصام الدين محمد على .
- الفرقان بين الحق والباطل — ابن تيمية .
- النكر الاسلامى الحديث في مواجهة الافكار الغربية — محمد المبارك .
- فلسفة الحضارة — البرت اشفيسر ترجمة د . عبد الحمن بدوى .
- في الاخلاق والاجتماع — د . ابراهيم مذكور ط الهيئة العامة للنشر .

(ق)

- القول الجلى في ترجمة شيخ الاسلام — صلى الدين الحنفى .
- قواعد التحديث — القاسمى .
- قواعد المنهج السلفى في النكر الاسلامى — د . مصطفى حلى ط دار  
الاتصار بالقاهرة .
- القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم — موريس بوكاى ط دار المعارف  
سنة ١٩٧٩ م .

(ك)

- كتاب السنة — احمد ابن حنبل — المطبعة السلفية مكة المكرمة ١٣٤٩ هـ .
- كشف اصطلاحات الفنون — التهامى .
- الكون والثقوب السوداء — زهير الكرمى — سلسلة كتب عالم المعرفة  
بالمكويت .
- الكون بين الدين والعلم — د . محمد جمال الدين الفندى .

(ل)

- لماذا تاخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم — شكيب ارسلان .

(م)

- مقالات الاسلاميين — ابو الحسن الاشعري .
- المفردات في غريب القرآن — الاصمهاني .
- مبادئ الاجتماع الديني — روجيه باسفيد — د . قاسم .
- ميزان الاعتدال في نقض الرجال — الذهبي .
- معارج الوصول الى ان اصول الدين ومروعه قد بينهما الرسول — ابن تيمية — المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .
- موافقة صحيح المعقول — ابن تيمية .
- الملل والنحل — الشهرستاني — ط بدران .
- منهاج السنة النبوية — ابن تيمية .
- منهاج السنة النبوية — ابن تيمية
- المغنى في ابواب التوحيد والمسئل — القاضى ابو الحسن عبد الجبار —  
وزارة الثقافة والارثصاد .
- الموسوعة العلمية المختصرة — مكتبة الانجلو المصرية .
- المنتقى — الذهبي تعليق الاستاذ محب الدين الخطيب .
- محنة شيخ الاسلام في سجنه — تحقيق الشيخ محمد حامد النقي .
- منهاج البحث عند مفكرى الاسلام د . على سامى النشار .
- من حضارتنا — د . جورج عطية .
- مدخل الى القرآن الكريم — محمد عبد الله دراز ط دار القلم — الكويت  
١٣٩١ هـ — ١٩٧١ م .
- مقدمة ابن خلدون — ابن خلدون ط دار الفكر ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ .
- مغايب العلوم — الخوارزمي ط المنيرة سنة ١٩٤٢ هـ .
- مناقب الامام احمد بن حنبل — ابن الحوزي .

- محمد اقبال سيرته وفلسفته وشعره — عبد الوهاب عزام .
- مراتب الاجماع — ابن حزم .

( ن )

- نحن والحضارة — ابو الاعلى المودودي ، الانتصار والرد على ابن الرواندى الملحد — دار الكتب ١٣٤٤ هـ — ١٩٢٥ م
- نظرات جديدة في شعر اقبال — د . محمد اسماعيل الندوي .
- نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام — د . النصار
- نقد المنطق — ابن تيمية .
- نظريات شيخ الاسلام في السياسة والاجتماع — المستشرق الفرنسي هنري لاومست — ط دار الانتصار بالقاهرة
- النبوات — ابن تيمية ط السلفية ١٣٨٦ هـ .
- نقد الدارمي على المريسي — الدارمي .
- الانسان ذلك المجهول — الكسيس كاريل — تعريب شفيق أسعد فريد مؤسسة المعارف بيروت .

( هـ )

- هل للاتمان مستقبل — بارتراند راسل — ترجمة عايد الرياط الدان
- التومية للطباعة والنشر .

( و )

- وفيات الاميان وانباء ابناء الزمان — لابي العباس شمس الدين احمد بن خلكان تحقيق محمد محيي الدين — مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٩٤٨ م
- الوحي المحمدي — محمد رشيد رضا

## المؤلف

١. نظام الخلافة في الفكر الاسلامي دار الانتصار — القاهرة
٢. — الخوارج ومسألة تكفير المسلم دار الانتصار — القاهرة
٣. — المشكلات التي تواجه الشباب المسلم وكيف تتوخاها دار الانتصار — القاهرة
٤. — قواعد المنهج السلفي دار الانتصار — القاهرة
٥. — نظرية شيخ الاسلام ابن تيمية في السياسة (دراسة وتحقيق) دار الانتصار — القاهرة
٦. — غيات الامم لامام الحرمين (دراسة وتحقيق) دار الدعوة بالاسكندرية
٧. — الزهاد الاوائل دار الدعوة بالاسكندرية
٨. — ابن تيمية والتصوف دار الدعوة بالاسكندرية
٩. — التصوف والاتجاه السلفي في العصر الحديث دار الدعوة بالاسكندرية

---

### اعتذار :

وقعت اخطاء مطبعية خارجة عن ارادتنا ولا تغيب عن نظنسة  
الاخ القاريء ، وتمننر ونرجو التصحيح .

---

الصفحة	المبطل	الخطا	التصحيح
١٦	الاخير	صلى الله	صلى الله عليه وسلم
٢٧	—	الفصل الثاني	الباب الثاني

رقم الايداع ٤٦٢٤/١٩٨٢

قازنشر الثقافة  
طبع . نشر . توزيع

١٢ ش حسبو منشأ — محرم بك

ت : ٢٠٦٢٥/٢٢١٩٨





## ❖ همدان الأندلس

هذه الأندلس العربية الإسلامية عرفت من قبل الأندلسيين في  
الكلام (ببعضها المعروف في غير الأندلس) المسمى بـ «الندوة» باسم  
المعزلة والاندلس، والاندلس في اللغة العربية من الأندلس، علماء الأندلس المتأخرين  
المشهورين بـ «الاندلسيين» الذين أخذوا في إيراد آراءهم عند إحصاء الفروع  
الإسلامية، ومع أن المصنف المذكور في الأندلس، إلا أنه لا يمكن أن  
يرجع إلى الأندلس إلا في غير كل شيء.

❖ وهذا ما فعله مؤلف الكتاب فاختار «مردوعه» لدراسة «ندوة» علماء  
الحديث والسنة في أصول الدين - علم الكلام - لإبراز «وعظهم» و«ندوة»  
في النقاش والرد على المتكلمين.

❖ وأثبتت هذه الدراسة خطأ الظن بأن هؤلاء العلماء - وفي مقدمتهم  
الإمام أحمد والدرامي والبيخاري وابن عثيمين وغيرهم - علماء نحل دون  
دراسة عقلية، فالحقيقة أنهم كانوا أهل نظر أيضا.

وكان لهم مذهبهم الإسلامي الأميل في بحث أصول الدين والدفاع

عنه.



To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)